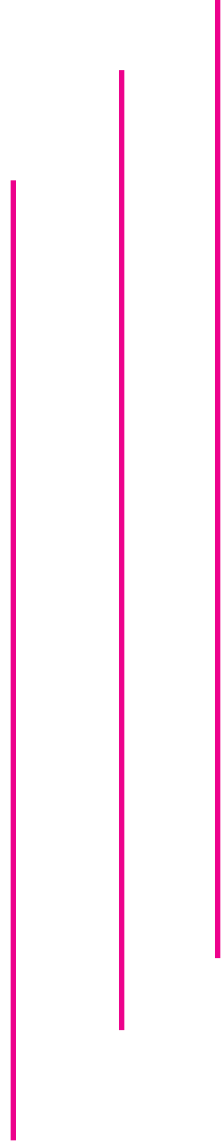


الكلمة القليلة





حُفُوقُ الصَّبْحِ مَحْفُوظَاتُهَا

دَامِرُ الأَمَلِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ وَالتَّرْجِمَةِ

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

رقم الإيداع

٢٠١٣/١٣٣٣٤

دَامِرُ الأَمَلِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ وَالتَّرْجِمَةِ

٠١١١١٨١٩٤٨٠ - ٠١٠٠٠٢٨٢١٦٦

daralamal@hotmail.com

alamal-publications.com

الكتاب المقدس



الأمل  
ALAMAL  
للنشر والتوزيع



# الكلمة المقدسة

إعداد

مجمع إسماعيل المقتدي

دار الأمل للنشر والتوزيع والترجمة



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العليّ الأعلى، الذي أعلى كلمته العليا، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، والصلاة والسلام على من أرسله لينفي السّوى، ويثبت أنه لا يستحق أن يُعبدَ إلا المولى، وعلى آله وأصحابه وأتباعهم المستمسكين بالعروة الوثقى.

### أما بعد

«فالحمد لله الذي فتح أبواب المشاهدات على أرباب المجاهدات بمفتاح **«لا إله إلا الله»**، وأحيا نفوس العارفين، وملا كؤوس الذاكرين من أقذاح **«لا إله إلا الله»**، وأبدع المصنوعات وأوجد المخلوقات ووسمها بميسم<sup>(١)</sup> **«لا إله إلا الله»**، خلق الجنين من ماء مهين ليعبده **«بلا إله إلا الله»**، أرسل الرسل لأجلها مبشرين، وعن ضدها محذرين، فدعوا الناس كلهم إلى العمل **«بلا إله إلا الله»**، فهي رأس الملة والدين، وهي جبل الله المتين، فما خاب من تعلق بحبل **«لا إله إلا الله»**. غويت أحلام الجاهلين، وضلت أفئدة المعاندين، حيث جعلوا إلهين اثنين بعدما طلع بدر **«لا إله إلا الله»**.

أحمده - سبحانه -، وأشكره إذ جعلنا من أهل **«لا إله إلا الله»**، وأشهد أن **لا إله إلا الله** وحده، لا شريك له شهادة تنجي قائلها إذا خاب أهل الشرك، ونجا أهل **«لا إله إلا الله»**، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جدد الله به ما درس من معالم **«لا إله إلا الله»**، ومع ذلك قال له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، فصعد بها ونادى، ووالى عليها وعادى، وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا **لا إله إلا الله**، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق **لا إله إلا الله»**، فدعى إلى الله سراً

(١) الميسم: السّمة، وأثر الحُسن والجمال، واسمٌ للآلة التي يُوسم بها كالمكواة، يقال: وسّم الشيءَ وسّماً وسِمةً: كواه، فأثر فيه بعلامة.

وجِهَارًا، وليلاً ونهارًا حتى انكشف الغطاء عن وجه «لا إله إلا الله»، اللهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين حمَّوْا بِمُرْهَفَاتِهِمْ<sup>(١)</sup> حَوْزَةَ «لا إله إلا الله»، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

ثم «أما بعد» أيضًا:

فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى، وجددوا إيمانكم في المساء والصبح، بتأمل معنى «لا إله إلا الله»، فيا ذوي العقول الصحاح، ويا ذوي البصائر والفلاح، نادُوا بالفلاح، فلا فلاح إلا لأهل «لا إله إلا الله»، فكلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام: «لا إله إلا الله»، فلا قامت السماوات والأرض، ولا صحت السنَّة والفرص، ولا نجا أحد يوم العرض، إلا بـ«لا إله إلا الله»، ولا جُرِّدت سيوف الجهاد، وأُرسلت الرسل إلى العباد، إلا ليعلموهم العمل بـ«لا إله إلا الله»، فانقسم الناس عند ذلك فريقين، وسلكوا طريقين، فريق انقاد للعمل بـ«لا إله إلا الله»، والآخر خاب لعلمه أن دين آبائه تُبطله «لا إله إلا الله»، فسبحان من فاوت بين عبادته، بمقتضى حكمته ومراده، ذلك من أدلة «لا إله إلا الله»، فطوبى لمن عرف معناها فارتضاها، وعمل باطنًا وظاهرًا بمقتضاها، فيكون قد حقق «لا إله إلا الله»، وويل لمن صابه الشيطان بالأشراك<sup>(٢)</sup>، فرماه في هُوَّة الإِشْرَاقِ، فأبى واستكبر عن الانقياد لـ«لا إله إلا الله»، ألم تسمعوا قول الله ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة «لا إله إلا الله»، الذي هو إفراده بجميع العبادات، وتخصيصه بالقصد والإرادات، ونفيها عما سواه من جميع المعبودات التي نفتها

(١) المرهف: السيف، والرهيف: السيف المحدد المُرَقَّق.

(٢) يقال: صاب السهم ونحوه الهدف وغيره: أصابه، ولم يتجاوزه، والشرك: جباله الصيد، جمعها، أشراك، وشُرْك.

«لا إله إلا الله»، وذلك هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله الذي لا يُبقي في القلب شيئاً غير الله، ولا إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما به أمر الله، هذا والله هو حقيقة «لا إله إلا الله»، وأما من قالها بلسانه، ونقضها بفعاله؛ فلا ينفعه قول «لا إله إلا الله»، فمن صرف لغير الله شيئاً من العبادات، وأشرك به أحداً من المخلوقات؛ فهو كافر، ولو نطق ألف مرة بـ «لا إله إلا الله»، قيل للحسن - رحمه الله -: إن ناساً يقولون: من قال: «لا إله إلا الله» دخل الجنة، فقال: من قالها، وأدى حقها، وفرَّضها أدخلته الجنة «لا إله إلا الله»، وقال وهب بن منبه لمن قال له: أليس مفتاح الجنة «لا إله إلا الله»؟ قال: بلى! ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتح لك، وإلا لم يُفتح لك؛ لأنك في الحقيقة لم تقل: «لا إله إلا الله»، فياذوي الأسماع العتيذة<sup>(١)</sup>! لا تظنوا أمور الشرك منكم بعيدة فإن ههنا مهاوٍ شديدة تقدح في «لا إله إلا الله»، أين من وحّد الله بالحب والخوف والرجاء والعبادة؟ أين من خصه بالذل والخضوع والتعظيم والقصد، وأفرده بالتوكل فجعل عليه اعتماده؟ كل هذا من معاني «لا إله إلا الله»، فسارِعوا عباد الله إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماوات والأرض أُعدت للمتقين، الذين قاموا بواجبات «لا إله إلا الله»، ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين، وتمسكوا بعُرَى «لا إله إلا الله»، فمن نفى ما نفته، وأثبت ما أثبتته، ووالى عليها وعادى؛ رفعته إلى أعلى عليين منازل أهل «لا إله إلا الله»، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾<sup>(٢)</sup> اهـ.

(١) العتيذ: المُهَيأ، والحاضر.

(٢) هذا نص خطبة من خطب شيخ الإسلام، ومجدد القرن الثاني عشر الهجري، الإمام محمد ابن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى -، انظر: «مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب» (١٢/٥٤-٥٧).

«لا إله إلا الله» كلمة أمرها عظيم، وخطبها جسيم، وشأنها جليل، كلمة على الله كريمة، ولها عنده - سبحانه - مكان وشأن، أعلاها ثمرة، وأسفلها مغدق<sup>(١)</sup>، لا توجد في الوجود كلمة أشرف منها، ولا توجد في الدنيا ولا في الآخرة كلمة ثبت لها من الفضائل ما ثبت لها، فضائل لا يمكن عدّها وحصرها، إذ ترتب عليها من الخير العميم، والأجر الجزيل، والثواب الجليل، ما لا يسبح<sup>(٢)</sup> بخيال، ولا يخطر على بال.

«لا إله إلا الله» كلمة لأجلها خلقت الدنيا والآخرة، والجنة والنار.

وبها قامت السماوات والأرض، ولأجلها خلقت الخلائق، قال - تعالى -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، أي: يوحدوني، ويعرفوني. بها أخذ الله الميثاق من بني آدم في عالم الذرّ، وهي منشأ الخلق والأمر، والثواب والعقاب.

وهي أول واجب على المكلف، يتحتم عليه استصحابه إلى أن يفارق الحياة ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقبول الأعمال متوقف على النطق بها، والعمل بمقتضاها، من قالها صادقاً أدخله الله بها الجنة، ومن قالها كاذباً حقت دمه، وأحرزت ماله، ولقي الله غداً فحاسبه عليها.

وتحقيقها بإفراد الله - تعالى - بالعبودية هو حق الله على العباد، قال - صلى الله عليه وسلم -: «حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» الحديث<sup>(٣)</sup>.

- (١) أغدق المطر: كثّر قطره، وأغدقت العين: غزرت ماؤها، والأرض: أخصبت، ويقال: أغدق عليه مالا: أفاضه عليه، والغدق: الماء الغامر الكثير، وفي التنزيل العزيز: ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].
- (٢) سنح سنوحاً: عرض، يقال: سنح لي رأيي في كذا.
- (٣) أخرجه البخاري [١٢٨].

«لا إله إلا الله» كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنهما يُسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

فجواب الأولى - بتحقيق «لا إله إلا الله» معرفة وإقرارًا وعملاً.  
وجواب الثانية - بتحقيق أن «محمدًا رسول الله» معرفة وإقرارًا، وانقيادًا وطاعة.

«لا إله إلا الله» أفضل الذكر، وأصدق الكلام، ومُفْتَح الخُطب، وكل خُطبة ليس فيها «لا إله إلا الله» فهي كاليد الجذماء<sup>(١)</sup>.

«لا إله إلا الله» تاج الموحّدين، ونور أفئدة المتقين، وحصن الأمان، وسفينة النجاة، كلمة الشهادة، ومفتاح دار السعادة.

بـ «لا إله إلا الله» أنزل الله الكتب، وأرسل الرسل، وشرع الشرائع.

«لا إله إلا الله» عليها أُسِّست الملة، ولأجلها نُصِبَت القِبلة، وفي سبيلها جُرِّدَت سيوفُ الجهاد، وبها قامت الحجة على العباد.

«لا إله إلا الله» أصل الدين وأساسه، ورأس أمره، وساق شجرته، وعمود فُسطاطه، وبقية أركان الدين متفرعة عنها، متشعبة منها، مكملات لها، مقيدةٌ بالتزام معناها، والعمل بمقتضاها.

---

(١) وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً: «الخطبة التي ليس فيها شهادة، كاليد الجذماء» أخرجه الإمام أحمد (٣٩١ / ١٣) رقم [٨٠١٨]، (٢٠٦ / ١٤) رقم [٨٥١٨] طبعة مؤسسة الرسالة، وقال محققوه: «إسناده قوي»، والحديث أخرجه أبو داود [٤٨٤١]، والترمذي [١١٠٦].  
واليد الجذماء: المقطوعة التي لا فائدة فيها لصاحبها، أو التي بها جذام.

ومن أجل «لا إله إلا الله» نُصبت الموازين، ووُضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وهي التي فَرَّقتِ النَّاسَ إلى مؤمنين وكفار، وميَّزتهم إلى السعداء أهل الجنة، والأشقياء أهل النار، وبها تكون السعادة والشقاوة، بل لا وصول للسعادة في الدارين إلا بها.

وبها النجاة من النار بعد الورود، وبعدم التزامها البقاء فيها والخلود، بها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل الميزان أو يخف، وعنها يُسأل الأولون والآخرون. ولعظم معانيها، تعددت أساميها، ومع أن شرفها وفضلها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون، ويعرفه العارفون؛ إلا أننا حاولنا في هذه السطور استقصاء ما تيسر من أساميها الشريفة، وفضائلها المنيفة، كما جاءت في القرآن المجيد، والسنة الشريفة، وكلام السلف الصالح، فَحَوَّتْ فوائد جَمَّة، وفرائد يُعنى بها ذوو الهممة.

فنسألك اللهم يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، يا كريم الصَّفْح، يا عظيم المَنِّ، يا مبتدئاً بالنعْم قبل استحقاقها، يا ربَّنَا، ويا سيدنَا، ويا مولانَا، ويا غاية رغبَتِنَا أن تُحَيِّبَنَا عليها، وأن تثبَّتَنَا عليها حتى تميَّتَنَا عليها، وأن تحشرنا عليها، وأن لا تحرمنا من البركات المكنوزة لديها.

والحمد لله أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ونخغ

عبدُ العبدِ السَّامِعِ المُقَدِّمِ

عطقنہ فقیقغ نید عائف  
نم هه قغیل عاوه لی لی بمتن مذ  
عههوعن حمین هه یه عقیقین تن بنین هه



# الإسلام بالله

## (١) ركن الإسلام العظيم

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : قال <sup>(١)</sup> رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «بُني الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله <sup>(٢)</sup>، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت» <sup>(٣)</sup>.

فهذه هي الأركان والأعمدة الخمسة للإسلام: تصديق بالله - تعالى - ووحدايته، وأنه لا شريك له، وإيمان برسالة رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم -، ثم أفعال تُصدق هذا الإيمان، وتؤكد هذه الشهادة هي: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.

ولقد أجمعت الأمة على أن كلمتي الشهادة «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» هي الركن الأول للإسلام، وعليها تُبنى الأعمال، ولا يُقبل إسلام؛ ولا يصح عملٌ بدونهما.

(١) هذه الكلمة تكتب هنا «قال» لكنها تُقرأ: «قال: قال»، لأن من عادة المحدثين حذف كلمة «قال» إذا تكررت، مثل: «حدثنا صالح قال: قال الشعبي» تكتب: «حدثنا صالح قال الشعبي»، لكن ينبغي أن يلفظ القارئ بهما معًا.

(٢) اعلم - وفقك الله - أن الشهادتين متلازمتان، فلا تصح الشهادة بأن لا إله إلا الله إلا مع الشهادة بأن محمدًا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولذلك كانت الشهادتان معًا ركنًا واحدًا من أركان الإسلام لا ركنين، ومن شهد بأن لا إله إلا الله، ولم يشرك بالله شيئًا، لكنه لم يشهد بأن محمدًا رسول الله، فهو كافر بالله مخلد في النار، إن مات على ذلك، وإن جاء بعبادة أهل الأرض.

(٣) رواه البخاري (٤٩/١)، ومسلم (٤٨/١).

فـ «لا إله إلا الله» رأس الإسلام، وأساس بنائه، وعمود فسطاطه، وبقية الأركان والفرائض متفرعة عنها، متشعبة منها، مكملات لها، مقيدة بالتزام معناها، والعمل بمقتضاها.

## الإسلام لله

### (٢) وعائنة للإسلام

في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن أبا سفيان بن حرب - رضي الله عنه - أخبره أن هرقل دعا بكتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرأه، فإذا فيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من محمد عبد الله ورَسُولِهِ إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و﴿يَتَأْهَلُ الْكُتُبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] (١).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «قوله: (بدعاية الإسلام) بكسر الدال، من قولك: دعا يدعو دعاية، نحو: شكا يشكو شكاية، ولمسلم: (بداعية الإسلام) أي: بالكلمة الداعية إلى الإسلام، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، والباء موضع (إلى)» اهـ (٢).

ف«دعاية الإسلام» هي دعوته، وهي كلمة الشهادة التي يدعى إليها أهل الملل الكافرة.

و«داعية الإسلام» مصدر بمعنى الدعوة؛ كالعافية والعاقة (٣).

(١) جزء من حديث طويل رواه البخاري رقم [٧]، ومسلم رقم [١٧٧٣ / ٧٤].

(٢) «فتح الباري» (١ / ٣٨).

(٣) «لسان العرب» (٤ / ٣٦٠)، وانظر: «النهاية» لابن الأثير (٢ / ١٢٢).

## الإسلام بالله

### (٣) **أَوَّلُ وَلا يَمْبِغِي عَلَى الْمُكَلَّفِ**

أجمع الصحابة والتابعون، وسائر أئمة الدين، وعلماء أهل السنة والجماعة ومن وافقهم من الطوائف الأخرى على أن أول واجب على المكلف<sup>(١)</sup> الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله<sup>(٢)</sup>، مع النطق بهما<sup>(٣)</sup>.

وقد استدلوا على ذلك:

١- بحديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة من أموالهم، وتُرد على فقرائهم، فإذا أطعوا بها فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس»<sup>(٤)</sup>.

والمراد بالعبادة - هنا - النطق بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، كما جاء في الرواية الأخرى<sup>(٥)</sup> مفسراً «فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله»<sup>(٦)</sup>.

(١) المكلف: هو البالغ العاقل.

(٢) وقد فصلت الكلام في هذه المسألة في كتابي «الإقرار بالشهادتين أول واجب على المكلفين».

(٣) اعلم - أصلحك الله - أن التلفظ بالشهادتين والنطق بهما ركن للتوحيد، وليس شرطاً فيه، ومن وصفه بالشرطية كمن قال: «من شروط الصلاة أن يصلي»، لأن النطق بالقول من حقيقتها وركنها، وانظر مزيد بيان لذلك في حاشية ص (٥٢، ٥٣).

(٤) رواه البخاري [١٣٩٥]، ومسلم (٥١/١) [٣١].

(٥) «المفهم» للقرطبي (١/١٨١)، و«فتح الباري» (١٣/٣٥٤) ط. السلفية.

(٦) «صحيح مسلم» (٥٠/١) [٢٩].

قال أبو العباس القرطبي - رحمه الله -: «الحديث حجة لمن يقول: إن أول الواجبات التلفظ بكلمتي الشهادة مصداقاً بها»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن حزم - رحمه الله -: «أول ما يلزم كلَّ أحد، ولا يصح الإسلام إلا به أن يعلم المرء بقلبه علم يقين وإخلاص، لا يكون لشيء من الشك فيه أثر، وينطق بلسانه - ولا بد - بأن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.. وهو قول جميع الصحابة وجميع أهل الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «إن السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ»<sup>(٣)</sup>.

٢- وبما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»<sup>(٤)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة»<sup>(٥)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - تعليقاً على هذا الحديث وعلى الحديث السابق: «وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين، وعلماء المسلمين، فإنهم

(١) «المفهم» (١/ ١٨١، ١٨٢).

(٢) «المحلى» (١/ ٢، ٣).

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (١١/ ٨).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٥٢) [٣٤].

(٥) رواه البخاري (١/ ١١)، ومسلم (١/ ٥٣) [٣٦].

مجمعون على ما علم بالاضطرار من دين الرسول، أن كل كافر فإنه يُدعى إلى الشهادتين، سواء كان معطلًا، أو مشركًا، أو كتابيًا، وبذلك يصير الكافر مسلمًا، ولا يصير مسلمًا بدون ذلك»<sup>(١)</sup>.

ثم نقل قول ابن المنذر: «أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأن كل ما جاء به محمد حق، وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف الإسلام - وهو بالغ صحيح يعقل - أنه مسلم»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وقد افتتح الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت ٣٢١) عقيدته المنسوبة إليه بقوله: «نقول في توحيد الله، معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد، لا شريك له».

وقال شارحها الإمام علي بن أبي العز الدمشقي (ت ٧٢٢): «ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم»<sup>(٣)</sup>، بل

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٧/٨)، وانظر: «صون المنطق والكلام» للسيوطي ص (١٧٢).

(٢) «درء التعارض» (٧/٨)، و«الإجماع» لابن المنذر ص (١٥٤).

(٣) اختلف المتكلمون في أول واجب على المكلف على أقوال:

**الأول** - قال بعضهم: إنه المعرفة، وحكي هذا عن أبي الحسن الأشعري، انظر: «تحفة المرید على جوهرة التوحيد» ص (٢٣)، و«المواقف في علم الكلام» للإيجي ص (٣٢).

**الثاني** - إنه النظر، ويُعزى أيضًا إلى أبي الحسن الأشعري، وانظر: «تحفة المرید» ص (٢٣). وقال أبو بكر ابن الباقلاني: (أول ما فرض الله - عز وجل - على جميع العباد النظر في آياته، والاعتبار بمقدوراته، والاستدلال عليه بآثار قدرته، وشواهد ربوبيته، لأنه - سبحانه - غير معلوم باضطرار، ولا مشاهد بالحواس) اهـ. من «الإنصاف فيما يجب اعتقاده» ص (٣٣).

كما قرر ذلك عبد الجبار المعتزلي بقوله: (إن سأل سائل فقال: ما أول ما أوجب الله عليك؟ فقل: النظر المؤدي إلى معرفة الله - تعالى -، لأنه - تعالى - لا يعرف ضرورة، ولا بالمشاهدة، فيجب أن نعرفه بالتفكير والنظر) اهـ. من «شرح الأصول الخمسة» ص (٣٩).

أئمة السلف كلهم مُتَّفِقُونَ على أن أوَّل ما يُؤمر به العبدُ الشهادتانِ، ومُتَّفِقُونَ على أن مَنْ فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عَقِبَ بلوغه، بل يؤمر بالطهارة والصلاة إذا بَلَغَ أو ميَّز عند من يرى ذلك، ولم يُوجِب أحد منهم على وليه أن

= **الثالث-** إنه القصد إلى النظر، نص عليه أبو المعالي الجويني حيث قال: (أول ما يجب على العاقل البالغ باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعاً القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم) اهـ. من «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد» ص (٢٥).  
الرابع- قال بعضهم: أول واجب على المكلف هو الشك، ونُقل عن أبي هاشم الجبائي المعتزلي كما في «المواقف» ص (٣٢)، وانظر: «الشامل في أصول الدين» ص (٣١، ٣٢)، وطائفة من المعتزلة وغيرهم كما في «تحفة المرید» ص (٢٣)، و«شرح المقاصد» للفتازاني (١/٣٠١-٣٠٣)، و«فتح الباري» (١٣/٣٥٠).

فهذه أشهر أقوال المتكلمين في أول واجب على المكلف، والخلاف بينهم فيها لفظي كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في «درء التعارض» (٧/٣٥٣).

وما ذهب إليه هؤلاء المتكلمون قول محدث مخالف لإجماع أئمة المسلمين كما قدمنا. واعلم أن كون الإقرار بالشهادتين والنطق بهما أول واجب على المكلف لا يعني إهمال النظر والتفكير في خلق السماوات والأرض، وسائر الآيات التكوينية، وهذه المسألة- أول واجب على المكلف- يبنى عليها حكم إيمان المقلد، أما النظر فلا يجب إلا على من لا يحصل له الاعتقاد الجازم إلا به، والمراد بذلك: النظر الشرعي، لا على طريقة المتكلمين، ومناهجهم الفلسفية.

على أنه يترتب على مذهب هؤلاء لوازم فاسدة فيما يتعلق بزمن الاستدلال ومدته، انظر: «الفصل» لابن حزم (٤/٤١، ٤٢).

والمقصود هنا بيان أن الخلاف في حكم إيمان المقلد قد انبنى على الخلاف في هذه المسألة (أول واجب على المكلف) فبينهما صلة واضحة:

- فإن من كان يرى أن النظر أول الواجبات على كل مكلف ذهب إلى أن من لم ينظر وإنما آمن تقليدًا: فإما أنه لا يصح إيمانه، على قول البعض، وإما أنه يكون عاصيًا، وإن صح إيمانه، على قول آخرين.

- وأما من لا يرى أن النظر أول واجب على المكلف: فإنه يذهب إلى صحة إيمان المقلد، ما دام أنه قد اعتقد الحق اعتقادًا جازمًا ولو لم ينظر أو يستدل.

يُخَاطِبُهُ حِينَئِذٍ بِتَجْدِيدِ الشَّهَادَتَيْنِ، وَإِنْ كَانَ الْإِقْرَارُ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَاجِبًا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَوَجُوبُهُ يَسْبِقُ وَجُوبَ الصَّلَاةِ، لَكِنْ هُوَ أَدَّى هَذَا الْوَاجِبَ قَبْلَ ذَلِكَ. وَهَذَا مَسْأَلٌ تَكَلَّمَ فِيهَا الْفُقَهَاءُ: فَمَنْ صَلَّى وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِالشَّهَادَتَيْنِ، أَوْ أَتَى بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ خِصَائِصِ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِمَا: هَلْ يَصِيرُ مُسْلِمًا أَمْ لَا؟ وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يَصِيرُ مُسْلِمًا بِكُلِّ مَا هُوَ مِنْ خِصَائِصِ الْإِسْلَامِ.

فَالْتَوْحِيدُ أَوَّلُ مَا يُدْخَلُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَآخِرُ مَا يُخْرَجُ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>. فَهُوَ أَوَّلُ وَاجِبٍ وَآخِرُ وَاجِبٍ»<sup>(٢)</sup> اهـ.

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَانَ [٧١٩] (مَوَارِد) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، وَإِنْ أَصَابَهُ مَا أَصَابَهُ» وَلَهُ شَاهِدٌ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ [٣١١٦]، وَأَحْمَدَ (٥/٢٣٣ و ٢٤٧)، وَغَيْرَهُمَا مِنْ حَدِيثِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

(٢) «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ» (١/٢٣) ط. مَوْسَسَةُ الرِّسَالَةِ.



## الإسلامُ اللهُ

### (٤) حَاجَةُ النَّبِيِّ وَالسَّالِ

قال الله - تعالى - في (آية السيف): ﴿ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥]، وقال بعدها: ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِلُ الْأَيْتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ١١].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيرها: «ولهذا اعتمد الصديق رضي الله عنه - في قتال مانعي الزكاة على هذه الآية الكريمة وأمثالها، حيث حرمت قتالهم بشرط هذه الأفعال، وهي الدخول في الإسلام، والقيام بأداء واجباته، ونبته بأعلاها على أدناها، فإن أشرف الأركان بعد الشهادة الصلاة، التي هي حق الله - عز وجل -، وبعدها أداء الزكاة التي هي نفع متعدد إلى الفقراء والمحاويج، وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين؛ ولهذا كثيراً ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة، وقد جاء في الصحيحين، عن ابن عمر - رضي الله عنهما -، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «أمرت<sup>(١)</sup> أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة...» الحديث.

وقال أبو إسحاق: عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «أمرت بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ومن لم يُزكِّ فلا صلاة له»،

(١) أُمِرْتُ: أي: أمرني الله، إذ لا أمر سواه، وحذِفَ الفاعل تعظيماً وتفخيماً.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «أبى الله أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة. وقال: يرحم الله أبا بكر، ما كان أفقهه!»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسيرها: «قوله - تعالى -: ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ أي من الشرك ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ هذه الآية فيها تأمل؛ وذلك أن الله - تعالى - علق القتل على الشرك، ثم قال: ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾. والأصل أن القتل متى كان للشرك يزول بزواله، وذلك يقتضي زوال القتل بمجرد التوبة، من غير اعتبار إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة؛ ولذلك سقط القتل بمجرد التوبة قبل وقت الصلاة والزكاة. وهذا بين في هذا المعنى؛ غير أن الله - تعالى - ذكر التوبة، وذكر معها شرطين آخرين، فلا سبيل إلى الغائهما. نظيره قوله - صلى الله عليه وسلم -: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله». وقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: «والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال». وقال ابن عباس: «رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه». وقال ابن العربي: «فانتظم القرآن والسنة واطردا». اهـ<sup>(٢)</sup>.

وقد تواترت الأحاديث<sup>(٣)</sup> عن خمسة عشر صحابياً - رضي الله عنهم - بألفاظ متقاربة، تُبين أن توبة المشركين التي تعصم أموالهم ودماءهم إنما تكون بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتبين أن من حق هذه الشهادة: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة:

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ١٢٠)، ط. دار الحديث - القاهرة.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٧٤).

(٣) قاله السيوطي في «الجامع الصغير» - «فيض القدير» (١/ ١٨٩).

فغن أنس بن مالك - رضي الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أمرت أن أقاتل الناس - وفي رواية: (المشركين) - حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، واستقبلوا قبلتنا، وأكلوا ذبيحتنا، وصلّوا صلاتنا؛ فقد حرمت علينا دماءهم وأموالهم إلا بحقها، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم»<sup>(١)</sup>.

وعن طارق بن أشيم الأشجعي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «من قال: لا إله إلا الله - وفي رواية: من وحّد الله -، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرّم ماله ودمه، وحسابه على الله»<sup>(٢)</sup> - عزّ وجلّ -<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود [٢٦٤١]، والترمذي (١٠٠/٢)، والنسائي (٢/١٦١، ٢٦٩)، والإمام أحمد (١٩٩/٣)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في «الصحيحة» [٣٠٣].

(٢) قال المناوي - رحمه الله -: «الحكم عليهم بما ذكر إنما هو باعتبار الظاهر، أما باعتبار الباطن: فأمرهم ليس إلى الخلق بل (حسابهم على الله) فيما يُسرونه من كفر ومعصية، يعني إذا قالوها بلسانهم، وبأشروا الأفعال بجوارحهم، قنعت منهم به، ولم أفتش عن قلوبهم، و(على) بمعنى اللام، فما أوهمه العلاوة من الوجوب غير مراد، ولئن سلّم فهو للتشبيه، أي هو كالواجب في تحقق الوقوع، فالعصمة متعلقة بأمرين: كلمة التوحيد، وحقّها، أي حق الدماء والأموال على التقديرين، والحكم إذا تعلق بوجوده شرطان؛ لا يقع دون استكمال وقوعهما، وصدّره بلفظ الأمر إيداناً بأن الفعل إذا أمر به من جهة الله لا يمكن مخالفته، فيكون أكد من فعل مبتدأ من الإنسان، قال الرافعي: «وبين الشافعي أن الحديث مخرجه عام، ويراد به الخاص، والقصد به أهل الأوثان، وهو أصل من أصول الإسلام».

(تتمة) ذكر الفخر الرازي عن بعضهم هنا أنه - تعالى - جعل العذاب عذابين أحدهما: السيف من يد المسلمين، والثاني: عذاب الآخرة، فالسيف في غلاف يُرى، والنار في غلاف لا تُرى، فقال لرسوله: من أخرج لسانه من الغلاف المرئي - وهو الفم - فقال: «لا إله إلا الله»، أدخلنا السيف في الغمد الذي يُرى، ومن أخرج لسان القلب من الغلاف الذي لا يُرى - وهو السر - فقال: «لا إله إلا الله»، أدخلنا سيف عذاب الآخرة في غمد الرحمة، حتى يكون واحد لواحد، لا ظلم ولا جور» اهـ. من «فيض القدير» (١٨٩/٢).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٧٢/٣)، (٣٩٤/٦)، ومسلم في «صحيحه» رقم [٣٧].

فإيمان الكافر موقوف على النطق بها، ولا تُعصَم الدماء والأموال إلا بحقها: وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال: كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فجاء رجل فسارّه، فقال: «اقتلوه»، ثم قال: «أيشهد أن لا إله إلا الله؟»، قال: نعم! ولكنما يقولها تعوداً، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تقتلوه، فإنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم، وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله»<sup>(١)</sup>.

وعن المقداد بن الأسود أنه قال: يا رسول الله! أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فقاتلني، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، أفأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تقتله»، قال: فقلت: يا رسول الله! إنه قطع يدي، ثم قال ذلك بعد أن قطعها، أفأقتله؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال»<sup>(٢)</sup> (٣).

(١) رواه النسائي، «صحيح سنن النسائي» رقم [٣٧١٤]، وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «فقد عصموا» أي حفظوا «مني دماءهم وأموالهم» أي منعوها، إذ العصمة: المنعة، والاعتصام: الاستمسك، افتعال منه، فلا يحل سفك دمائهم، ولا أخذ أموالهم. وقوله: «إلا بحقها» أي الدماء والأموال، يعني هي معصومة إلا عن حقٍّ يجب فيها، كقود، وردة، وحد، وترك صلاة وزكاة وتأويل باطل، وحق آدمي، فالباء بمعنى (عن) أو (من) أي: فقد عصموا إلا عن حقها أو من حقها، أو: إلا بحق كلمة التوحيد، وحقها: ما تبعها من الأفعال والأقوال الواجبة التي لا يتم الإسلام إلا بها، فالمتلفظ بكلمة التوحيد يُطالب بهذه الفروض بعد. اهـ. من «فيض القدير» (٢/١٨٨، ١٨٩).

(٢) قال النووي - رحمه الله -: «أحسن ما قيل في معناه وأظهره: أن معناه: فإنه معصوم الدم محرم قتله بعد قوله: (لا إله إلا الله) كما كنت أنت قبل أن تقتله، وإنك بعد قتله غير معصوم الدم ولا محرم القتل كما كان هو قبل قوله: (لا إله إلا الله)، قال ابن القصار: «يعني لولا عذرِك بالتأويل المسقط للقصاص عنك» اهـ. من «شرح النووي» (١/٣٨٣) ط. دار أبي حيان.

(٣) رواه مسلم (١/٩٥)، رقم [١٥٥].

وقد قال أسامة بن زيد - رضي الله عنهما -: بَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتَ مِنْ جَهِينَةَ<sup>(١)</sup>، فَأَدْرَكَتَ رَجُلًا، فَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فَطَعَنَتْهُ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَتَلْتَهُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ، قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟»، فَمَا زَالَ يَكْررها عَلَيَّ، حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ<sup>(٢)</sup>.

وعن صفوان بن مُحَرِّزٍ: «أَنَّ جُنْدَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ بَعَثَ إِلَى عَسْعَسِ بْنِ سَلَامَةَ زَمَنَ فِتْنَةِ ابْنِ الزَّبِيرِ فَقَالَ: اجْمَعْ لِي نَفَرًا مِنْ إِخْوَانِكَ حَتَّى أُحَدِّثَهُمْ، فَبَعَثَ رَسُولًا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَ جُنْدَبٌ وَعَلَيْهِ بُرْنُسٌ<sup>(٣)</sup> أَصْفَرٌ فَقَالَ: تَحَدَّثُوا بَمَا كُنْتُمْ تَحَدِّثُونَ بِهِ، حَتَّى دَارَ الْحَدِيثُ، فَلَمَّا دَارَ الْحَدِيثُ إِلَيْهِ حَسَرَ الْبُرْنُسَ عَنْ رَأْسِهِ فَقَالَ: إِنِّي أَتَيْتُكُمْ وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ إِلَّا عَنْ نَبِيِّكُمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . إِنْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعَثَ بَعَثًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّهُمْ التَّقْوَاءُ، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصِدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنْ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصِدَ غَفَلْتَهُ، قَالَ: وَكُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ ابْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ

(١) أي: أتيناها صباحًا، والحُرَقَات: موضع ببلاد جهينة، وفي رائه الضم والفتح.

(٢) رواه مسلم (٩٧/١)، رقم [١٦٠]، وأراد بقوله: «حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ»: أي: لم يكن تقدم إسلامي، بل ابتدأت الآن الإسلام ليمحو عني ما تقدم، وانظر: «جامع العلوم والحكم» (١٥٥/١، ١٥٦).

(٣) البرنس: هو كل ثوب رأسه ملتصق به.

فقال: «لِمَ قَتَلْتَهُ؟» فقال: يا رسول الله أوجع<sup>(١)</sup> في المسلمين فقتل فلانًا وفلانًا، وسمى له نفرًا، وإنِّي حَمَلْتُ عليه. فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أَقْتَلْتُهُ؟» قال: نَعَمْ. قال: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قال: يا رسول الله! اسْتَغْفِرُ لِي. قال: «وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، قال: فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَيَّ أَنْ يَقُولَ: «كَيْفَ تَصْنَعُ بِلا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»<sup>(٢)</sup>.

قال العلماء: «إذا قال الكافر: «لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» فقد شرع في العاصم لدمه، فيجب الكف عنه، فإن تم ذلك تحققت العصمة، وإلا بطلت».

ويكون النبي - صلى الله عليه وسلم - قد قال كل حديث في وقت، فقال: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»؛ ليعلم المسلمون أن الكافر المحارب إذا قالها كُفَّ عنه، وصار ماله ودمه معصومين.

ثم بين - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الآخر أن القتال ممدود إلى الشهادتين والعبادتين، فقال - صلى الله عليه وسلم -: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللهِ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحَسَابُهُمْ عَلَيَّ اللهُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أي: أوجع بهم وآلمهم.

(٢) رواه مسلم (٩٧/١)، رقم [١٦٠].

(٣) رواه البخاري (١١/١)، ومسلم (٣٩/١).

فبيّن أن تمام العصمة إنما يحصل بذلك<sup>(١)</sup>، ولئلا تقع الشبهة بأن مجرد الإقرار يعصم على الدوام<sup>(٢)</sup> اهـ.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: لما تُوفّي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واستُخلفَ أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه، وحسابه على الله - عزَّ وجلَّ -»، قال أبو بكر: «لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، فوالله لو منعوني عقلاً<sup>(٣)</sup> كانوا يؤدونها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقاتلتهم على منعها»، قال عمر: «فوالله ما هو إلا أن رأيتُ الله قد شرح صدر أبي بكر لقتالهم، فعرفت أنه الحق»<sup>(٤)</sup>.

فتأمل كيف أدخل أبو بكر - رضي الله عنه - في «حقها» فعل الصلاة والزكاة.

قال النووي - رحمه الله -: «ولابد - مع هذا - من الإيمان بجميع ما جاء به

---

(١) علّق الشيخ رشيد رضا - رحمه الله - على هذا الموضوع قائلاً: «التحقيق أن المراد بالحدِيثين واحد، وهو الدخول في الإسلام، ومفتاح الدخول فيه من المشركين: النطق بكلمة التوحيد، فهو يعصم صاحبه في المعركة - إذ لا مجال فيها للصلاة ولا زكاة - وأما الكفار القائلون: «لا إله إلا الله»؛ فلا بد من نطق أحدهم برسالة محمد - صلى الله عليه وسلم -...، وذكر الصلاة والزكاة في الحديث الآخر يُراد به قبول شرائع الإسلام، وركنُها الديني المحض الأعظم: الصلاة، وركنُها المالي: الزكاة، فمن دان بهما دان بغيرهما» اهـ. من هامش «الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى» ص (٣١، ٣٢).

(٢) «الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى» للشيخ سعيد بن حجي الحنبلي، ص (٣١، ٣٢).

(٣) قيل: المراد بها زكاة عام، وقيل: العقال: الحبل الذي يُعقل به البعير.

(٤) رواه مسلم في «صحيحه» (١/٥١) [٣٢]، وغيره.

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما جاء في الرواية الأخرى<sup>(١)</sup>: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئتُ به»<sup>(٢)</sup>.

**والمقصود:** أن حكم من قال: «لا إله إلا الله» أنها تعصم ماله ودمه، ثم يُطالب بمعناها وحقها، كالكفر بعبادة غير الله، وشهادة رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم -، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وسائر شرائع الإسلام، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك<sup>(٣)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في بُدّة له عن الحب في الله، والبغض في الله: «واعلم أن قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»، يدل تحقيقاً على أن الصلاة من حقها، والزكاة من حقها، والصوم من حقها، والحج من حقها، فهذا تحقيق قوله - صلى الله عليه وسلم -: «إلا بحقها»، يعني إذا أقرّوا بالشهادتين، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصاموا رمضان، وحجّوا البيت: «فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم»<sup>(٤)</sup>. اهـ.

ومما يدخل في «حقها» - أي في إباحة الدم -: ارتكاب ما يبيح دم المسلم من المحرمات، لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه، المفارق للجماعة»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه مسلم في كتاب: «الإيمان» (١/٥٢) [٣٤].

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١/٢٠٦، ٢٠٧).

(٣) «الكلام المنتقى»، ص (٣٤).

(٤) نقله عنه رشيد رضا كما في حاشية «الكلام المنتقى» ص (٣٥).

(٥) رواه البخاري (٨/٣٨)، ومسلم (٥/١٠٦)، واللفظ له.



**تنبيه:** اعلم - رحمك الله - أن المراد بقوله - صلى الله عليه وسلم -: «أمرتُ أن أقاتل الناس».. الحديث: أهل الأوثان ومشركو العرب، وهم كانوا أول من دُعي إلى الإسلام وقُوتل عليه، أما أهل الكتاب إذا أبوا الإسلام، فإنهم يُقرُّون على الجزية، وبيقون على دينهم، ويُكفُّ عنهم.

### **فائدة: هل لازم كلمة التوحيد داخل في حكمها وحقها؟**

بين ذلك الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله تعالى - فقال: «اللزوم: الثبوت والدوام، وفسره بعضهم بعدم الانفكاك، فلازم الشيء: ما يصحبه، ولا ينفك عنه في الواقع، فلازم كلمة التوحيد: ما هو أثر فطري طبعي لا اعتقاد مضمونها، وهو غير حقها وحكمها، اللذان هما من وضع الشرع، لا من تأثير الطبع.

فالمؤمن الموقن بأنه لا إله يُعبد بحق إلا الله الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، من نفع وضرٍّ، وعطاء ومنع، يلزم يقينه هذا إخلاص الدعاء له وحده في كل شدة تعرض له، هذا ألصق لوازم الكلمة بصاحبها، مهما يكن مسرفاً على نفسه، فإذا أكمل يقينه بكثرة الذكر والعبادة، كان من لوازم توحيده كمال التوكل، والشجاعة في الحق، إلى غير ذلك.

فأظهر لوازم كلمة التوحيد أن لا يدعو صاحبها غير الله فيما هو وراء الأسباب، ولا يستغيث غيره في الشدائد، ولا يندر ولا يذبح لغيره نُسكاً، فويل للمشركين الذين يبيحون انفكاك كل هذه اللوازم عن كلمة التوحيد، بدعاء غير الله... إلخ، ويسمونه توسلاً إلى الله لا شركاً به» اهـ<sup>(١)</sup>.

(١) حاشية «الكلام المتقنى» ص (٣٧).

## الإيمان بالله

### (٥) الإيمان بنسب الأئمة وأفضليتها

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها - وفي رواية: أفضلها - قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»<sup>(١)</sup>.

والإيمان: أصل له شعب متعددة، وكل شعبة منه تسمى إيماناً.

فالصلاة من الإيمان<sup>(٢)</sup>، وكذلك الزكاة، والحج، والصيام، والأعمال الباطنة، كالحياء، والتوكل، والخشية من الله، والإنابة إليه، حتى تنتهي هذه الشعب إلى إمطة الأذى عن الطريق فإنه شعبة من شعب الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول بالإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إمطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها ما يلحق بشعبة الشهادة، ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إمطة الأذى، ويكون إليها أقرب.

(١) رواه البخاري رقم [٩]، ومسلم رقم [٣٥].

(٢) وفي حديث وفد عبد القيس أنهم قالوا الرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مُرْنَا بِأَمْرٍ نَعْمَلُ بِهِ، وَنَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ وَرَاءِنَا، فَقَالَ - صلى الله عليه وسلم -: «أَمْرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمْرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَصِيَامَ رَمَضَانَ، وَأَنْ تَوَدُّوا خُمْسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الدُّبَاءِ، وَالتَّقْيِيرِ، وَالحَتَمِ، وَالمَزْفَةِ، أَحْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ» رواه البخاري (١/١٢٩) - فتح، ومسلم (١/٣٥)، وأبو داود [٣٦٩٢]، والترمذي [٢٦١١]، والنسائي (٢/٢٧٢).

وشعب الإيمان قد يتعلق بعضها ببعض تعلق المشروط بشرطه، فلا تنفع الصلاة من صلاحها عمداً بغير وضوء، ولا ينفع الإيمان بالله ووحدانيته وأنه لا إله إلا هو؛ من أنكر رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

**والمقصود:** أن شعبة قول: «لا إله إلا الله» باعتبارها أعلى وأفضل شعب الإيمان هي شرط في صحة ما تحتها من شعب الإيمان واعتباره عند الله - تعالى -، ولذلك كان من شروط الانتفاع بالعمل الصالح في الآخرة أن يكون العبد مسلماً يشهد أن لا إله إلا الله، وهاك تفصيل ذلك:

# الإسلامُ اللهُ

## (٦) شَرْطُ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ

دل القرآن العظيم على أن العمل الذي ينفع العبد هو العمل الصالح، وأن العمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة شروط:

**الأول -** موافقته لما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم -، لقوله - تعالى -:  
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُخْلَصًا، وَنَبَا لِقَوْمٍ ﴾ [الحشر: ٧]، ولقوله - صلى الله عليه وسلم -: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو ردٌّ»<sup>(١)</sup>.

**الثاني -** أن يكون خالصاً لله - تعالى -؛ لقوله - عز وجل -: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: ٥]، وقوله - جل وعلا -: ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾ [الزمر: ١٤]، ولقوله - صلى الله عليه وسلم -: «إنما الأعمال بالنيات»... الحديث<sup>(٢)</sup>.

**الثالث -** أن يكون مبنياً على أساس العقيدة الصحيحة، لأن الله - سبحانه - يقول: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧]، فقيّد ذلك بالإيمان، ومفهومه: أنه لو كان غير مؤمن لما قبل منه ذلك العمل الصالح<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري في «الصلح» [٢٦٩٧] [٦/٥٧٧ - طيبة]، ومسلم رقم [١٧١٨] في «الأقضية»، وأبو داود (٥٠٦/٢)، وابن ماجه رقم [١٤].

(٢) رواه البخاري [١] [٣٠/١]، ومسلم رقم [١٩٠٧]، وأبو داود [٢٢٠١]، والترمذي [١٦٤٧]، والنسائي (٥٩/١)، (٦٠).

(٣) «أضواء البيان» (٤٢٢/٣)، (٤٢٣).

وكذا قوله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٩].

وقوله - جل وعلا - : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤]، وقوله - سبحانه - : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: ٤٠]، ومفهوم هذه الآيات: أن غير المؤمن إذا أطاع الله بإخلاص لا ينفعه ذلك، لفقد شرط القبول الذي هو الإيمان بالله - جلَّ وعلا - .

وقد أوضح الله - سبحانه وتعالى - هذا المفهوم في آياتٍ أُخرى، كقوله في أعمال غير المؤمنين: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقوله - سبحانه - : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وقوله - عزَّ وجلَّ - : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فُوقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩]، وقوله - جلَّ وعلا - : ﴿ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [الأحزاب: ١٩]، وقوله - سبحانه - : ﴿ لَئِنِ اشْرَكْتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقوله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ - فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

## الدُّنْيَا جَنَّةُ الْكَافِرِ (١)

وقد بيّن الله - عزَّ وجلَّ - في آياتٍ أُخَرَ أن عمل الكافر الذي يتقرب به إلى الله - كبرِّ الوالدين، وصلّة الرحم، وإكرام الضيف، وحسن الجوار، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد، والتنفيس عن المكروب، ونحو ذلك - فهو إنما يُجَازَى به في الدنيا، ولا حظَّ له منه في الآخرة، كقوله - سبحانه -: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦]، وكقوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى: ٢٠].

(١) وقد روى مسلم [٢٦٥٦] وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر» أي: أن كل مؤمن في الدنيا ممنوع من الشهوات المحرمة والمكروهة، مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا، وانقلب إلى ما أعد الله - تعالى - له من النعيم الدائم، والراحة الخالصة من المنغصات. وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا، مع قتلته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد.

وقد ذكر المناوي في شرح هذا الحديث حكاية لطيفة فقال: ذكروا أن الحافظ ابن حجر لما كان رئيس القضاة مر يومًا بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار، وأثوابه ملطخة بالزيت، وهو في غاية الرثاثة والشناعة، فقبض على لجام بغلته، وقال: يا شيخ الإسلام! تزعم أن نبيكم قال: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» فأبي سجن أنت فيه؟ وأي جنة أنا فيها؟ فقال: «أنا بالنسبة لما أعد الله لي في الآخرة من النعيم - يعني الحافظ: بشرط الوفاة على الإسلام - كأني الآن في سجن، وأنت بالنسبة لما أعد لك في الآخرة من العذاب الأليم - يعني: إن مات على كفره - كأنك في جنة» فأسلم اليهودي. اهـ. من «فيض القدير» (٣/ ٥٤٦).

وثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - نحو ما جاءت به هذه الآيات من انتفاع الكافر بعمله في الدنيا، وذلك فيما رواه أنس - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً<sup>(١)</sup>، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا».

وفي رواية: «إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ»<sup>(٢)</sup>.

واعلم - وفقك الله - أن انتفاع الكافر بالعمل الصالح مقيد بمشيئة الله - عزَّ وجلَّ - كما نص على ذلك بقوله - جلَّ وعلا -: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] فهذه الآية الكريمة مقيدة لما سبق ذكره من الآيات والأحاديث<sup>(٣)</sup>.

---

(١) أي: لا يترك مجازاته بشيء من حسناته، والظلم يُطلق بمعنى النقص.

(٢) رواه مسلم (٢١٦٢/٤) حديث رقم [٢٨٠٨].

(٣) انظر: «دفع إيهام الاضطراب» ص (١٥١-١٥٥).

## الكفار مسؤولون عن فروع الشريعة

واعلم - وفقك الله - أن الكفار مخاطبون بفروع الإسلام، مسؤولون عن تكاليف الشرع، كالصلاة والصوم والزكاة والحج، ولكنها لا تصح منهم إذا فعلوها إلا بالدخول في الإسلام أولاً، فالإسلام شرط لصحة هذه التكاليف، كالمحدث يخاطب بالصلاة، وبما لا تصح الصلاة إلا به كالطهارة، من باب: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»، وكلمة التوحيد أعلى شعب الإيمان، وهي شرط في صحة باقيها.

أما الأدلة على أن الكفار مسؤولون عن فروع الشريعة: فمنها قوله - تعالى -: ﴿ مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ ﴿٤٤﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۖ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ۖ ﴿المدثر: ٤٢ - ٤٤﴾، وفيها التصريح بأن من الأسباب التي سلكتهم في سقر عدم إطعام المسكين، وهو من فروع الشريعة.

ومنها قوله - عز وجل -: ﴿ خَذُوهُ فَعُولُهُ ۖ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلْوُهُ ۖ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۖ ﴿الحاقة: ٣٠ - ٣٢﴾، ثم بين السبب فقال - عز من قائل -: ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۖ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ ﴿الحاقة: ٣٣، ٣٤﴾.

ومنها قوله - سبحانه -: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۖ ﴿إلى قوله: ﴿ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ ﴿الفرقان: ٦٨ - ٦٩﴾.

لأن الآية نص في مضاعفة العذاب في حق من جمع بين المحظورات المذكورة.



**فإن قيل:** كيف يكون الكفار مخاطبين بفروع الإسلام في حين أنهم لا يُكَلَّفون بقضائها بعد إسلامهم؟

**فالجواب:** ما قاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الإسلام يَجِبُ - وفي رواية: يهدم - ما كان قبله»<sup>(١)</sup>، ومعنى يَجِبُ: يقطع، «ما كان قبله» من كفرٍ وعصيان، وما يترتب عليهما من حقوق الله - عزَّ وجلَّ -.

أما حقوق عباده فلا تسقط إجماعاً، فمجرد الإسلام مكفِّرٌ للسوابق من الكفر والخطايا، فماذا عن حسنات الكافر السابقة؟

---

(١) رواه مسلم رقم [١١٢]، وقد أجمع العلماء على أن توبة غير المسلم بأن يُسَلِّمَ مقطوع بقبولها إذا وقعت قبل الغرغرة، وقبل طلوع الشمس من مغربها، والحكمة من كونها مقبولة على سبيل القطع أن يفتح لهم باب الإيمان ليَلجوه، ويُساقوا إليه.

## حَسَنَاتُ الْكَافِرِ مَوْفُوتَةٌ

صح عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا أسلم العبدُ فحسُن إسلامُهُ؛ كتب الله له كلَّ حسنة كان أسلفها، ومُحيت عنه كل سيئة كان أزلها، ثم كان بعد ذلك القصاصُ، الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائه ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله - عزَّ وجلَّ - عنها»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث الشريف يدل على أن حسنات الكافر موقوفة: إن أسلم تُقبل، وتنفعه في الآخرة، وإن بقي كافرًا حتى مات تحبط، وعلى هذا الأساس نفهم أن قوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ [النور: ٣٩]، وقوله - سبحانه -: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقوله - جلَّ وعلا -: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وقوله - سبحانه -: ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [الأحزاب: ١٩]، ونحوها إنما يقصد بها من مات على الكفر، وختم له به - والعياذ بالله - فإن الأعمال بالخواتيم، وقد قال الله - تعالى -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [محمد: ٣٤]، وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أُفْتَدِيَ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٩١]، وقال - سبحانه -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ

(١) رواه النسائي - «صحيح سنن النسائي» رقم [٤٦٢٥]، وانظر: «الصحيححة» رقم [٢٤٧].

وَأَمَلْتِكُمْ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ [البقرة: ١٦١، ١٦٢].

كذلك ينبغي أن نفهم قوله - صلى الله عليه وسلم -: «الإسلام يجُبُّ ما كان قبله» على أن الإسلام يهدم ما قبله من الخطايا، فهو وارد في السيئات السابقة، وأما الحسنات السابقة فقد دلت عدة أحاديث على نفس ما دل عليه حديث أبي سعيد السابق من أن الكافر إذا أسلم نفعه عمله الصالح في الجاهلية، بخلاف ما إذا مات على كفره، فإنه لا ينفعه، بل يحبط بكفره<sup>(١)</sup>؛ منها: ما رواه حكيم بن حزام - رضي الله عنه - أنه قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أي رسول الله! رأيت أموراً كنت أتحنث<sup>(٢)</sup> بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم، أفيها أجر؟» فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أسلمت على ما أسلفت من خير»<sup>(٣)</sup>.

وعن أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق - رضي الله عنهما - قالت: قلت: «يا رسول الله! ابن جُذعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المساكين، فهل ذلك نفعه؟» فقال - صلى الله عليه وسلم -: «لا يا عائشة، إنه لم يقل يوماً، رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»<sup>(٤)</sup>.

وقد دلت بعض الأحاديث على أن هناك أعمالاً ينتفع المؤمن بها حتى وهو بين أطباق الثرى منها:

- (١) ولذلك قيل: «سيئة المؤحِّد أفضل من حسنة المشرك، وسيئة المسلم تغفر، وحسنة الكافر لا تُقبل».
- (٢) «أتحنث»: التحنث: التعبد، يقال: تحنَّت فلان، إذا فعل فعلاً يخرج به من الحنث، وهو الذنب والإثم.
- (٣) رواه البخاري رقم [١٤٣٦] (٤/٢٦٤ - طيبة)، ومسلم رقم [١٢٣].
- (٤) رواه مسلم رقم [٢١٤]، وانظر: «موسوعة المسلم في التوبة» للدكتور منير البياتي (٢/١٣٥٠-١٣٥٤).

ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه -: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:  
«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولدٍ  
صالح يدعوه»<sup>(١)</sup>.

وعنه - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن مما يلحق  
المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علمًا علّمه ونشره، وولدًا صالحًا تركه، ومصحفًا  
ورّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله  
في صحته وحياته يلحقه من بعد موته»<sup>(٢)</sup>.

أما من مات على الكفر فإن شؤم كفره يحول دون وصول ثواب أي عمل له،  
فعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -: «أن العاص بن وائل السهمي أوصى  
أن يُعتق عنه مائة رقبة، فأعتق ابنه هشام خمسين رقبة، وأراد ابنه عمرو أن يُعتق  
عنه الخمسين الباقية، قال: حتى أسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأتى  
النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا رسول الله! إن أبي أوصى أن يُعتق عنه  
مائة رقبة، وإن هشامًا أعتق عنه خمسين، وبقيت عليه خمسون، أفأعتق عنه؟ فقال  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إنه لو كان مسلمًا فأعتقتم عنه، أو تصدقتم عنه،  
أو حججتم عنه، بلَغَهُ ذلك»، وفي رواية للإمام أحمد: «فلو كان أقر بالتوحيد فَصُمَّتْ  
وتصدقت عنه، نفعه ذلك»<sup>(٣)</sup>.

ودل القرآن العظيم والسُّنة المشرفة على أن اليهودي أو النصراني إذا أسلم  
فإنه يُؤتى أجره مرتين، أما القرآن فقولُه - تعالى -: ﴿الَّذِينَ ءَايَنَهُمُ الْكُفْرَ مِنْ قَبْلِهِ﴾

- 
- (١) رواه مسلم رقم [١٦٣١]، وأبو داود [٢٨٨٠]، والترمذي [١٣٧٦]، والنسائي (٦/٢٥١).  
(٢) أخرجه ابن ماجة (١/١٠٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» [٢٤٩٠]، والبيهقي في «الشعب»  
[٣٤٤٨]، وحسنه الألباني في «أحكام الجنائز»، ص (٢٢٤).  
(٣) أخرجه أبو داود [٢٨٨٣]، وحسنه عبد القادر الأرناؤوط في «تحقيق جامع الأصول» (١١/٦٣٩).

هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُنَادَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ  
﴿٥٣﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ ﴿٥٢ - ٥٤﴾.

### وأما السُّنَّةُ الشريفة:

فعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه -: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ثلاثة يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبي - صلى الله عليه وسلم - فآمن به، واتبعه، وصدَّقه فله أجران»<sup>(١)</sup>... الحديث.

وفيه بيان سبب مضاعفة أجره: فأجرٌ لإيمانه بنبيه موسى أو عيسى - عليهما السلام -، وأجرٌ لإيمانه بمحمد - صلى الله عليه وسلم -، وكذا حكم الكتابية، لأن «النساء شقائق الرجال»<sup>(٢)</sup>، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -، وهذا مُطَرِّدٌ في معظم أحكام الشريعة، حيث يدخلن مع الرجال تبعاً إلا ما خصه الدليل.

وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: «كنت تحت راحلة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع، فقال قولا حسنا، فقال فيما قال: «من أسلم من أهل الكتاب فله أجره مرتين، وله مثل الذي لنا، وعليه مثل الذي علينا، ومن أسلم من المشركين فله أجره، وله مثل الذي لنا، وعليه مثل الذي علينا»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري في «الجهاد» رقم [٣٠١١] [٢٦٤/٧]، ورقم [٢٥٤٤] [٣٧٦/٦]، ومسلم رقم [١٥٤].

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٥٦/٦)، وأبو داود رقم [٢٣٦]، والترمذي رقم [١١٣] وصححه الشيخان: أحمد شاكر في «تحقيق الترمذي» (١/١٩٠)، والألباني في «صحيح الجامع» (٢٨١/٢).

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٥٩/٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٢٤/٨) [٧٧٨٦]، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم [٣٠٤].

وفي هذا الحديث إبطال للحديث الشائع: أنه - صلى الله عليه وسلم - قال في أهل الذمة: «لهم ما لنا، وعليهم ما علينا»، وهذا مما لا أصل له عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، بل ذلك الحديث الحسن صريح في أنه إنما قال ذلك فيمن أسلم من المشركين وأهل الكتاب<sup>(١)</sup>.

### ومجمل القول:

- ١- أن للعمل الصالح شروطًا ثلاثة هي: موافقة هدي النبي - صلى الله عليه وسلم -، وإخلاص النية لله - عزَّ وجلَّ -، وأن يكون فاعله مسلمًا.
- ٢- أن غير المسلم إذا أطاع الله بإخلاص لا ينفعه ذلك في الآخرة، بل عمله حابط.
- ٣- أن الله - سبحانه - يجازي الكافر على أعماله الحسنة في الدنيا فقط إذا شاء - عزَّ وجلَّ -.
- ٤- أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة لكنها لا تُقبل منهم إذا عملوها إلا بعد أن يُسلموا.
- ٥- أن الإسلام يمحو عن من أسلم ما اقترفه في الشرك من كفر ومعاصٍ إلا حقوق العباد.
- ٦- أن حسنات الكافر موقوفة:
  - فإن أسلم فإنها لا تحبط، بل تُقبل منه، ويُجازى عليها، وتنفعه في الآخرة.
  - وإن مات على الكفر - عيادًا بالله من ذلك - تحبط، ولا تنفعه في الآخرة.
- ٧- أن الكتابي إذا أسلم يُضاعف له أجره، لإيمانه بنبيه - عليه السلام - ورسول الله محمدٍ - صلى الله عليه وسلم -.

---

(١) انظر: «السلسلة الضعيفة» للألباني رقم [١١٠٣] (٣/٢٢٢-٢٢٥)، و«السلسلة الصحيحة» له أيضًا رقم [٣٠٣].

## الإسلام بالله

### (٧) رُوحُ الدِّينِ وَسِرُّ حَيَاتِهِ

الإيمان حياة، والكفر موت، و«لا إله إلا الله» هي روح الإيمان، وسر حياته. والحياة الحقيقية لا تكون إلا بإخلاص الدين لله، ومتابعة الوحي المنزل على رسوله - صلى الله عليه وسلم -، كما قال - تعالى - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾<sup>(١)</sup> [الأنفال: ٢٤]، فهذه الآية الكريمة تدل على أن «الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة؛ فلا حياة له - وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات - فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهراً وباطناً، فهؤلاء هم الأحياء - وإن ماتوا -، وغيرهم أموات - وإن كانوا أحياء الأبدان -، ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم -، فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة، فمن فاته جزء منه؛ فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول - صلى الله عليه وسلم -»<sup>(٢)</sup>.

وأعظم أمر دعا إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بل جميع الرسل - هو توحيد الله - عزَّ وجلَّ -، وإخلاص الدين له - تبارك وتعالى -، وأعظم نهى حذروا

(١) قال السدي في تفسيرها: «ففي الإسلام إحياءهم بعد موتهم بالكفر» اهـ. من «تفسير القرآن العظيم» (٣٧/٤).

(٢) «الفوائد» لابن القيم ص (٨٧).

منه ونهوا عنه هو الإشراف بالله - تعالى - ، قال - عز وجل - : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وهذا معنى «لا إله إلا الله».

ولقد سمي الله - تعالى - الوحي رُوحًا في قوله - عز وجل - : ﴿ يُنزِلُ الْمَلَكُوتَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرٍ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢]. قال الزجاج: «الروح: ما تحيا به القلوب من هداية الله - تعالى - لها».

قال القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية - رحمه الله - : «وهذا قول حسن، وكان اللفظة على جهة التشبيه بالمقايسة، أي: إن هذا الذي أمر الأنبياء أن يُنذروا به الناس من الدعاء إلى التوحيد هو بالمقايسة إلى الأوامر التي هي في الأفعال والعبادات كالروح للجسد، ألا ترى قوله - تعالى - : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا ﴾ [الأنعام: ١٢٢]؟<sup>(١)</sup>»

فـ «لا إله إلا الله» للإيمان كالروح للجسد، إذا فارقت فارق الحياة، وصار جثة جامدة، بخلاف ما عداها من الأعمال فإنه - مع بقاء الروح تبقى الحياة، ولو تلفت بعض الأعضاء، وتعطلت بعض الجوارح.

وقال سفيان بن عيينة: «يقال: لا إله إلا الله في الآخرة بمنزلة الماء في الدنيا، لا يحيى شيء في الدنيا إلا على الماء، قال الله - تعالى - : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].»

فلا إله إلا الله بمنزلة الماء في الدنيا: من لم تكن معه لا إله إلا الله فهو ميت، ومن كانت معه لا إله إلا الله فهو حي»<sup>(٢)</sup>.

(١) «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٢٧).

(٢) «حلية الأولياء» (٧/ ٢٧٢).



وقال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال - تعالى -: ﴿ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ [غافر: ١٥]، فالروح في هذه الآيات يراد بها - على الأظهر - الوحي<sup>(١)</sup>، الذي من جملته القرآن الكريم، لأن الوحي به حياة الأرواح، كما أن الغذاء به حياة الأجسام، والقرآن يُحيي القلوب التي أماتها الجهل.

قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ أَوْمَنَ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «أومن كان كافراً فهديناه»، فالقرآن يُحيي القلوب التي أماتها الجهل<sup>(٢)</sup>.

وقال - سبحانه -: ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَوْ أُمَّدِيبِينَ ﴾ [النمل: ٨٠] أي: لا تُسمع الكفار، الذين أمات الله قلوبهم، وكتب عليهم الشقاء في سابق علمه إسماع هدىً وانتفاع، ويدل لهذا قرينة قوله - تعالى - بعده

(١) ومما يدل على أن المراد بالروح الوحي، إتيانه بعد قوله - تعالى -: ﴿ يُزِيلُ الْمَلٰٓئِكَةُ بِالرُّوحِ ﴾، بقوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ أَنْ أَنْذِرُوا ﴾، لأن الإنذار إنما يكون بالوحي، بدليل قوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنْذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴾ [الأنبياء: ٤٥]، وكذلك إتيانه بعد قوله: ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ بقوله: ﴿ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ اهـ. من «أضواء البيان» (٣/ ١٩١).

(٢) وقد قال بعض شعراء البصرة في هذا المعنى:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله	فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرء لم يحيى بالعلم ميّت	فليس له حتى النشور نشور

مباشرة: ﴿إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup> [النمل: ٨١] فمقابلته - عزَّ وجلَّ - الإسماع المنفي في الآية عن الموتى بالإسماع المثبت فيها لمن يؤمن بآياته، فهو مسلم، دليل واضح على أن المراد بالموت في الآية: موت الكفر والشقاء، لا موت مفارقة الروح للبدن، ولو كان المراد بالموت في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ مفارقة الروح للبدن، لما قابل قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ بقوله: ﴿إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ بل لقابله بما يناسبه، كأن يقال: إن تسمع إلا من لم يمت، أي: يفارق روحه بدنه.

وإذا علمت أن هذه القرينة القرآنية دلت على أن المراد بالموتى هنا الأشقياء الذين لا يسمعون الحق سماع هدى وقبول:

(١) وهذه الآية الكريمة أنزلها الله - تعالى - تسليية ومواساة لنبيه - صلى الله عليه وسلم - فقد كان - صلى الله عليه - يحزنه عدم إيمان الكفار، قال - تعالى - : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، وقال - تعالى - : ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨]، وقال - عزَّ وجلَّ - : ﴿لَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ الْآلَاءِ كُونَُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، فأنزل الله - تعالى - آيات كثيرة تسليية له - صلى الله عليه وسلم - بين له فيها: أنه لا قدرة له على هدى من أضله الله، فإن الهدى والإضلال بيده - جل وعلا - وحده، وأوضح له أنه نذير، وقد أتى بما عليه فأنذرهم على أكمل الوجوه وأبلغها، وأن هداهم وإضلالهم بيد من خلقهم - سبحانه - قال - تعالى - : ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]، وقال - سبحانه - : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وقال - جل وعلا - : ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]. فمن الآيات النازلة تسليية له - صلى الله عليه وآله وسلم - قوله هنا: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ أي: لا تسمع من أضله الله إسماع هدى وقبول، ﴿إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ يعني: ما تسمع إسماع هدى وقبول، إلا من هديناهم للإيمان بآياتنا فهم مسلمون، ولو كان معنى الآية وما شابهها ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ أي الذين فارقت أرواحهم أبدانهم لما كان في ذلك تسليية له - صلى الله عليه وسلم - كما ترى. انتهى من «أضواء البيان» (٦/ ٤١٨ ، ٤١٩) بتصرف.

فاعلم أن استقراء القرآن العظيم يدل على هذا المعنى كقوله - تعالى - :  
﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٦]، وقد  
أجمع من يُعْتد به من أهل العلم أن المراد بالموتى في قوله: ﴿ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ : الكفار، ويدل له مقابلة الموتى في قوله: ﴿ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ بالذين  
يسمعون في قوله ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ ، ويوضح ذلك قوله - تعالى -  
- قبله: ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْتِطْعَتَ أَنْ تَبْنِعِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ  
سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهِمْ بِنَايَةٍ ﴾ أي فافعل، ثم قال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى  
الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣٥) ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٥، ٣٦]  
الآية، وهذا واضح فيما ذكرنا، ولو كان يُراد بالموتى من فارقت أرواحهم أبدانهم  
لقابل الموتى بما يناسبهم، كأن يقال: إنما يستجيب الأحياء: أي الذين لم تفارق  
أرواحهم أبدانهم. وكقوله - تعالى - : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا  
يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِمُخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ  
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فقوله - تعالى - في هذه الآية الكريمة: ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا ﴾ : أي  
كافراً، ﴿ فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ : أي بالإيمان والهدى. وهذا لا نزاع فيه، وفيه إطلاق  
الموت، وإرادة الكفر بلا خلاف. وكقوله: ﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى  
الْكَافِرِينَ ﴾ [يس: ٧٠].

وكقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ [فاطر: ٢٢] أي لا يستوي  
المؤمنون والكافرون.

وقال الله - تعالى - في سورة فاطر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، والمراد بقوله - تعالى - ﴿مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ هو نفس المراد في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨٠]، لأن المراد بالموتى ومن في القبور واحد، كقوله - تعالى -: ﴿وَأَنْتَ اللَّهُ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧٠] أي: يبعث جميع الموتى: من قُبر منهم، ومن لم يُقبر<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: «أضواء البيان» (٦/٤١٦-٤١٩)، وانظر أيضًا: «مفهوم الحياة في القرآن والحديث» وهي رسالة دكتورة للدكتور/ محمد الأحمدى، طبعة دار السلام - مصر - (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).

## الإيمان بالله (٨) بَرَّةُ الْإِيمَانِ

عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الإيمان ليخلق<sup>(١)</sup> في جوف أحدكم<sup>(٢)</sup> كما يخلق الثوب، فاسألوا الله - تعالى - أن يجدد الإيمان في قلوبكم»<sup>(٣)</sup>. فشبهه - صلى الله عليه وسلم - الإيمان بالشيء الذي لا يستمر على هيئته، والعبد يتكلم بكلمة الإيمان، ثم يدنسها بسوء أفعاله، فإذا عاد واعتذر؛ فقد جدد ما أخلق، وطهر ما دنس.

قوله - صلى الله عليه وسلم -: «فاسألوا الله - تعالى - أن يجدد الإيمان في قلوبكم» حتى لا يكون لقلوبكم وجهة لغيره، ولا رغبة لسواه، ولهذا قال معاذ - رضي الله عنه - لبعض صحبه: «اجلس بنا نؤمن»، أي نذكره ذكرًا يملأ قلوبنا، وكان الصديق - رضي الله عنه - يقول: «كان كذا، لا إله إلا الله، فقلت: كذا، لا إله إلا الله»، فلا يتكلم بكلمة إلا ختمها به<sup>(٤)</sup>.

---

(١) أي: يكاد أن يبلى، وإخلاق الثوب: تقطيعه، يقال: خلقت الثوب، وأخلق، وفي الحديث: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كسا أم خالد خميصة، فألبسها إياها بيده، وقال: «أبلي وأخلق» مرتين، رواه البخاري (٢٥٦/١)، ومعناه: الدعاء لها بطول العمر حتى تبلي الثوب، وتخلقه، وقد عاشت طويلاً - رضي الله عنها - حتى تغير لون قميصها إلى الاسوداد.

(٢) في جوف أحدكم أيها المؤمنون.

(٣) أخرجه الحاكم (٤/١) وقال: «رواته مصريون ثقات»، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (٥٢/١): «رواه الطبراني في (الكبير)، وإسناده حسن» اهـ.

(٤) «فيض القدير» للمناوي (٢/٣٢٣، ٣٢٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أكثرُوا من شهادة أن لا إله إلا الله<sup>(١)</sup>، قبل أن يُحال بينكم وبينها<sup>(٢)</sup>، ولقنوها موتاكم<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

ويُروى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لأصحابه: «جَدِّدُوا إيمانكم»، قيل: يا رسول الله، وكيف نجدد إيماننا؟ قال: «أكثرُوا من قول: لا إله إلا الله»<sup>(٥)</sup>.

فالمداومة على قول «لا إله إلا الله» تجدد الإيمان في القلب، وتملؤه نورًا، وتزيده يقينًا.

---

(١) أي: أكثرُوا النطق بها على مطابقة القلب.

(٢) بالموت، فلا تستطيعون الإتيان بها، وما للعمر إذا ذهب مسترجع، ولا للوقت إذا ضاق مستدرك.

(٣) الخطاب لمن حضر المحتَضِر، رجاء أن يقولها فيفلح، والمراد بموتاكم: من حضره الموت، لأنه لا يزال في دار التكليف، بخلاف من مات فإنه خرج من دار التكليف إلى دار الجزاء. قال المناوي - رحمه الله -: «فيندب تلقينه: لا إله إلا الله، ولا يلحق: محمد رسول الله، خلافًا لجمع» اهـ. من «فيض القدير» (١٩/٢).

(٤) عزاه الألباني إلى أبي يعلى في «مسنده» (٤/١٤٦٠)، وابن عدي في «الكامل»، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/٣٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/٢٠٧/٢)، وحسنه في «الصحيح» رقم [٤٦٨].

(٥) رواه الإمام أحمد (٢/٣٥٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/٣٥٧)، وعبد بن حميد [١٤٢٤]، والبزار [٦٦٤ - كشف الأستار]، والحاكم (٤/٢٥٦)، وقال: «صحيح»، واعترضه الذهبي بأن فيه صدقة بن موسى، وقد ضعفه ابن معين، وأبو داود، والنسائي، وغيرهم، وقال أبو حاتم الرازي: «يُكتب حديثه، ولا يحتج به، ليس بالقوي» اهـ. ومع ذلك قال الهيثمي: «إن سند أحمد جيد»، وقال في موضع آخر: «إسناده ثقات» اهـ. من «فيض القدير» (٣/٣٤٥)، والحديث رمز له السيوطي بالصحة، وقال الشيخ أحمد شاكر في «تحقيق المسند»: «إسناده حسن» اهـ. رقم [٨٦٩٥] [٢٨٩/١٦].

وفي الحديث دلالة على أن هذه الكلمة الشريفة لَمَّا كانت محصَّلةً للإسلام ابتداءً؛ تكون مُجَدِّدَةً له، ومحصَّلةً لمثل الثواب السابق، وكلما أكثر من ذكرها؛ ازداد قوةً في الإيمان، وكثرةً في الثواب، وفضلُ الله واسعٌ (١).

كما أن «لا إله إلا الله» تعالج الجرح الذي يחדش جناب التوحيد:

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من حلف منكم فقال في حَلْفِهِ (٢): باللات والعزى، فليقل (٣): لا إله إلا الله» (٤).

قال محيي السُّنة البغوي - رحمه الله -: «فيه دليل على أنه لا كفارة على من حلف بغير الإسلام، بل يأثم به، ويلزمه التوبة، لأنه جعل عقوبته في دينه، ولم يوجب في ماله شيئاً، وإنما أمره بكلمة التوحيد، لأن اليمين إنما تكون بالمعبود، فإذا حلف باللات والعزى، فقد ضاهى الكفار في ذلك، فأمر بأن يتداركه بكلمة التوحيد» (٥).

---

(١) «الفتح الرباني» للساعاتي (٢١٤ / ١٤).

(٢) أي: يمينه، لما تَعَوَّدَهُ من حَلْفِ أهل الجاهلية.

(٣) أي: متداركاً لدينه: «لا إله إلا الله»، لأن الحلف إنما هو بالله - تعالى - فإذا حلف باللات والعزى أو بأحدهما، أو بغيرها من الأصنام، فقد ساوى الكفار في هذا الحلف، وإن لم يقصد مساواتهم، فأمره الشارع أن يتدارك ذلك بكلمة التوحيد، قال ابن العربي - رحمه الله -: «من حلف بهما جاداً فهو كافر، ومن قال جاهلاً أو ذاهلاً؛ يقول كلمة التوحيد تكفر عنه ذلك، وترد قلبه من السهو إلى الذكر، ولسانه إلى الحق، وتنفي عنه ما جرى به من اللغو» اهـ. نقله عنه في «فتح المنعم» (١٦٧ / ٣).

(٤) رواه البخاري (٤٦٧ / ١١) رقم [٦١٠٧]، ومسلم [١٦٤٧] (١١ / ٥٦٨ - نووي)، وغيرهما.

(٥) «شرح السُّنة» (١٠ / ١٠).

## الاستئذان

### (٩) زكاة النفوس وطهارة القلوب

نجاسة الثوب والبدن والمكان يطهرها الماء، أما من تنجست روحه بالشرك، فإنه لا يقوى على تطهيرها منه إلا شهادة أن لا إله إلا الله، وبدون هذه الشهادة لا يمكن إزالة هذه النجاسة مهما عمل من الأعمال الصالحة.

ولأنه ليس في الوجود نجاسة أشد خبثًا من الشرك قال الله - تعالى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْرِفُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَعْرِفُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال - سبحانه -: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

### ذكر الدليل على نجاسة المشركين

قال الله - عزَّ وجلَّ - في الكافرين: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٤١].

وقال - سبحانه -: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢٥].

وقد صرح - سبحانه - بنجاسة الكفار في قوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ (١).

(١) النَّجَسُ: مصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث، والمفرد والمثنى والجمع، أو هو مجاز عن خبث الباطن، وفساد العقيدة.

قال الراغب الأصفهاني: «النجاسة: القذارة، وذلك ضربان: ضرب يدرك بالحاسة، وضرب يدرك بالبصيرة، والثاني وصف الله - تعالى - به المشركين، فقال: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة: ٢٨]» اهـ. من «المفردات» ص (٧٩١).



قال العلامة الطاهر بن عاشور - رحمه الله تعالى - في تفسيرها: «و(نَجَسٌ) صفةٌ مُشَبَّهَةٌ، اسمٌ للشيء الذي النجاسةُ صفةٌ ملازمةٌ له، وقد أُنيطَ وصفُ النجاسةِ بهم بصفةِ الإِشْرَاقِ، فعلمنا أنه نجاسةٌ معنويةٌ نفسانيةٌ، وليست نجاسةً ذاتيةً.

**والنجاسة المعنوية:** هي اعتبارُ صاحبٍ وصفٍ من الأوصافِ مُحَقَّرًا متجنَّبًا من الناسِ، فلا يكون أهلاً لفضل ما دام متلبساً بالصفة التي جعلته كذلك، فالمشركُ نَجَسٌ لأجل عقيدةِ إشراكه، وقد يكون جسده نظيفاً مطيباً لا يُستَقْدَرُ، وقد يكون مع ذلك مستَقْدَرُ الجسدِ ملطخاً بالنجاساتِ، لأن دينه لا يطلب منه التطهر، ولكن تنظفهم يختلف باختلاف عوائدهم وبيئتهم.

والمقصود من هذا الوصف لهم في الإسلام تحقيرهم وتبعيدهم عن مجامع الخير، ولاشك أن خباثة الاعتقاد أدنى بصاحبها إلى التحقير من قذارة الذات، ولذلك أُوجِبَ الغسلُ على المشرك إذا أسلم<sup>(١)</sup> انخلاعاً عن تلك القذارة المعنوية بالطهارة الحسية لإزالة خباثة نفسه، وإن طهارة الحدث لقریب من هذا.

(١) اختلف العلماء في إسلام الكافر الأصلي أو المرتد: هل يوجب الغسل؟ فقيل: يجب عليه الغسل مطلقاً، وقيل: لا يجب الغسل مطلقاً، وقيل: يستحب مطلقاً؛ وُجد منه ما يوجب الغسل أو لم يوجد، وقيل: يستحب الغسل إلا أن يُوجد منه ما يوجب الغسل حال كفره، فإنه يجب عليه الغسل، وتفصيل المسألة في المطولات، انظر: «بدائع الصنائع» (١/٩٠)، و«شرح فتح القدير» (١/٦٤)، و«حاشية الدسوقي» (١/١٣٠)، و«مواهب الجليل» (١/٣١١)، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٨/١٠٣)، و«المجموع شرح المهذب» (٢/١٧٣)، و«الكافي» (١/٥٧)، و«الإنصاف» (١/٢٣٦)، و«زاد المعاد» (٣/٦٢٧).

### تنبيه خطير:

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى -:

(إذا أراد الكافر الإسلام فليبادر به ولا يؤخره للاغتسال، بل تجب المبادرة بالإسلام، ويحرم تحريماً شديداً تأخيرهُ للاغتسال وغيره، وكذا إذا استشار مسلماً في ذلك حرم على المستشار تحريماً غليظاً أن يقول له: «أخّرهُ إلى الاغتسال»، بل يلزمه أن يحثه على المبادرة بالإسلام. هذا هو الحق والصواب، وبه قال الجمهور.

وحكى الغزالي - رحمه الله - في باب الجمعة وجهاً أنه يقدم الغسل على الإسلام ليُسَلِمَ مغتسلاً. قال: وهو بعيد. وهذا الوجه غلط ظاهر لاشك في بطلانه، وخطأ فاحش، بل هو من الفواحش =

## وصيغة الحصر في قوله ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ لإفادة نفي التردد في

= المنكرات، وكيف يجوز البقاء على أعظم المعاصي وأفحش الكبائر ورأس الموبقات وأقبح المهلكات لتحصيل غُسلٍ لا يُحَسَّبُ عبادةً لعدم أهلية فاعله.

وقد قال صاحب التتمة في باب الردة: «لو رضى مسلم بكفر كافر، بأن طلب كافر منه أن يلقيه الإسلام فلم يفعل، أو أشار عليه بالألّا يسلم، أو آخر عرض الإسلام عليه بلا عذر، صار مرتدًا في جميع ذلك؛ لأنه اختار الكفر على الإسلام».

وهذا الذي قاله إفراط أيضًا، بل الصواب أن يقال: ارتكب معصية عظيمة اهـ.

من «المجموع شرح المذهب» (١٢١/٣) طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

وقال السندي - رحمه الله - في شرحه للحديث الذي رواه النسائي عن قيس بن عاصم

- رضي الله عنه - أنه «أسلم، فأمره النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يغتسل بماءٍ وسِدْرٍ»:

«فأمره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي: بعدما أسلم كما هو الظاهر، وأما حَمَلُ (أسلم)

على أنه أراد الإسلام، فأمره النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - قبل أن يُسلم ليوافق الحديث

الآتي فبعيد، فالظاهر أنه أمر بالاغتسال إزالة لوسخ الكفر، ودفعًا لاحتمال الجنابة إذ الكافر لا

يخلو عن ذلك» اهـ. من «حاشيته على سنن النسائي» (١٠٩/١)، ثم علق السندي على حديث

ثمامة وفيه أنه اغتسل ثم دخل المسجد وشهد الشهادتين قائلًا: «فقدّم الاغتسال على الإسلام،

وهو - وإن كان فيه تعظيم الإسلام - لكن تقديمه على الاغتسال أولى، والله - تعالى - أعلم» اهـ.

من حاشيته على النسائي (١١٠/١).

وقال في «كشاف القناع»: «وقت وجوب الغسل: إذا أسلم، أي بعد النطق بالشهادتين» اهـ.

(١٤٥/١).

وقد أغرب بعض المالكية حيث صرّح بصحة الغسل قبل النطق بالشهادة، إذا أجمع بقلبه على

الإسلام، لأن إسلامه بقلبه إسلام حقيقي متى عزم على النطق من غير إباء، لأن النطق ليس ركناً

من الإيمان، ولا شرط صحة على الصحيح، كما في «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير»

(١٣٠/١، ١٣١).

ولذلك استنكره القرطبي - رحمه الله - قائلًا: «وقد أجاز ابن القاسم للكافر أن

يغتسل قبل إظهاره للشهادة بلسانه، إذا اعتقد الإسلام بقلبه، وهو قول ضعيف في

النظر، مخالف للأثر، وذلك أن أحدًا لا يكون بالنية مسلمًا دون القول، هذا قول

جماعة أهل السنة في الإيمان: إنه قول باللسان، وتصديق بالقلب، ويزكو بالعمل،

قال الله - تعالى -: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ اهـ. من «الجامع لأحكام

القرآن» (١٠٤/٨).

=

اعتبارهم نجسًا، فهو للمبالغة في اتصافهم بالنجاسة، حتى كأنهم لا وصف لهم إلا النَجَسِيَّة»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال علامة الشام القاسمي - رحمه الله تعالى - : «يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا» أي المطهّرة بواطنهم بالإيمان ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ أي: ذوو نجس، لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس، فهو مجاز عن خبث الباطن، وفساد العقيدة، مستعار لذلك، أو هو حقيقة، لأنهم لا يتطهرون، ولا يغتسلون، ولا يجتنبون النجاسات، فهي ملابسة لهم، أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها، مبالغة في وصفهم بها»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وقال العلامة الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله تعالى - : «يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا»، أي: ليس المشركون - كما تعلمون من حالهم - إلا أنجاسًا فاسدي الاعتقاد، يشركون بالله ما لا ينفع ولا يضر، فيعبدون الرجس من الأوثان والأصنام، ويدينون بالخرافات والأوهام، ولا يتنزّهون عن النجاسات ولا الآثام، ويأكلون الميتة والدم من الأقدار الحسية، ويستحلون القمار والزنا من الأرجاس المعنوية. وقد تمكنت صفات النجس منهم حسًا ومعنى حتى كأنهم عينه وحقيقته، فلا

= وقال النووي - رحمه الله - : «واتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء، والمتكلمين على أن المؤمن الذي يُحكم بأنه من أهل القبلة، ولا يخلد في النار، لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام، اعتقادًا جازمًا خاليًا من الشكوك، ونطق مع ذلك بالشهادتين، فإن اقتصر على أحدهما لم يكن من أهل القبلة أصلًا، بل يخلد في النار، إلا أن يعجز عن النطق لخلل في لسانه» اهـ. من «شرح النووي لصحيح البخاري» ص (١١٣)، كما نقله عنه الغنيمان في «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (٣٩/١).

(١) «التحرير والتنوير» (٦/١٥٩، ١٦٠).

(٢) «محاسن التأويل» (٨/٣١٠١).

تمكّنوهم بعد هذا العام أن يقربوا المسجد الحرام بدخول أرض الحرم، فضلاً عن دخول البيت نفسه وطوافهم عراً فيه، وقيل: المراد بنجاستهم تلبسهم بها دائماً لعدم تعبدتهم بالطهارة كالمسلمين، وقول الجمهور بأن المراد النجاسة المعنوية أظهر، والجمع بين القولين أولى لأنه أعم.

وأما القول بنجاسة أعيانهم؛ فهو لا معنى له في لغة القرآن إلا قذاراتها الذاتية ومنتها، وذوات المشركين كذوات سائر البشر بشهادة الحس، ومن كابر شهادة الحسن كابر دلالة النظر العقلي واللغوي بالأولى. فمن المعلوم القطعي لكل مطلع على السيرة النبوية وتاريخ ظهور الإسلام بالضرورة أن المسلمين كانوا يعاشرون المشركين ويخالطونهم ولا سيما بعد صلح الحديبية إذ امتنع اضطهاد المشركين وتعذيبهم لمن لا عصبية له ولا جوار يمنعه منهم، وكانت رسالتهم ووفودهم تردّ على النبي - صلى الله عليه وسلم - ويدخلون مسجده، وكذلك أهل الكتاب كنصارى نجران واليهود، ولم يعامل أحداً منهم معاملة الأنجاس، ولم يأمر بغسل شيء مما أصابته أبدانهم<sup>(١)</sup>، بل روي عنه ما يدل على خلاف ذلك مما احتج به الجمهور على طهارة أبدانهم من الأحاديث الصحيحة، ومنها أنه - صلى الله عليه وسلم - توضأ من مَزادة<sup>(٢)</sup> مشرّكة، وأكل من طعام اليهود، وربط ثمامة بن أثال - وهو مشرك - بسارية من سواري المسجد، ومنها إطعامه هو وأصحابه للوفد من الكفار، ولم يأمر - صلى الله عليه وسلم - بغسل الأواني التي كانوا يأكلون ويشربون فيها، وروي أحمد وأبو داود من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: «كنا نغزو مع

(١) واعتبر ذلك أيضاً بأن الشريعة الشريفة أباحت للمسلم أن يتزوج كتابية، ولا يسلم من عرقها، والواجب عليه من الطهارة كما هو الواجب على من تزوج بالمسلمة.

(٢) المَزادة: وعاء يُحمل فيه الماء في السفر، كالقربة ونحوها.

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنصيب من آنية المشركين وأسقيتهم، فنستمع بها، ولا يعيب ذلك علينا»<sup>(١)</sup> اهـ<sup>(٢)</sup>.

وقال الأستاذ سيد قطب - رحمه الله تعالى -: «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ»<sup>(٣)</sup> يجسم التعبير نجاسة أرواحهم فيجعلها ماهيتهم وكيانهم، فهم بكليتهم وبحقيقتهم نجس، يستقذره الحس، ويتطهر منه المتطهرون! وهو النجس المعنوي لا الحسي في الحقيقة، فأجسامهم ليست نجسة بذاتها، إنما هي طريقة التعبير القرآنية بالتجسيم»<sup>(٣)</sup> اهـ.

ونجاسة المشرك ملازمة له، لا تطهرها المصائب المكفرة ولا الحسنات الماحية، بعكس المسلم، فإنه إذا تدنس بشيء من المعاصي - دون الشرك - فإنه قد تمحوها موانع إنفاذ الوعيد وهي: التوبة، والاستغفار، والحسنات الماحية، ودعاء المؤمنين، وإهداء القربات، والشفاعة، والمصائب المكفرة، والعفو الإلهي<sup>(٤)</sup>.

وقد نزه النبي - صلى الله عليه وسلم - المؤمن عن أن يوصف بالنجاسة: فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه لقيه النبي - صلى الله عليه وسلم - في طريق من طرق المدينة وهو جُنُب، فانسَلَّ فذهب فاغتسل، فتنفقه النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما جاءه قال: «أين كنت؟ يا أبا هريرة!» قال:

(١) أخرجه الإمام أحمد [١٥٠٥٣] [٢٣/٢٩٢]، وأبو داود [٣٨٣٨]، والبيهقي (١/٣٢)، (١١/١٠)، وقال محققو المسند: «إسناده قوي».

(٢) «التفسير المختصر المفيد للقرآن المجيد»، أو «مختصر تفسير المنار» للقاضي محمد أحمد كنعان (٣/٢٦٥).

(٣) «في ظلال القرآن» (٣/١٦١٨).

(٤) انظر تفصيلها في كتاب «موانع إنفاذ الوعيد» للدكتور عيسى السعدي - ط. دار ابن الجوزي - ١٤٢٦هـ.

يا رسول الله! لقيتني وأنا جُنُب، فكرهتُ أن أجالسك حتى أغتسل، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «سبحان الله! إن المؤمن لا ينجس»<sup>(١)</sup>.

وعن حذيفة - رضي الله عنه -؛ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقيه وهو جنب، فحاده فاعتسل، ثم جاء فقال: كنت جُنُبًا، قال: «إن المسلم لا ينجس»<sup>(٢)</sup>.

قال النووي - رحمه الله -: «هذا الحديث أصل عظيم في طهارة المسلم حيًّا وميتًا»<sup>(٣)</sup> اهـ.

- ومما يدل على نجاسة المشركين وصفهم بأنهم (لا يؤتون الزكاة) وهي شهادة أن لا إله إلا الله، فقد قال - تعالى -: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: ٦، ٧] قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: «لا يشهدون أن لا إله إلا الله، وهي زكاة الأنفس»<sup>(٤)</sup>.

وعن عكرمة قال: «لا يقولون: لا إله إلا الله»<sup>(٥)</sup>.

وقال قتادة: «لا يقرون بها، ولا يؤمنون بها»<sup>(٦)</sup>.

وقال السدي: «لا يدينون بها، ولو زكوا وهم مشركون لم ينفعهم»<sup>(٧)</sup>.

وقال معاوية بن قرة: «ليسوا من أهلها»<sup>(٨)</sup>.

(١) رواه البخاري (١/٣٩٠-فتح)، ومسلم [٣٧١].

(٢) رواه مسلم [٣٧١].

(٣) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢/٣٠٢) طبعة دار أبي حيان ١٤١٥هـ.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٥/٣٤٠)، وانظر: «تفسير الطبري» (٢٠/٣٧٩، ٣٨١).

(٥) «تفسير الطبري» (٢٤/٩٢)، وعزاه في «الدر المنثور» (١٣/٨٨) لعبد بن حميد والحكيم الترمذي.

(٦) «نفسه» (٢٤/٩٣).

(٧) «نفس المرجع» (٢٤/٩٣).

(٨) «تفسير القرآن العظيم» (٤/٩٢).

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى -: «قال - تعالى -:

﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: ٦، ٧].

أي لا يأتون ما تُزَكِّي به أنفسهم من التوحيد والإيمان، ولهذا فسرها غير واحد من السلف بأن قالوا: ﴿لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ لا يقولون: لا إله إلا الله، فعبادة الله وحده لا شريك له، وأن يكون الله أحبَّ إلى العبد من كل ما سواه، هو أعظم وصية جاءت بها الرسل، ودَعَوْا إليها الأمم».

وقال - رحمه الله تعالى -: «وقال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم: هي التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان الذي به يزكو القلب، فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب وذلك طهارته وإثبات إلهيته - سبحانه -، وهو أصل كل زكاة ونماء فإن التزكي - وإن كان أصله <sup>(١)</sup> النماء والزيادة والبركة - فإنه إنما يحصل بإزالة الشر. فلهذا صار التزكي ينتظم الأمرين جميعًا، فأصل ما تزكو به القلوب والأرواح: هو التوحيد، والتزكية: جعلُ الشيء زكيًا إما في ذاته وإما في الاعتقاد والخبر عنه، كما يقال: عدلته وفسقته، إذا جعلته كذلك في الخارج، وفي الاعتقاد والخبر» <sup>(٢)</sup> اهـ.

ومن الجهة المقابلة أثنى الله - عزَّ وجلَّ - على عباده المؤمنين، فذكر ضمن خصائصهم الشريفة وصفاتهم المنيفة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤].

(١) قال الواحدي: إن أصل مادة «زكا»: الزيادة، والنماء، يقال: زكا الزرع يزكو زكاءً، وكل شيء ازداد فقد زكا. ولما كان الزرع لا ينمو إلا إذا خلص من الدغل، كانت لفظة «الزكاة» تدل على الطهارة أيضًا. وإذا وصف الأشخاص بالزكاة - بمعنى الصلاح - فذلك يرجع إلى زيادة الخير فيهم، يقال: زكَّى القاضي الشهود: إذا بينَّ زيادتهم في الخير - وانظر: «فقه الزكاة» للقرضاوي (١/٣٧).

(٢) «بدائع التفسير» (٤/٩٥، ٩٦).

قال الراغب الأصبهاني: «أي: يفعلون ما يفعلون من العبادة ليزكيهم الله، أو ليزكوا أنفسهم، والمعنيان واحد. وليس قوله: «للزكاة» مفعولاً لقوله: «فاعلمون»، بل اللام فيه للعلة والقصد» اهـ<sup>(١)</sup>.

وقال موسى - عليه السلام - مخاطباً فرعون: ﴿ هَلْ لَكَ إِلَهٌ أَنْ تَزَكِّيَ ۗ ﴾<sup>(١٨)</sup> وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخَشَىٰ ﴿ [النازعات: ١٨، ١٩] أي: تتطهر من هذا الشرك بالتوحيد، قال عكرمة: «أي: إلى أن تقول: لا إله إلا الله». فالتوحيد هو الأصل في التزكية، بل لا يمكن أن تزكو النفس بأي عبادة من العبادات حتى تزكو بشهادة التوحيد أولاً. ولهذا كان أول واجب على المكلف أن يتبرأ من الشرك، ويكفر بالطاغوت، ويزكي قلبه ولسانه بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله قبل أي عبادة أخرى. ولهذا لما أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معاذاً - رضي الله عنه - إلى اليمن قال: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة» الحديث<sup>(٢)</sup>.

ولقد قال الله - عز من قائل -: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءآيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وجاء في دعاء إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام -: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءآيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

(١) «المفردات» ص (٣٨١).

(٢) تقدم تخريجه ص (١٤).



قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «فجمع بين التزكية من الكفر والذنوب» اهـ<sup>(١)</sup>.

وقال مقاتل بن حيان: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١]: «يطهركم من الذنوب»<sup>(٢)</sup>، هكذا قال في آية البقرة.

وقال في آية الجمعة: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة: ٢]: «يطهرهم من الذنوب والكفر»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن جريج: «يطهرهم من الشرك، ويُخَلِّصهم منه»<sup>(٤)</sup>.

وقال السدي: «يأخذ زكاة أموالهم»<sup>(٥)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: «فسروا الآية بما يعُمُّ زكاة الأموال وغيرها من الأعمال، فقال: بالإخلاص والطاعة؛ وتزكيتهم من الذنوب والكفر أعظم مقصود الآية، والمشركون نجس، والصدقة من تمام التطهر والزكاة، كما قال - تعالى -: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] اهـ<sup>(٦)</sup>.

وقال - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه: ٧٤-٧٦].

(١) «قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات» ص (٣٦).

(٢) «تفسير الطبري» (١/٥٥٨).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٨/٩٢).

(٤) «نفسه» (١٨/٩٢).

(٥) «نفسه» (١٨/٩٢).

(٦) «قاعدة حسنة» ص (٣٧).

وقال - تعالى - في دعاء إبراهيم وإسماعيل: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ الآية [البقرة ١٢٨]، وقد بين في سورة الجمعة أن تلك الأمة: العرب، وأن الرسول هو سيد الرسل محمد - صلى الله عليه وسلم -، وذلك في قوله - عز وجل -: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢، ٣]، لأن الأميين: العرب بالإجماع، والرسول المذكور: نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - بالإجماع، ولم يُبعث رسول من ذرية إبراهيم وإسماعيل إلا نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وحده، وثبت في الصحيح أنه هو الرسول الذي دعاه به إبراهيم<sup>(١)</sup>، ولا ينافي ذلك عموم رسالته إلى الناس كافة.

فجعل الله - تعالى - تزكية المؤمنين ضمن المهام الجسيمة بل الغايات العظيمة التي بَعَثَ من أجلها عبده ورسوله محمدًا - صلى الله عليه وسلم - لإنقاذ البشرية، وإخراجها من الظلمات إلى النور.

وجميع عقائد الإسلام وشرائعه وآدابه تؤدي إلى تزكية النفوس وتطبيها<sup>(٢)</sup>، وفي مقدمة ذلك كله تأتي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، يليها الصلاة، وشقيقتها الزكاة التي جاءت مقرونة بها في كتاب الله - تعالى - في سبعة وعشرين موضعًا.

قال الزمخشري: «فإن قلت: لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقرورًا بالكفر بالآخرة؟»

(١) وفي حديث أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله! ما كان أول بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى بي، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام» أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٦٢)، والطبراني [٧٧٢٩]، وقال الهيثمي في «المجمع»: «إسناده أحمد حسن» اهـ. (٨/ ٢٢٢).

(٢) انظر بيان ذلك في «الأصول العلمية للدعوة السلفية» ص (٢٦-٣٥).

**قلت:** لأن أحبَّ شيءٍ إلى الإنسان ماله، وهو شقيقُ رُوحه، فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوح طويته، ألا ترى إلى قوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ الآية [البقرة: ٢٦٥] أي: يثبتون أنفسهم ويدُلون على ثباتها بإنفاق الأموال..»<sup>(١)</sup>.

وقد جمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين تزكية النفوس بالتوحيد، وبذلِ الزكاة عن طيب نفس، ومراقبة الله - تعالى - في الحديث الذي رواه عبد الله بن معاوية الغاضري - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان: من عبد الله وحده، وأنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبةً بها نفسه رافدةً عليه<sup>(٢)</sup> كلَّ عام، ولا يُعطي الهَرمة، ولا الدَّرنة<sup>(٣)</sup>، ولا المريضة، ولا الشَّرط<sup>(٤)</sup>: اللثيمة<sup>(٥)</sup>، ولكن من وسط أموالكم، فإن الله لم يسألكم خيرَه، ولم يأمركم بشره<sup>(٦)</sup>»، زاد البيهقي في (سننه): «وزكى نفسه»، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: «أن يعلم أن الله - عزَّ وجلَّ - معه حيث كان»<sup>(٧)</sup>.

(١) «الكشاف» (٣/ ٣٨٣).

(٢) رافدة: فاعلة من الرُّفد وهو الإعانة، يقال: رفدته أرفده إذا أعتته، أي تعينه نفسه على أداء الزكاة.

(٣) الدرنة: الجرباء، وأصل الدر: الوسخ.

(٤) الشَّرط: قال أبو عبيد: هي صغار المال وشراره، وقال الخطابي: والشرط: رُدالة المال.

(٥) اللثيمة: البخيلة باللبن، ويقال: لثيم: للشحيح، والدني النفس، والمهين.

(٦) أخرجه أبو داود [١٥٨٢]، والطبراني في «الصغير» ص (١١٥)، والبيهقي في «السنن»

(٤/ ٩٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [١٠٤٦].

(٧) قال الإمام محمد بن يحيى الذهلي: «يريد أن الله علمه محيط بكل مكان، والله على العرش» اه من «مختصر العلو» رقم [٧٥].

## الاستِغْثَاءُ بِاللَّهِ

(١٠) **أَعْظَمُ نِعْمَةٍ عَلَى الرَّهْرِ بْنِ رِبْهَمًا**

ولذلك قال الله - عزَّ وجلَّ - في صدر سورة النحل التي تسمى سورة النِّعَمِ (١)  
حيث عدَّدَ الله - تعالى - فيها نِعَمَهُ على عباده: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]، فقدَّم ذكرها قبل كل نعمة، فدل ذلك على أن التوفيق لهذه الكلمة هو أعظم نعم الله - تعالى - التي أسبغها على عباده، كما قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، قال مجاهد: «لا إله إلا الله» (٢).

ولما كان التوفيق **للا إله إلا الله** أعظم نعمة قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

(١) ولسورة النحل اختصاص عظيم بالنعم، حيث ذُكرت فيها تسع مرات، قال - تعالى -: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (١٨)، وقال - سبحانه -: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (٥٣)، وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿أَفِينِعْمَةَ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٧١)، وقال - تعالى -: ﴿أَفِيَابِ الْبَطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (٧٢)، وقال تبارك اسمه: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٣)، وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١١٤)، وقال - سبحانه -: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ (٨١)، وقال جل وعلا: ﴿فَكَفَرْتَ بِنِعْمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِسَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١١٢)، وقال - سبحانه - في شأن إبراهيم - عليه السلام -: ﴿شَاكِرًا لِنِعْمِهِ﴾ (١٢١).

(٢) «جامع البيان» للطبري (٧٨ / ١١).

يعني بذلك الأعراب الذين يَمُنُّونَ بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول - صلى الله عليه وسلم -، يقول الله - تعالى - ردًّا عليهم: ﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمُ﴾ فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم، والله المنة عليكم فيه ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: في دعواكم ذلك <sup>(١)</sup>، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - للأَنْصَارِ يوم حنين: «يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلَّالًا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وكنتم عالةً فأغناكم الله بي؟» كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أَمَّنُ <sup>(٢)</sup>.

إن الله - تعالى - هو مصدر كل نعمة، كما قال - سبحانه -: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وإذا كانت النعمة الحقيقية هي المُفضية إلى السعادة الأخروية الأبدية الخالدة كما قال الله - تعالى -: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» <sup>(٣)</sup>.

وعن معاذ - رضي الله عنه - قال: مرَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - برجل يقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة، قال: «يا بن آدم أتدري ما تمام النعمة؟» قال: دعوةٌ دعوتُ بها أرجو بها الخير، قال: «فإن تمام النعمة فوزٌ من النار، ودخولُ الجنة» <sup>(٤)</sup>.

(١) انظر شرحه في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٧٥، ٣٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٦٤٤) رقم [٤٣٣٠]، ومسلم (٢/ ١٣٩ / ص ٧٣٨)، والإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٢).

(٣) رواه البخاري [٢٧٤١]، ومسلم [٣٣٦٦].

(٤) رواه الإمام أحمد [٢٢٠١٧]، وقال محققوه: «إسناده حسن».

فإن «لا إله إلا الله» كلمة الشهادة، ومفتاح دار السعادة، وإن التوفيق إليها هو المِنَّة العظمى والنعمة القصوى على من شاء الله - تعالى - هدايته .

ولذلك يقول أهل الجنة بعد استقرارهم فيها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وعن البراء - رضي الله عنه - قال: رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - ينقل معنا التراب يوم الأحزاب، وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول: «اللهم لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا» الحديث (١).

**وكان من شأنهم أن يجلسوا يشكرون لله نعمة الإسلام:**

فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله - عز وجل -، قال: الله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: الله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إنني لم أستحلفكم ثممة لكم، وما كان أحد بمنزلي من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقل عنه حديثاً مني، وإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج على حلقة من أصحابه، فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله - عز وجل -، ونحمدُه على ما هدانا للإسلام ومن علينا بك، قال: «الله ما أجلسكم إلا ذلك؟» قالوا: الله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: «أما إنني لم أستحلفكم ثممة لكم، وإنه أتاني جبريل - عليه السلام - فأخبرني أن الله - عز وجل - يباهي بكم الملائكة» (٢).

(١) أخرجه البخاري [٢٨٣٦]، ومسلم [١٨٠٣] [١٢٥]، وغيرهما.

(٢) رواه الإمام أحمد [١٦٨٣٥]، وقال محققوه: «إسناده صحيح»، ورواه مختصراً مسلم [٢٧٠١]، والترمذي [٣٣٧٩]، وابن حبان [٨١٣]، والطبراني في «الكبير» (٧٠١ / ١٩).

وقال سفيان بن عيينة: «ما أنعم الله على العباد نعمةً أفضلَ من أن عرفهم  
(لا إله إلا الله)، فإن (لا إله إلا الله) لهم في الآخرة كالماء في الدنيا»<sup>(١)</sup>.

ورُوي عن منصور بن صافية أنه قال: مرَّ النبي - صلى الله عليه وسلم -  
برجل وهو يقول «الحمد لله الذي هداني إلى الإسلام، وجعلني من أمة أحمد  
- صلى الله عليه وسلم -، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لقد شكرت  
عظيمًا»<sup>(٢)</sup> الحديث.

وعن عبد الملك بن مروان قال: ما قال عبدٌ كلمةً أحبَّ إليه وأبلغ في الشكر  
عنده من أن يقول: «الحمد لله الذي أنعم علينا، وهدانا للإسلام»<sup>(٣)</sup>.

وقال يوسف - عليه السلام -: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ  
بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ  
لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ  
النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧، ٣٨].

«فهي ملة التوحيد الخالص الذي لا يشرك بالله شيئاً قط.. والهداية إلى  
التوحيد فضل من الله على المهتمدين، وهو فضل في تناول الناس جميعاً لو  
اتجهوا إليه وأرادوه. ففي فطرتهم أصوله وهواتفه، وفي الوجود من حولهم  
موجباته ودلائله، وفي رسالات الرسل بيانه وتقريره. ولكن الناس هم الذين لا  
يعرفون هذا الفضل ولا يشكرونه»<sup>(٤)</sup> اهـ.

(١) «حلية الأولياء» (٧/ ٢٧٢).

(٢) رواه البيهقي في «الدعوات الكبير» رقم [٢٤٧]، وقال عقبه: «هذا منقطع، وقد رُوي من أوجه  
أخرَ موصولاً، وهذا - مع انقطاعه - أصح» اهـ. ص (١٧٨).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» [١٠].

(٤) «في ظلال القرآن» (٤/ ١٩٨٩).

وروي عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «كل مولود (١) يولد على الفطرة (٢) حتى يُعرب عنه لسانه (٣)، فإذا أعرب عنه لسانه، إما شاكراً (٤) وإما كفوراً» (٥).

ولا شك أن التوفيق لشهادة التوحيد والانتظام في سلك الموحدين هو أعظم نعمة ينعمها الله على العبد، وأنها تدخل دخولاً أولياً في قوله - تعالى -: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقوله - تعالى -: ﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقوله - عز وجل -: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاحة: ٧]. وقد ندبنا الله - تعالى - إلى مقابلة نعمة الإسلام والتوحيد وبعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأن نذكره، ونشكر له.

---

(١) كل مولود: من بني آدم.

(٢) يولد على الفطرة: اللام للعهد، والمعهود: فطرة الله التي فطر الناس عليها، أي: الخلقة التي خلق الناس عليها من الاستعداد لقبول الدين، والتأبي عن الباطل، والتمييز بين الخطأ والصواب.

(٣) حتى يعرب عنه لسانه: فحينئذ إن ترك بحاله، وخُلِّي وطبعه، ولم يتعرض له من الخارج من يصدّه عن النظر الصحيح من فساد التربية، وتقليد الأبوين، والإلف بالمُحَسَّات، والانهماك في الشهوات؛ عرف الصواب، ولزم ما طُبِع عليه في الأصل، ولم يختر إلا الملة الحنيفية.

(٤) أي صار إما شاكراً.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٣/١١٣) [١٤٨٠٥] وفيه أبو جعفر عيسى بن أبي عيسى الرازي، مشهور بكنيته، ضعيف سيئ الحفظ، وفي روايته عن الربيع بن أنس اضطراب، وقد صرح الحسن بالسماح من الأسود عند الطحاوي وغيره، انظر: «شرح مشكل الآثار» (١٣/٤) رقم [١٣٩٤].



قال الله - تعالى - : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٥١) فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿ [البقرة ١٥١، ١٥٢].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : «يُذَكِّرُ - تعالى - عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - إليهم، يتلو عليهم آيات الله مبینات ويزكيهم، أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويعلمهم الكتاب - وهو القرآن - والحكمة - وهي السنة - ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون. فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالقول الفري، فانتقلوا ببركة رسالته، ويؤمن سفارته، إلى حال الأولياء، وسجايا العلماء، فصاروا أعمق الناس علمًا، وأبرهم قلوبًا، وأقلهم تكلفًا، وأصدقهم لهجة. وقال - تعالى - : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٤]، وذم من لم يعرف قدر هذه النعمة، فقال - تعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : يعني بنعمة الله محمدًا - صلى الله عليه وسلم -، ولهذا ندب الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره، فقال: ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾، قال مجاهد في قوله: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ ﴾: كما فعلت فأذكروني<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (١/٤١٨، ٤١٩).

# الاستِغْثَالُ لِلَّهِ

## (١١) أَيْضًا الذِّكْرُ

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: «أفضل الذكر (١): لا إله إلا الله (٢)، وأفضل الدعاء: الحمد لله» (٣).

(١) أي بعد القرآن الكريم، وذلك لحديث سمرة بن جندب الآتي: «أفضل الكلام بعد القرآن أربع» الحديث، وسأل رجل النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إني لا أستطيع أن آخذ شيئاً من القرآن، فعلمني ما يجزئني في صلاتي، قال: قل: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» (صحيح أبي داود) (١/١٥٧)، فلا يُعدّل عن القراءة الواجبة في الصلاة إلى الذكر إلا عند العجز عن القراءة، فدل على أفضلية القرآن الكريم.

كما أن الطهارة الكبرى تشترط للقراءة دون الذكر، وما لم يشرع إلا على الحال الأكمل فهو أفضل.

فالقرآن الكريم أفضل الذكر مطلقاً، لكن الذكر الموظّف في وقته يكون أفضل من غيره، فالعمل المفضول قد يقترن به ما يجعله أفضل من غيره، وقد روى الطبري عن عمرو بن سلمة، قال: سألت الأوزاعي عن قراءة القرآن أعجب إليك أم الذكر؟ فقال: سل أبا محمد - يعني سعيد بن عبد العزيز التنوخي -، فسألته، فقال: «بل القرآن»، فقال الأوزاعي: «إنه ليس شيء يعدّل القرآن، ولكن إنما كان هديّ من سلف يذكرون الله - تعالى - قبل طلوع الشمس وقبل الغروب» انظر: «التذكار في أفضل الأذكار» للقرطبي ص (٥٩).

(٢) إذ لا يصح الإيمان إلا به، ولأن فيه إثبات الإلهية لله ونفيها عما عداه، وليس ذا في سواه من الأذكار، ولأن للتهليل تأثيراً في تطهير الباطن عن الأوصاف الذميمة، قال بعضهم: «إنما كانت أفضل لأنها كلمة توحيد، والتوحيد لا يماثله شيء، إذ لو ماثله شيء ما كان واحداً، بل اثنين فصاعداً، فما تمّ ما يزنه إلا المعادل والمماثل، ولا معادل ولا مماثل، فذلك هو المانع لـ (لا إله إلا الله) أن تدخل ميزان أعمال المشرك يوم القيامة، فإن الشرك الذي يقابل التوحيد لا يصح وجوده من العبد مع وجود التوحيد، فإن الإنسان إما مشرك وإما موحد؛ فلا يزن التوحيد إلا الشرك، ولا يجتمعان في ميزان أبداً» - وانظر: «فيض القدير» للمناوي (٢/٣٣).

(٣) أخرجه الترمذي [٣٣٨٣] وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وابن ماجه [٣٨٠٠]، والحاكم (١/٥٠٣)، وصححه، ووافقه الذهبي، وابن حبان [٨٣٦]، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم [١٤٩٧].

وَرُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «أَفْضَلُ مَا قَلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ قَبْلِي عَشِيَّةَ عَرَفَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - مرفوعاً: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قَلْتَهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»<sup>(٢)</sup>.

وعن يحيى بن طلحة، قال: رأى عمرُ طلحةَ بنَ عبيد الله حزيناً، فقال: مالك؟ قال: إني سمعتُ رسولَ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، يقول: إني لأعلم كلماتٍ لا يقولهنَّ عبداً عند الموت إلا نَفَسَ عنه، وأشرق لها لونها، ورأى ما يسره، فما يمنعني أن أسأله عنها، إلا القدرةَ عليها، فقال عمر: إني لأعلم ما هي؟ قال: هل تعلم كلمةً هي أفضلُ من كلمةٍ دعا إليها رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَمَّهُ عند الموت؟ قال طلحة: هي والله هي، قال عمر: «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>(٣)</sup>.

وعن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أَفْضَلُ الْكَلَامِ بَعْدَ الْقُرْآنِ أَرْبَعٌ؛ وَهِنَّ مِنَ الْقُرْآنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الطبراني في «الدعاء» رقم [٨٧٤] [١٢٠٦/٢]، وصححه الألباني في «الصحيح» [١٥٠٣]، وقال - رحمه الله -: «الحديث ثابت بمجموع طرقه».

(٢) أخرجه الترمذي [٣٥٨٥]، وحسنه الألباني في «الصحيح» (٤/٧، ٨) بشواهده، وكذا في «الصحيح» رقم [١٥٠٣].

(٣) قال الهيثمي في «المجمع»: «رواه أبو يعلى - رقم [٦٥٥] [٢/٢٢، ٢٣] -، ورجاله رجال الصحيح» اهـ. (٢/٣٢٥).

(٤) رواه مسلم [٢١٣٧] [١٢] بلفظ: «أحب الكلام إلى الله أربع...» الحديث، واللفظ المذكور هنا رواه الإمام أحمد رقم [٢٠٢٢٣]، [٢٠١٢٦]، وصرح شيخ الإسلام ابن تيمية في «الرد على المنطقيين» ص (٣٥) بتواتره.

وتقدم<sup>(١)</sup> أن «لا إله إلا الله» أعلى شعب الإيمان، فهي أفضلها على الإطلاق.  
ولأنها أفضل الذكر؛ حث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمته  
على الإكثار منها وتكرارها، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله  
- صلى الله عليه وسلم - قال: «أكثرُوا من شهادة أن لا إله إلا الله، قبل أن يُحالَ بينكم  
وبينها، ولقنوها موتاكم»<sup>(٢)</sup>.

ومن فضائلها أيضًا: ما رُوِيَ عن ابن عمر عن أبيه - رضي الله عنهما - أن  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من قال في سوق: لا إله إلا الله وحده، لا  
شريك له، له الملك، وله الحمد، يُحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخيرُ، وهو  
على كل شيء قدير؛ كتب الله له ألفَ ألفِ حسنةٍ، ومحى عنه ألفَ ألفِ سيئةٍ، وبنى له  
بيتًا في الجنة»<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع ص (٢٨).

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» رقم [٦١٤٧]، والخطيب في «تاريخه» (٣/٣٨)، وقال الهيثمي:  
«رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير ضمام بن إسماعيل، وهو ثقة» اهـ. «المجمع»  
(١٠/٨٢)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم [٤٦٨].

(٣) أخرجه الترمذي [٣٤٢٩]، وابن ماجه [٢٢٣٥]، والإمام أحمد رقم [٣٢٧]، وقال محققوه:  
«إسناده ضعيف جداً»، وغيرهم، وقال البغوي: «هذا حديث حسن غريب» اهـ. من «شرح السنة»  
(٥/١٣٣)، وقال المنذري: «إسناده متصل حسن، ورواته ثقات أثبات، وفي أزهر بن سنان  
اختلاف، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به» اهـ. من «الترغيب والترهيب» (٢/٥٣١)، وقال  
الشوكاني: «أقل أحواله أن يكون حسناً، وإن كان في ذكر العدد على هذه الصفة نكارة» اهـ. من  
«تحفة الذاكرين» ص (١٧٩، ١٨٠)، وقال الألباني: «الحديث حسن بمجموع طرقه» اهـ. من  
«تخريج أحاديث الكلم الطيب» ص (١١٧) - واعلم أن عظم الثواب الوارد في هذا الحديث  
- إن ثبت - إنما هو بسبب أنه يتضمن كلمة التوحيد التي هي أعظم الكلام وأفضله، أو لأن السوق  
موضع غفلة عن ذكر الله - تعالى -، والله أعلم.

وعن أبي عياش الزرقبي - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من قال إذا أصبح: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، كان له عدلٌ رقبةٌ من ولد إسماعيل - عليه السلام -، وكُتِبَ له عشر حسنات، وحُطَّ عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان في حِرْزٍ من الشيطان حتى يُمسي، وإن قالها إذا أمسى كان له مثل ذلك حتى يصبح»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من قال حين يصبح: (لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يُحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير) عشر مرات، كتب الله له بكل واحدة قالها عشر حسنات، وحُطَّ عنه بها عشر سيئات، ورفع الله بها عشر درجات، وكُنَّ له كعشر رقاب، وكُنَّ له مَسْلَحَةٌ من أول النهار إلى آخره، ولم يعمل يومئذ عملاً يقهرهن، فإن قال حين يمسي فمثل ذلك»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من قال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير) في يوم مائة مرّة كانت له عدلٌ عشرِ رقاب، وكُتِبَ له مائة حسنة، ومُحِيَ عنه مائة سيئة، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به، إلا أحدٌ عمل أكثر من ذلك»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) رواه أبو داود [٥٠٧٧]، وهو في «صحيح أبي داود» رقم [٤٢٤٠]، و«صحيح ابن ماجه» رقم [٣١١٨].

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤٢٠/٥)، وقال الألباني: «هذا سند صحيح، رجاله كلهم ثقات» اهـ. من «الصحيحة» رقم [١١٤]، [٢٥٦٣].

(٣) رواه البخاري [٣٢٩٣]، [٦٤٠٣]، ومسلم [٢٦٩١].

وعن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -  
قال: «من قالها عشرَ مرات كان كمن أعتقَ أربعةَ أنفسٍ من ولدِ إسماعيل»<sup>(١)</sup>

وعن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
«من قال: اللهم! إني أشهدك، وأشهد ملائكتك وحملة عرشك، وأشهد من في  
السموات ومن في الأرض: أنك أنت الله، لا إله إلا أنت وحدك، لا شريك لك، وأشهد  
أن محمدًا عبدك ورسولك، من قالها مرة؛ أعتق الله ثلثه من النار، ومن قالها مرتين؛  
أعتق الله ثلثيه من النار، ومن قالها ثلاثاً؛ أعتق الله كله من النار»<sup>(٢)</sup>.

فلـ «لا إله إلا الله» فضائل عظيمة كثيرة، وقد اقترنت في كثير من النصوص  
بغيرها من ألفاظ الثناء على الله - تعالى - في الأذكار الموضفة، والأذكار المطلقة،  
وتتبع ذلك يطول.

---

(١) رواه البخاري [٦٤٠٤]، ومسلم [٢٦٩٣].

(٢) أخرجه الحاكم (١/٥٢٣)، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي، ثم الألباني في  
«الصحيحة» رقم [٢٦٧].

# الاستِغْثَاتُ

## (١٢) **بِالنَّبَاتِ وَالصَّالِحِينَ**

قال الله - تعالى - : ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا** ﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال - عز وجل - : ﴿ **وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا** ﴾ [مريم: ٧٦].

**قيل:** هي كل عمل صالح يُرضي الله من قول أو فعل يبقى للأخرة. وفسرها بعضهم: بالصلوات الخمس، أو أعمال الحج، أو الصدقات، أو الصوم، أو الجهاد، أو العتق، أو الذكر. وهذا كله على طريق التمثيل، واللفظ الكريم يتناولها لكونها من أفرادهِ (١).

وذهب جمهور المفسرين إلى أنها قول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

- وذلك لما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «**خُذُوا جُنَّتَكُمْ**»، قلنا: يا رسول الله من عدو قد حضر! قال: «لا، بل **جُنَّتَكُمْ** من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، **ولا إله إلا الله**، والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة **مُقَدَّمَاتٍ وَمُعَقَّبَاتٍ وَمُجَنَّبَاتٍ**، وهن الباقيات الصالحات» (٢).

(١) وانظر: «أضواء البيان» (١٠٩/٤).

(٢) رواه النسائي في «الكبرى» [١٠٦٨٤]، وابن جرير (٢٧٨/١٥)، والطبراني في «الصغير» (١/١٤٥)، والحاكم (١/٥٤١) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الشعب» [٦٠٦]، وقال الهيثمي: «رجاله في (الصغير) رجال الصحيح غير داود بن بلال، وهو ثقة» اهـ. من «مجمع الزوائد» (٨٩/١٠).

- وما رواه أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات»، قيل: وما هنَّ يا رسول الله؟ قال: «التكبير، والتهليل، والتسبيح، والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(١)</sup>.

- وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هن الباقيات الصالحات»<sup>(٢)</sup>.

- وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أنه سُئِلَ: ما الباقيات الصالحات؟ فقال: «هن: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(٣)</sup>.

- وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه سُئِلَ عن الباقيات الصالحات، فقال: «لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(٤)</sup>.  
وقد صحَّت في فضائل هذه الكلمات الأربع أحاديث كثيرة صحيحة، بدون وصفها بالباقيات الصالحات، لبسطها موضع آخر<sup>(٥)</sup>.

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢٤١ / ١٨) [١١٧١٣]، وأبو يعلى [١٣٨٤]، وابن جرير (٢٧٩ / ١٥)، وابن حبان [٨٤٠]، والحاكم (٥١٢ / ١)، (٥١٣)، وقالوا في «تحقيق المسند»: «حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف» اهـ.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٩٩ / ٣٠) [١٨٣٥٣]، وقال محققوه: «صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف» اهـ.

(٣) رواه الإمام أحمد (٥٣٧ / ١) [٥١٣]، وابن جرير (٢٧٥ / ١٥)، (٢٧٦)، وقال محققو المسند: «إسناده حسن».

(٤) رواه البخاري في «تاريخه» (٧٧ / ١)، وابن جرير (٢٧٧ / ١٥).

(٥) وانظر: «قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات وبيان اقتران التهليل بالتكبير، والتسبيح بالتحميد» من نفائس شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ط. أضواء السلف (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م)، وانظر أيضًا: «فقه الأدعية والأذكار» للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص (١٥٦ - ١٦٦).



# الاسم الأعظم

## (١٣) واسم الله عز وجل

باستقراء الأحاديث الثابتة في تعيين اسم الله الأعظم<sup>(١)</sup> نخلص - بعد ترجيح تعدده - إلى أنه:

- ١- يشتمل على كلمة التوحيد «لا إله إلا الله».
- ٢- يقترن بالوعد بالاستجابة أو المغفرة أو تفریح الكربات.

(١) أنكر بعض الأئمة أن يكون لله - تعالى - اسم أعظم له خصائص تميزه عن سائر أسمائه - عز وجل - وقالوا: «لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض، بل كل اسم ذكر العبد به ربه عارفاً بعظمته - تعالى - فهو الاسم الأعظم». انظر: «جامع البيان» للطبري (١/ ٤٨١)، «فتح الباري» (١١/ ٢٢٧)، «لوامع البينات شرح أسماء الله - تعالى - والصفات» لفخر الدين الرازي ص (٩٢، ٩٣)، وزعم البعض أنه مما استأثر الله به في علم الغيب عنده. وذهب جمهور العلماء قديماً وحديثاً إلى إثبات الاسم الأعظم لله - تعالى - لورود النص الصريح بذلك عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في عدة أحاديث، حتى أفردها بعض العلماء بتصانيف مستقلة كما في «كشف الظنون» (١/ ٦٠٩)، (٢/ ١١٩٤، ١٣٩١، ١٥١٩)، (٤/ ٣٥٣، ٤٩٩)، بينما بوب أئمة الحديث في كتبهم «باب الاسم الأعظم» كما فعل ابن ماجه في «سننه»، والطحاوي في «المشکل»، والبغوي في «شرح السنه»، وابن أبي شيبه في «المصنف»، والطبراني في «الدعاء»، وابن حبان في «صحيحه»، والمنذري في «الترغيب والترهيب». وبما أنه صحت أحاديث في إثباته وتعيينه، فإن الاسم الأعظم داخل في قوله - تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك» انظر: «السلسلة الصحيحة» رقم [١٩٩] - فإن السنه وحي منزل كالقرآن الكريم، قال - تعالى - : ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الآية [النساء: ١١٣]. ولا تعني أعظمية هذا الاسم أن هناك تفاضلاً بين الفاضل والمفضول من حيث هو اسم وصفة لله - تعالى - فكل أسمائه عظمى، قال ابن حبان - رحمه الله -: «الأعظمية الواردة في الأخبار إنما يراد بها مزيد ثواب الداعي بذلك، فالأصل في التفضيل راجع لحاجة العبد لا لصفة الرب» اهـ. نقله في «فتح الباري» (١١/ ٢٢٧).

٣- يأتي مركبًا من عدة كلمات لا مفردًا<sup>(١)</sup>.

- وأصح ما ورد في تعيينه: ما رواه عبد الله بن بريدة الأسلمي عن أبيه رضي الله عنه - أنه قال: سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلاً يدعو وهو يقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد»، قال: فقال: «والذي نفسي بيده لقد سألت الله باسمه الأعظم؛ الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى». وفي أحد لفظي أبي داود: «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئِلَ به أعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب»<sup>(٢)</sup>.

**الحديث الثاني -** عن أنس - رضي الله عنه - أنه كان مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالسًا ورجل يصلي، ثم دعا: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام،

(١) وذهب بعض العلماء إلى أنه لفظ الجلالة «الله»، وهو مروى عن جابر بن زيد قال: «اسم الله الأعظم هو الله» أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٠٩/١/١)، واستدلوا بما لهذا الاسم الجليل من الخصائص المعنوية واللفظية، انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٠٢/١)، «شأن الدعاء» للخطابي ص (٢٥)، «جلاء الأفهام» لابن القيم ص (١٠٩، ١١٧، ١١٨)، «مدارج السالكين» له (٣٢/١، ٣٣)، «لوامع البينات» ص (٩٥، ٩٧)، «الأسماء والصفات» للأشقر ص (٨٧)، «تيسير العزيز الحميد» ص (٣٠، ٣١). وذهب بعضهم إلى أنه: «الحي القيوم» استنباطًا من حديث أبي أمامة الآتي ص (٧٩)، وإليه ذهب ابن القيم كما في «زاد المعاد» (٢٠٤/١)، «مدارج السالكين» (٤٤٨/١)، «شرح النونية» (٢٥٩/١)، و«شرح الطحاوية» (٩٢/١)، «مجموع الفتاوى» (٣١١/١٨). وذهب بعضهم إلى أنه: «ذو الجلال والإكرام»، وقيل: «الرحمن»، وقيل: «ربُّ ربِّ»، وغيرها.

(٢) رواه أبو داود [١٤٩٣]، [١٤٩٠]، والترمذي [٣٤٧٥]، وقال: «حسن غريب»، والنسائي في «الكبرى» [٧٦٦٦]، وابن ماجه [٣٨٥٧]، والإمام أحمد [٢٢٨٤٨]، والحاكم (١/٦٩٠)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، وابن حبان [٨٩١] [٣/١٧٣]، وقال ابن حجر: «هو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك» اهـ. من «الفتح» (٢٢٨/١١)، ونقل المنذري عن شيخه أبي الحسين المقدسي قوله: «إسناده لا مطعن فيه، ولم يرد في هذا الباب حديث أجود إسناده منه» اهـ. من «الترغيب» (٢/٣٥١)، وصححه الألباني في «تحقيق المشكاة» [٢٢٨٩] (٢/٧٠٨).

يا حيُّ يا قيومُ»، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لقد دعا باسمه العظيم (١) الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى» (٢).

**الحديث الثالث -** عن أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - قالت: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ إِلَهٌ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وفتحة سورة آل عمران ﴿الْعَمَّ ۝﴾ (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿﴾ [آل عمران: ١، ٢]» (٣).

**الحديث الرابع -** عن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن اسم الله الأعظم لفي سُورٍ من القرآن ثلاثٍ؛ البقرة وآل عمران وطه» (٤).

زاد أبو حفص عمرو بن أبي سلمة في هذا الحديث: «فنظرت أنا في هذه السور فرأيت فيها شيئاً ليس في شيء من القرآن، مثل آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وفي آل عمران: ﴿الْعَمَّ ۝﴾ (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿﴾ وفي طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾» (٥).

(١) وفي رواية الإمام أحمد: «الأعظم».

(٢) رواه أبو داود [١٤٨١]، والنسائي [١٣٠٠] [٥٢/٣]، والبخاري في «الأدب المفرد» ص (١٠٤) رقم [٧٠٥]، وابن ماجه [٣٨٥٨]، والإمام أحمد [١٢١٤٤]، [١٣٥٠٤]، [١٢٥٤٨]، وابن حبان [٨٩٣]، [١٧٥/٣]، والحاكم [١٩٠٨، ٦٨٩/١] وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «تحقيق المشكاة» [٧٠٩/٢]، والشيخ شعيب في «تخريج ابن حبان» [١٧٦/٣].

(٣) رواه أبو داود [١٤٨٢ - عون]، والترمذي [٣٤٧٨]، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه [٣٨٨٥]، والإمام أحمد [٤٦١/٦]، والبغوي في «شرح السنة» [١٢٦١] [٣٩/٥]، وقال: «غريب»، وضعفه الحافظ ابن حجر [٢٢٦/١١]، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٩٨٠] [٣١٩/١].

(٤) رواه ابن ماجه [٣٨٥٦] [١٢٦٧/٢]، والطحاوي في «مشكل الآثار» [١٧٧] [١٦٣/١]، والطبراني في «الكبير» [٧٧٥٨] [٢١٤/٨، ٢١٥]، وحسنه المناوي كما في «تحفة الذاكرين» ص (٧٠)، والألباني في «الصحيحة» [٧٤٦] [٣٨٢/٢]، وشعيب الأرنؤوط في «تخريج المشكل» [١٦٣/١].

(٥) رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» [١٦٣/١]، وانظر: «تفسير القرآن العظيم» [٤٥٤/١] ط. الشعب.

وزاد القاسم - وهو الراوي عن أبي أمامة -: «فالتمستها أنه الحي القيوم»<sup>(١)</sup>.

فهاتان الزيادتان مُدْرَجَتان من الرواة، وليستا من كلام النبي - صلى الله عليه وسلم -.

**الحديث الخامس** - يُروى عن سعد بن مالك - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «هل أدلكم على اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى؟ الدعوة التي دعا بها يونس حين ناداه في الظلمات ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾» فقال رجل: يا رسول الله! هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ألا تسمع قول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]»<sup>(٢)</sup>.

وعنه - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)، إنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له بها»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (١/٥٠٥).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (١/٥٠٥، ٥٠٦)، وفيه عمرو بن بكر السكسكي، قال في «التقريب»: «متروك» ص (٤١٩)، وابن جرير في «تفسيره» (١٧/٨٢)، وفيه علي بن زيد وهو ابن جدعان، قال في «التقريب»: «ضعيف» ص (٤٠١)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» [٩٥٤] (١/٢٧٧).

(٣) رواه الإمام أحمد (١/١٧٠)، والترمذي [٣٥٠٥] (٥/٥٢٩)، والحاكم (١/٥٠٥)، وصححه، ووافقه الذهبي، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» [٦٥٦]، وليس فيه ذكر الاسم الأعظم، وحسنه ابن حجر كما في «الفتوحات الربانية» (٤/١١)، وصححه الألباني في «تخريج الكلم الطيب» [١٢٢] ص (٧٤).

ولفظ الحاكم: «ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجلٍ منكم كرب أو بلاء من بلايا الدنيا دعا به يُفْرَج عنه؟ فقيل له: بلى، فقال: دعاء ذي النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»<sup>(١)</sup>.

**والحاصل:** أن كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» قاسم مشترك بين الصيغ الواردة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب.

---

(١) وهذا أورده الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم [١٧٤٤]، وفي معناه ما روته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يجمع أهل بيته، فيقول: «إذا أصاب أحدكم غمٌّ أو كربٌ فليقل: الله، الله ربي، لا أشرك به شيئاً» أخرجه ابن حبان في «صحيحه» [٢٣٦٩ - موارد]، والطبراني في «الأوسط» [٥٤٢٣]، وأورده الألباني في «الصحيحه» رقم [٢٧٥٥].

## الإسلام بالله

(١٤) **للرؤي جميعاً يحيى (الله) عز وجل - شئ**

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:  
«ما قال عبد: **(لا إله إلا الله)** قطُّ مُخْلِصًا إلا فُتحت له أبوابُ السماء، حتى تُفْضِيَ إلى العرش، ما اجتنب الكبائر»<sup>(١)</sup>.

ورؤي عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - مرفوعاً: «.. **لا إله إلا الله** ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه»<sup>(٢)</sup>.

ورؤي عن رجلين من الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - أنهما سمعا النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «ما قال عبد قط: **(لا إله إلا الله)** وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير) مخلصاً بها روحه، مصداقاً بها قلبه لسانه، إلا فُتق له أبوابُ السماء حتى ينظر الله إلى قائلها، وحُقَّ لعبدٍ نظر الله إليه أن يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ»<sup>(٣)</sup>.

ورؤي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما من شيء إلا بينه وبين الله حجاب، إلا قول: **لا إله إلا الله**، كما أن شفيتك لا تحجبها، كذلك لا يحجبها شيء، حتى تنتهي إلى الله - عز وجل -»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه الترمذي [٣٨٤٠]، وقال: «حسن غريب»، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» رقم [٢٨٣٩]، و«صحيح الترغيب والترهيب» رقم [١٥٢٤].

(٢) جزء من حديث رواه الترمذي رقم [٣٥١٨]، وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي»، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» رقم [٧٠٠]، و«ضعيف الترغيب والترهيب» (١/٤٧٠) رقم [٩٤٥].

(٣) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم [٢٨] ص (١٥٠).

(٤) انظر: (اللائل المصنوعة) للسيوطي (٢/١٨٥).

ورُوي عن أنس - رضي الله عنه - مرفوعاً: «ليس شيء إلا بينه وبين الله حجاب، إلا قول: (لا إله إلا الله)، ودعاء الوالد»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: «ما من عبد يُهَلِّ تَهْلِيلَةً فَيُنَهِّهَهَا<sup>(٢)</sup> شيءٌ دون العرش»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) عزاه في «الدرر المنتور» (٤٢٨/١٣) إلى ابن مردويه.

(٢) تَهْنَهَ فَلَانًا عَنِ الشَّيْءِ: كَفَهُ عَنْهُ وَزَجَرَهُ، وَالدَّابَّةُ: صَاحِبُهَا لِتَكُفَّ.

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» (٢١٧/١).

## الإسلام بالله

### (١٥) مَثْمُونُ الرَّحْمَنِ وَالسِّرْبِ وَقَطْبِ رَحَاهُ

قال الله - تعالى - : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢].

قال ابن عاشور - رحمه الله - : «وقد أحاطت جملة ﴿ أَنْ أَنْذِرُوا ﴾ إلى قوله - تعالى - : ﴿ فَاتَّقُونِ ﴾ بالشرعية كلها، لأن جملة ﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ تنبيه على ما يرجع من الشريعة إلى إصلاح الاعتقاد، وهو الأمر بكمال القوة العقلية. وجملة ﴿ فَاتَّقُونِ ﴾ تنبيه على الاجتناب والامتنال اللذين هما منتهى كمال القوة العملية»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال الشنقيطي - رحمه الله - : «فقد أمر في هذه الآية الكريمة أن يقول: إن ما أوحى إليه محصور في هذا النوع من التوحيد، لشمول كلمة (لا إله إلا الله) لجميع ما جاء في الكتب؛ لأنها تقتضي طاعة الله بعبادته وحده، فيشمل ذلك جميع العقائد والأوامر والنواهي، وما يتبع ذلك من ثواب وعقاب»<sup>(٢)</sup> اهـ.

ونظير آية (النحل) جملة من الآيات القرآنية الكريمة تواردت على تأكيد هذا المعنى:

(١) «التحرير والتنوير» (٧/ ١٠٠).

(٢) «أضواء البيان» (٣/ ٣٧٤).



فقد قال - سبحانه -: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال - عز وجل -: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٨].

وقال - تبارك وتعالى -: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال - سبحانه -: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ [فصلت: ٦].

قال شارح (الطحاوية) - رحمه الله تعالى :-

«ثم التوحيد<sup>(١)</sup> الذي دعت إليه رسل الله، ونزلت به كتبه نوعان: توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد.

**فالأول** - هو إثبات حقيقة ذات الرب - تعالى - وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله - صلى الله عليه وسلم - . وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، كما في أول (الحديد)، و(طه)، وآخر (الحشر)، وأول (الم تنزيل) السجدة، وأول (آل عمران)، وسورة (الإخلاص) بكمالها، وغير ذلك.

**والثاني** - وهو توحيد الطلب والقصد، مثل ما تضمنته سورة ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ [الكافرون: ١]، و﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وأول سورة (تنزيل الكتاب) وآخرها، وأول سورة

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٣/٤٤٩-٤٥٥).

(يونس) وأوسطها وآخرها، وأول سورة (الأعراف) وآخرها، وجملة سورة (الأنعام).

وغالبُ سور القرآن متضمنة لنوعَي التوحيد، بل كل سورة<sup>(١)</sup> في القرآن، فإن القرآن إِمَّا خَبِرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيدُ العِلْمِيُّ الخَبْرِيُّ. وإِمَّا دَعْوَةٌ إلى عبادته وحده لا شريك له، وَخَلَعٌ ما يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، فهو التَّوْحِيدُ الإرَادِيُّ الطَّلَبِيُّ.

وإِمَّا أَمْرٌ ونَهْيٌ وإِلْزَامٌ بطاعته، فذلك مِنْ حَقوقِ التوحيد ومكَمِّلاته. وإِمَّا خَبْرٌ عن إِكْرَامِهِ لِأَهْلِ تَوْحِيدِهِ، وما فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وما يُكْرِمُهُمْ بِهِ فِي الآخِرَةِ، فهو جِزَاءُ تَوْحِيدِهِ.

وإِمَّا خَبْرٌ عن أَهْلِ الشُّرْكِ، وما فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكَالِ، وما يَحُلُّ بِهِمْ فِي العُقْبَى مِنَ العَذَابِ، فهو جِزَاءٌ مَنْ خَرَجَ عن حَكْمِ التَّوْحِيدِ.

فالقرآن كُلهُ فِي التَّوْحِيدِ وَحَقوقِهِ وَجِزائِهِ، وَفِي شَأْنِ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ وَجِزائِهِمْ، فَ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] توحيد، ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ٣] توحيد، ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] توحيد، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] توحيد، ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]، توحيد متضمَّنٌ لِسؤالِ الهدايةِ إلى طَرِيقِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ ﴿ غَيْرِ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧]<sup>(٢)</sup>.

(١) وإن شئت قلت: «بل كل آية في القرآن الكريم متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه».

(٢) «شرح الطحاوية» بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط (١/٤٢، ٤٣).

## لِسايبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي وَجُوهِ الْبَيِّنَاتِ، إِلَى خُصُوصِ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ

لقد تضافرت نصوص القرآن الكريم وتظاهرت على وجوب إفراد الله - عزَّ وجلَّ - بالألوهية.

فتارة أمرت بذلك، فقد كانت أول صيغة أمر في القرآن المجيد هي قوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١].

وقال - سبحانه -: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ الآية [النساء: ٣٦].

وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ الآية [الإسراء: ٢٣].

- وتارة بيان أنه المقصود من وجود الخليفة، وإيجاد الثقلين، كما قال

- تعالى -: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال الحافظ ابن كثير في تفسيرها: أي: «إنما خلقتهم لأمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم»<sup>(١)</sup>.

- وتارة بيان أن تحقيق هذا التوحيد هو المقصود من بعثة الرسل أجمعين.

- وتارة بيان أنه المقصود من إنزال جميع الكتب الإلهية.

- وتارة بيان عظيم ثواب أهله وحسن عاقبتهم في الدنيا والآخرة، قال

- تعالى - : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَأْمَنٌ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾

[الأنعام: ٨٢].

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٤٣٠) ط. دار الحديث.

- وتارة بالتحذير من ضده (الشرك)، وبيان عاقبة أهله، قال - عز وجل -:  
﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال - عز وجل -: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْقَلَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٩]، وقال - تعالى -: ﴿ فَكأنما خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [الحج: ٣١]، وقال - سبحانه -:  
﴿ إِنَّكَ الشَّرِكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

وقد استقرأ العلامة السلفي الجليل الدكتور محمد خليل هراس - رحمه الله تعالى - أساليب القرآن المجيد في دعوة الناس إلى توحيد الألوهية، فقال - رحمه الله -:

«يسلك القرآن الكريم إلى هذا المطلب أساليب متعددة.

١ - أهمها: سوق آيات الربوبية في الخلق والتدبير والملك والحفظ والرعاية والإحسان والرحمة، وجعل ذلك دليلاً على توحيد الإلهية.

فقد جرت عادة القرآن الكريم أن يُلزم المشركين بما أقروا به من توحيد الربوبية فيجعله برهاناً واضحاً على وجوب إفراده - سبحانه - بالإلهية، فإن الذي يستحق من العباد أن يعبدوه هو من كان رباً خالقاً ومالكاً مدبراً، وأما من لا شأن له في خلق ولا في تدبير لا يصلح أن يكون إلهاً معبوداً إذ لم يصلح لأن يكون رباً مقصوداً.

ولهذا تراه يسوق الآيات والدلائل الشاهدة بربوبيته - تعالى - لكل شيء، ثم ينتقل منها إلى الدعوة لعبادته وحده.

قال - تعالى - من سورة (البقرة): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢١-٢٢﴾.

فهذا خطاب عام لجميع الناس أن يعبدوا ربهم أي: يخصصوه وحده بالعبادة إذ لا رب لهم غيره؛ فهو الذي خلقهم وخلق آباءهم الأولين، وهو الذي جعل لهم هذه الأرض مهداً يتقلبون عليها ويمشون في مناكبها، وهو الذي أنزل لهم من السحاب ماء فأجراه أنهاراً وسلكه ينابيع، فأخرج لهم به من جميع الثمرات، فلا تجعلوا لله أنداداً أي: نظراء من خلقه تساوونهم به في استحقاق العبادة وأنتم تعلمون أنها لم تخلق شيئاً.

وقال - جل شأنه - من نفس السورة: ﴿وَاللَّهُمُّ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١١٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿البقرة: ١٦٣-١٦٤﴾.

وقال - سبحانه - من سورة (النمل): ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ

الْأَرْضِ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ  
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا  
يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدُوْا الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ  
قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ [النمل: ٦٠-٦٤].

فهذه الآيات تنفي أن يكون إله معه ما دام هو الرب وحده.

ويقول - جل شأنه - في سورة (النحل) بعد أن ذكر آيات ربوبيته في  
الخلق والتدبير: ﴿ أَمَّنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ  
لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ  
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ  
أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَحِدٌ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ  
مُتَّكِرُونَ ﴿٢٢﴾ [النحل: ١٧-٢٢]، فنفي الإلهية عن كل ما يدعى من دونه، لأنه لا  
يخلق شيئاً بل هو مخلوق، ولأنه ميت غير حي، ولا يدري متى يبعث.

ويطول بنا القول لو أردنا استقصاء ما جاء في الكتاب العزيز من آيات  
الربوبية التي سيقَّتْ برهاناً على توحيد الإلهية. وحسبنا أن نعلم أن معظم السور  
المكية مليئة من هذه الآيات لمن تدبرها.

وأما الأحاديث فهي أيضاً كثيرة مستفيضة، مثل قوله - صلى الله عليه وسلم - في  
سيد الاستغفار: «اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك  
ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي  
فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، ففي هذا إقرار العبد واعترافه بأن الله هو  
ربه الذي لا رب له غيره وأنه لا معبود بحق في الوجود كله سواه فإنه هو الذي

خلقه وسواه، ثم يعاهده بأنه سيظل قائماً على عهده ووعدته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ثم يلتجئ ويحتمي به من شر ما جنى على نفسه ثم ييؤء ويرجع إليه بسبب إنعامه عليه ثم يرجع إليه من ذنبه طالباً أن يغفر له لأنه هو الغفور الرحيم.

ومثل قوله: «اللهم ربَّ السمواتِ السبع والأرضِ وربَّ العرشِ العظيم، ربَّنَا وربَّ كلِّ شيء، فالقَ الحَبِّ والنَّوى، مُنزِلَ التوراةِ والإنجيلِ والقرآن، أعوذ بك من كل ذي شرٍّ أنت آخذٌ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر».

ومثل قوله: «اللهم ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ فاطرَ السمواتِ والأرضِ عالمَ الغيبِ والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلفَ فيه من الحقِّ بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم».

٢ - ومنها: التنديد بما يتخذه الناس آلهة من دون الله وإظهار حالها من العجز الشنيع والفقر البالغ، والغفلة عمن يدعوها ويفزع إليها كقوله - تعالى - من آخر سورة (الأعراف): ﴿ أَيَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَمْ يَمْشَوْا بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١٩٥﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٥].

وقوله - سبحانه - من سورة (النحل): ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرٌ أَحْيَاءُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل: ٢٠-٢١].  
وكقوله من هذه السورة نفسها: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [النحل: ٧٣].

وكقوله من سورة (الإسراء) عن بني إسرائيل: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِي فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧].

وكقوله - تعالى - من سورة (طه) في شأن من عبدوا العجل من بني إسرائيل: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُرْجَعُونَ إِلَىٰ هُمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه: ٨٩].

وكقوله من سورة (الأنبياء): ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٣]، أي: يعانون.

وكقوله - تعالى - من سورة (الحج): ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ ۗ إِنَّكَ الْذَّيْبُ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾ [الحج: ٧٣].

وكقوله - تعالى - من سورة (العنكبوت): ﴿ وَإِذْ هِيَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۗ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٦، ١٧].



وكقوله من سورة (سبأ): ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ. ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

وكقوله من سورة (فاطر): ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يُسْمِعُوا مَا أُسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

وكقوله من سورة (يس): ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴾. [يس: ٢٢-٢٣]

وكقوله من سورة (الزمر): ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ ﴾ [الزمر: ٣٨].

وكقوله من سورة غافر على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿ وَيَقُولُ مَا لِيَ أُدْعَىٰكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ ﴿٤٢﴾ لَا جُرْمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَارْتِ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ [غافر: ٤١-٤٣].

وكقوله من سورة (الأحقاف): ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْفِئُونَ بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرُونَ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ

لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ [الأحقاف: ٤-٦].

ففي هذه الآيات السابقة كلها بيانٌ شافٍ لحال هذه الآلهة الباطلة من العجز والمهانة حتى إنها أقل شأنًا من عابديها، لا تملك ما يملكون من أسماع وأبصار وقوى العقل والإرادة والبيان، فكيف إذن تصلح للإلهية.

٢- ومنها: التشنيع بحال العابدين لهذه الآلهة الباطلة ورميهم بالضلال والسفه حيث رَضُوا لأنفسهم أن يعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا، ولا تغني شفاعته عنهم شيئًا، وذلك مثل قوله - تعالى - على لسان إبراهيم - عليه السلام - في خطابه لقومه: ﴿ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٧].

وقوله لهم في مكان آخر: ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾.

[الأنبياء: ٥٤]

ومثل قوله من سورة (الرعد): ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [الرعد: ١٤]، فشبّه في هذه الآية حال الداعين لغير الله في ضياع دعائهم وعدم حصولهم منه على طائل بحال من جلس على نهر وهو ظمآن فبسط كفيه على صفحة الماء طامعًا أن يبلغ فاه، وليس الماء ببالغ فاه أبدًا حتى يغترف منه بيده، فكذلك هؤلاء لا يُستجاب دعاؤهم أبدًا.

ومثل قوله من سورة (الأحقاف): ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا

يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥].

٤- ومنها: تصوير ما سيكون يوم القيامة بين العابدين والمعبودين، وبين الأتباع والمتبوعين من التبرؤ والمعاداة وتنصل المعبودين من جناية هؤلاء العابدين وإنكارهم أن يكون لهم يدٌ في إضلالهم وشركهم.

وذلك مثل قوله - تعالى - من سورة البقرة: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَخَّطْنَا لَهُمْ أَمْوَالَنَا لِنَحْرِبَنَّهُمْ لَعَلِّي نَنفِتُهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧].

ومثل قوله من سورة (المائدة): ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِبِي أِبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ءِ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ءِ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ءِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبُهُمْ فَلِأَنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ [المائدة: ١١٦-١١٨].

ومثل قوله من سورة (الأعراف): ﴿ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ءِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكُذِّبِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيَّنَا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا

حَتَّىٰ إِذَا أَدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِبُهُمْ لِأُولِهِمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَصَلُّونَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا  
مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا نَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ [الأعراف: ٣٧، ٣٨].

ومثل قوله من سورة (يونس) - عليه السلام -: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ  
نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزِيلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائِهِمْ مَا كُنْتُمْ  
إِنَّا نَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ ﴿٢٩﴾  
هُنَالِكَ تَبْلَوْنَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا  
يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ [يونس: ٢٨-٣٠].

ومثل قوله من سورة (سبأ): ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْؤُلَاءِ إِنَّا كُرُّ  
كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ أَنْتَ وَلِئِنَّا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ  
بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا يَمَلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ  
الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ [سبأ: ٤٠-٤٢].

٥ - ومنها: بيان انفراده - سبحانه - بما له من الأسماء الحسنى والصفات  
العليا التي لا يكون إلهاً إلا من اتصف بها: وذلك لأن الإله يجب أن يكون كاملاً  
حائزاً لجميع صفات الكمال: فإن النقص منافي للإلهية، فإذا ثبت اختصاصه  
- سبحانه - بهذه الأسماء والصفات دل ذلك على تفرده بالإلهية.

وذلك مثل قوله - تعالى - من سورة البقرة: ﴿ وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ اللَّهُ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقوله في آية الكرسي التي هي أعظم آية في كتاب الله: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ  
الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ

إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿[البقرة: ٢٥٥].

وقوله في آخر سورة (الحشر): ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿[الحشر: ٢٢، ٢٣].

وقوله من أول سورة (طه): ﴿الرَّحْمَنُ ﴿٥﴾ أَسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿[طه: ٥-٨].

وقوله من سورة (سبا): ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿[سبا: ٢٧]﴾ (١).

(١) «دعوة التوحيد» ص (٢٩-٣٩) بتصرف.

## الإسلام بالله

### (١٦) مفاع وجوه الرسل عليهم السلام

كانت الدعوة إلى تحقيق أن «لا إله إلا الله»، الركن الركين، والأصل الأصيل الذي قدمه الأنبياء على غيره حين دَعَوْا أمهم إلى الإسلام، ابتداءً بنوح - عليه السلام - الذي مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى التوحيد، قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

وقال - سبحانه -: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ﴾ [هود: ٢٥، ٢٦].

وكذلك فعل هود - عليه السلام - قال الله - عزَّ وجلَّ -:

﴿وَالِإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

[الأعراف: ٦٥]

وتكررت هذه الكلمة، وهذه الدعوة، على لسان صالح وشعيب وسائر الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام -، ثم ذكرها الله - تعالى - قاعدة عامة في دعوة كل الرسل، فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

[الأنبياء: ٢٥]

ثم أمر الله - تعالى - نبينا محمداً - صلى الله عليه وسلم -، بهذا فقال:  
﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

[الزمر: ١١، ١٢]

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤].

وعندما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - معاذ بن جبل - رضي الله عنه -، إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله وحده، وفي رواية: فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك؛ فأعلمهم أن الله - عز وجل -، افترض عليه خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك؛ فأعلمهم أن الله - تعالى - افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك؛ فأياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»<sup>(١)</sup>.

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٤).

## الإسلام لله

### (١٧) الفاسر الشريك لله في جميع الرسائل السماوية

قال - تعالى - : ﴿ وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبُدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥].

الأمر بالسؤال هنا تمثيل لشهرة الخبر وتحقيقه، كما في قول السموأل أو الحارثي:

\* قَهْدِي يَجْعَلُهُ فِدْهِي يَجْعَلُهُ عَقْلِي لِيَعْلَمَ بِهِ مَقْتِي \*  
قَهْدِي يَجْعَلُهُ فِدْهِي يَجْعَلُهُ عَقْلِي لِيَعْلَمَ بِهِ مَقْتِي \*

فكلمة التوحيد الخالدة «لا إله إلا الله» قالها كل نبي ورسول من الله<sup>(١)</sup>، ودعا إليها قومه منذ نزل آدم على هذه الأرض وحتى أكمل الله دينه، وأتم نعمته على الناس جميعاً بدين الإسلام.

فهي أساس دعوة نوح - عليه السلام -، كما يفهم من قوله - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [هود: ٢٥، ٢٦].

وهي دعوة هود - عليه السلام - إلى قومه عاد، كما يفهم من قوله - سبحانه - : ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [هود: ٥٠].

(١) روى أمير المؤمنين عليّ - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال: «أفضل ما قلت أنا والنبيون عشيّة عرفة: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» انظر تخريجه ص (٦٩).



وهي دعوة صالح - عليه السلام - إلى قومه ثمود، كما يفهم من قوله - جل شأنه -: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١].

وهي دعوة شعيب - عليه السلام - إلى قومه أهل مدين، كما يشير قول الله - تعالى - : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود: ٨٤].

وهي دعوة إبراهيم - عليه السلام - إلى قومه؛ يقول الله - تعالى - فيما يقصه عنه: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٦، ١٧]

وقال - تعالى - : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

[الزخرف: ٢٦-٢٨]

## هجرة موسى - عليه السلام - إلى التوحيد

وهي دعوة موسى - عليه السلام - وأول كلام تلقاه عن الله، كما يشير إليه قوله - جلَّ شأنه - فيما يقصه عنه لما توجه في طريق عودته إلى مصدر النار التي رآها: ﴿ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ بِمُوسَىٰ ۖ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاحْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۖ ﴿١٢﴾ وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۖ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۖ ﴿١٤﴾ [طه: ١١-١٤].

إن العهد القديم - التوراة - يصرح بالتوحيد، ويدعو إليه، ويشدد في النهي عن الشرك بكل شعبه وكل أحواله، بل إنه يدعو إلى البراءة من المشركين أينما كانوا وحيثما حلوا، مثال ذلك قوله في سفر التثنية: «أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنني أنا الرب إلهك إله غيور»<sup>(١)</sup>.

وقوله: «لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم لأن الرب إلهكم إله غيور»<sup>(٢)</sup>.

وقوله: «وراء الرب إلهكم تسيرون، وإياه تتقون، ووصاياهم تحفظون، وصوته تسمعون، وإياه تعبدون، وبه تلتصقون»<sup>(٣)</sup>.

(١) «سفر التثنية» من كتاب العهد القديم (الإصحاح الخامس، عدد ٦-٩)، وانظر: «الخروج» (٤-٢/٢٠).

(٢) «سفر التثنية» من كتاب العهد القديم (الإصحاح السادس، عدد ١٤، ١٥).

(٣) «سفر التثنية» من كتاب العهد القديم (الإصحاح الثالث عشر، عدد ٤).

ماذا يعمل رؤساء النصارى الروحانيون أمام صراحة نصوص التوحيد في العهد القديم؟

وفي (سفر التثنية) من وصايا موسى - عليه السلام - التي كتبها الله لموسى على لَوْحِي الحجر، وأمر بني إسرائيل بحفظها، وجاء المسيح بعده فأكد عليها: «اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا واحد، فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ، ولتكن هذه الكلمات التي أوصيك بها اليوم على قلبك، وَقُصَّهَا عَلَى أَوْلَادِكَ، وتكلم بها حين تجلس في بيتك، وحين تمشي في الطريق، وحين تنام، وحين تقوم، واربطها علامة على يديك، ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك»<sup>(١)</sup>.

وفيه أيضًا: «أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي»<sup>(٢)</sup>.

وفي (سفر الملوك): «ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله، وليس آخر»<sup>(٣)</sup>.

وجاء في (مزامير داود): «كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يا رب، ويمجدون اسمك، لأنك عظيم أنت، وصانع العجائب، أنت الله وحدك»<sup>(٤)</sup>.

هو وحده الله، وليس يشاركه في اسمه أو ألوهيته أحد، بما في ذلك المسيح - عليه السلام -.

(١) «سفر التثنية» (٦ / ٤-٩).

(٢) «نفسه» (٥ / ٦).

(٣) «سفر الملوك» [١] (٨ / ٦٠).

(٤) «المزمور» (٨٦ / ٩-١٠).

وجاء في (إشعيا): «يقول الرب:.. قبلي لم يصور إله، وبعدي لا يكون، أنا أنا الرب، وليس غيري مُخَلَّص، أنا أخبرت وخلصت..»<sup>(١)</sup>.

وفيه: «أيها الرب إلهنا، خلصنا من يده، فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك»<sup>(٢)</sup>.

وفيه: «أنا الرب صانع كل شيء، ناشر السماوات وحدي باسط الأرض، من معي؟!»<sup>(٣)</sup>، فأين هذا ممن جعلوا الواحد ثلاثة؟! وفيه: «أنا الرب وليس آخر، لا إله سواي»<sup>(٤)</sup>.

وجاء في نبوة إشعيا أيضًا: «يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه ربُّ الجنود: أنا الأول وأنا الآخر، ولا إله غيري. ومن مثلي ينادى، فليخبر به ويعرضه لي.. هل يوجد إله غيري؟»<sup>(٥)</sup>.

ومثله كثير في أسفار العهد القديم<sup>(٦)</sup>.

---

(١) «إشعيا» (٤٣ / ١٠ - ١٢).

(٢) «نفسه» (٣٧ / ٢٠).

(٣) «نفسه» (٤٤ / ٢٤).

(٤) «نفسه» (٤٥ / ٥).

(٥) «نفسه» (٤٤ / ٦ - ٩).

(٦) انظر: «ملاخي» (١٠ / ٢)، «الملوك» [١] (٢٧ / ٨).

## وهوة يحيى - عليه السلام - إلى التومبر

عن الحارث الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:

«إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ: أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا فَقَالَ عَيْسَى: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِنَّمَا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِنَّمَا أَنْ أَمْرُهُمْ؟ فَقَالَ يَحْيَى: أَخَشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخَسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ.

فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَأَمْتَلَا الْمَسْجِدَ، وَقَعَدُوا عَلَى الشَّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَأَعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَيَّ غَيْرِ سَيِّدِهِ فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟! وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ.

وَأَمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عَصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.

وَأَمْرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ  
وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ.

وَأَمْرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى  
إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ  
إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>. الحديث.

---

(١) رواه الترمذي رقم [٣٠٣٥]، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني في  
«صحيح سنن الترمذي» رقم [٢٢٩٨].

## دعوة عيسى - بحمد السلام - إلى الله (الله)

قال المسيح - عليه السلام - مخاطباً قومه: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١].

وقال الله - سبحانه -: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال الله - جل شأنه - فيما قصّه القرآن الكريم على لسان المسيح - عليه السلام - ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

وقال - تعالى - في شأن المسيح - عليه السلام -: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

فدعوة عيسى - عليه السلام - هي التوحيد بكل شعبه، دعوة تنفي الوساطة بين الخالق والمخلوق بالمفهوم النصراني الشركي، ولم يدع المسيح - عليه السلام - قط أنه إله أو أنه وصل إلى مرتبة أعلى من مرتبة الرسالة التي كرمه الله بها، قال - تعالى - : ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢].

جاء في (دائرة المعارف الأمريكية): «لقد بدأت عقيدة التوحيد - حركةً لاهوتيةً - بدايةً مبكرةً جدًا في التأريخ، وفي حقيقة الأمر إنها سبقت عقيدة التثليث بعشرات السنين»<sup>(١)</sup>... إن عقيدة التثليث التي أُقرت في القرن الرابع للميلاد، لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول فيما يتعلق بطبيعة الإله، بل كانت - على العكس - انحرافًا عن هذا التعليم»<sup>(٢)</sup>.

بل إن وصف المسيح - عليه السلام - بالعبودية لله - تعالى - ما زال موجودًا في أسفار (العهد الجديد)، غير أن الترجمة العربية تذكر هذا اللفظ - وهو ما يقابل لفظة: Servant في الإنكليزية - بشيء من التضليل حتى يشبهه على القارئ العادي، فتجعله «فتى» وتتجنب لفظة «عبد»<sup>(٣)</sup>.

لقد جاءت أسفار (العهد الجديد) - الإنجيل - تؤكد تفرد الخالق بالألوهية والربوبية، وتذكر ذلك على لسان المسيح - عليه السلام - وحواريه.

ففي (إنجيل متى) أن المسيح - عليه السلام - أخذ الشيطان إلى قمة جبل عال جدًا، وأراه جميع ممالك العالم وعظمتها، وقال له: «أعطيك هذه كلها إن جثوت وسجدت لي»، فقال له يسوع: «اذهب يا شيطان! فقد كُتب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد»<sup>(٤)</sup>.

(١) لعله يقصد بالنسبة إلى تاريخ النصرانية المحرّفة، وإن كان في هذا التقدير عشرات السنين تقصير، أما بالنسبة للتاريخ البشري ككل فإن التوحيد كان هو الأصل لمدة عشرة قرون، ثم طرأ الشرك عليه في عهد نوح - عليه السلام -، وتعود جذور ضلالة التثليث التي اقتبسها من حرفوا عقيدة التوحيد التي دعا إليها المسيح - عليه السلام - إلى أمم وثنية كالبراهمة والبوذيين وقدماء المصريين واليونانيين والرومان، انظر: «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية» لمحمد طاهر النبير ص (٢٩-٣٩).

(2) Encyclopedia Americana (27/ 294 L).

(٣) انظر مثلاً: «إنجيل متى» (١٨/١٢)، و«سفر أعمال الرسل» (١٣/٣).

(٤) «إنجيل متى» (١٠/٤)، ومثله في «إنجيل لوقا» (٨/٤).



وفي (إنجيل مرقص): «وتقدم إليه واحد من الكتبة، كان قد سمعهم يتجادلون، ورأى أنه أحسن الرد عليهم، فسأله «أية وصية هي أولى الوصايا جميعاً؟» فأجابه يسوع: «أولى الوصايا جميعاً هي: اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد، فأحبَّ الربَّ إلهك بكلِّ قلبك، وبكلِّ نفسك، وبكلِّ فكرك، وبكلِّ قوتك. هذه هي الوصية الأولى. وهناك ثانية مثلها، وهي: أن تحب قريبك كنفسك، فما من وصية أخرى أعظم من هاتين». فقال له: «صحيح يا معلم! حسبَ الحقِّ تكلمتَ. فإن الله واحد، وليس آخر سواه، ومحبه بكل القلب، وبكل الفهم، وبكل القوة، ومحبة القريب كالنفس، أفضل من جميع المُحرقاتِ، والذبائح!».

فلما رأى يسوع أنه أجاب بحكمة، قال له: «لست بعيداً عن ملكوت الله!» ولم يجروا أحداً بعد ذلك أن يوجه إليه أيَّ سؤالٍ<sup>(١)</sup>.

وفي (إنجيل يوحنا) أن المسيح - عليه السلام - قال: «والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك، والذي أرسلته: يسوع المسيح»<sup>(٢)</sup>. وفيه أيضاً: أن المسيح خاطب امرأة قائلاً: «وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم»<sup>(٣)</sup>.

وجاء في (إنجيل متى) على لسان المسيح - عليه السلام - قوله: «ولا تدعوا لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد، الذي في السماوات. ولا تدعوا معلمين، لأن معلمكم واحد، المسيح»<sup>(٤)</sup>.

(١) «إنجيل مرقص» (١٢/٢٨-٣٥).

(٢) «إنجيل يوحنا» (١٧/٣، ٤).

(٣) «إنجيل يوحنا» (١٧/٢٠).

وقد جاء تعبير «ابن الله» و«أبناء الله» مرات كثيرة في العهدين القديم والجديد مراداً به: القريب من الله، أو: كل عبد مخلص لله - تعالى -، وانظر: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٢/٢٣٩، ٢٤٠)، «البيان الصحيح لدين المسيح» ص (٢٥٧-٢٦٠).

(٤) «إنجيل متى» (٢٣/٩، ١٠).

وجاء فيه أيضًا: «وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحًا، ليس أحد صالحًا إلا واحد، وهو الله»<sup>(١)</sup>.

وكذا قول يوحنا: «كَلَّمَ يَسُوعُ بِهَذَا، وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَقَالَ: أَيُّهَا الْآبُ قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ، مَجَّدْ ابْنَكَ لِيُجَبِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا، إِذْ أُعْطِيَتْهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ، لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَةً لِكُلِّ مَنْ أُعْطِيَتْهُ، وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ، وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ»<sup>(٢)</sup>، فليس من إله على الحقيقة إلا واحد، وهو الآب الذي كان المسيح يخاطبه في أول الفقرة «أيها الآب»، وأما سائر الأقانيم فقد أنكر المسيح ألوهيتها، حين قال بأن الآب وحده هو الإله الحقيقي.

وقال المسيح - عليه السلام - لليهود: «أنتم تعملون أعمال أبيكم. فقالوا له: إننا لم نولد من زنا. لنا أب واحد، وهو الله. فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكتنم تحبونني، لأنني خرجت من قبيل الله وأتيت، لأنني لم آت من نفسي، بل ذاك أرسلني»<sup>(٣)</sup>.

والتوحيد معتقد تلاميذ المسيح وتلاميذهم، وقد أقر بذلك نصراني معاصر يدعى (عوض سمعان) حيث قال: «إن المتفحص لعلاقة الرسل والحواريين بالمسيح يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان، ولم يتصوروا على الإطلاق أنه إله»<sup>(٤)</sup>.

(١) «نفسه» (١٩/١٧)، ولاشك أن المسيح وسائر الأنبياء هم أصلح الصالحين من البشر، فيعين فهم وصف «الصالح» في هذا النص بأنه المستحق للعبادة وحده، كما يؤيده السياق، والله أعلم.

(٢) «إنجيل يوحنا» (١٧/٢، ٣).

(٣) «نفسه» (٨/٤١، ٤٢).

(٤) «الله: طرق علاقته عن ذاته» نقلًا عن «النصرانية والإسلام» للمستشار محمد عزت الطهطاوي ص (١٩٠).

وقد نقل عنهم (العهد الجديد) ما يدل على ذلك:

فمن ذلك: ما جاء على لسان التلميذ يعقوب: «أنت تؤمن أن الله واحد. حسنًا تفعل»<sup>(١)</sup>، ولا شك أن القول بألوهية غير الله ليس من الحُسن في شيء. ويقول: «واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص ويهلك»<sup>(٢)</sup>. ويقول يهوذا: «الإله الحكيم الوحيد مخلصنا»<sup>(٣)</sup>.

بل إن (بولس) له بعض النصوص التي تعترف لله بالوحدانية، ومن ذلك قوله: «يوجد إله واحد، ووسيط بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح»<sup>(٤)</sup>. ويقول واصفًا الله بالوحدانية وغيرها من صفات الجلال والكمال: «المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب، الذي وحده له عدم الموت، ساكنًا في نور، لا يدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس، ولا يُقدر أن يراه، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية»<sup>(٥)</sup>.

ويقول: «لكن الله واحد»<sup>(٦)</sup>.

فهذه النصوص، وكثير مثلها تتحدث عن الإله الواحد، وليس في واحد منها أو غيرها حديث عن الإله المتعدد الأقانيم المتوحد في الجوهر الذي يدعيه النصارى.

---

(١) «يعقوب» (١٩/٢).

(٢) «نفسه» (١٢/٤).

(٣) «يهوذا» [٢٥].

(٤) «تيموثاوس» [١] (٥/٢)، ومعنى الوساطة هنا أنها في تبليغ الوحي، انظر: «الوساطة بين الحق والخلق» لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -.

(٥) «نفسه» [١] (١٦، ١٥/٦).

(٦) «غلاطية» (٢٠/٣).

# الاستِغْثَاءُ بِاللَّهِ

## مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ السَّنِينِيَّةِ (١٨)

أفضل من دعا إلى «لا إله إلا الله» بعد رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>، أبوه إبراهيم - عليه السلام - أبو الأنبياء و خليل الرحمن .

(١) فإن الله - عزَّ وجلَّ - فضَّلَ الأنبياء - عليهم السلام - على الأُولياء، وأفضل الأنبياء المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولوا العزم؛ منهم: محمد، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح - عليهم السلام -، وأفضل أولي العزم على الإطلاق: نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - بالإجماع، يليه في الأفضلية: إبراهيم - عليه السلام، خليل الرحمن، وأبو الأنبياء - . عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رجل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يا خير البرية»، فقال - صلى الله عليه وسلم -: «ذاك إبراهيم» [رواه مسلم (٤/١٨٣٩)، وأبو داود (٤/٢١٨)، والإمام أحمد (٣/١٧٨، ١٨٤)]، وخُصَّ من هذا النص محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالإجماع، فبقي على عمومته. انظر: «مباحث المفاضلة في العقيدة» للدكتور محمد الشظيفي ص (١٣٦-١٤١).

قال الإمام النووي - رحمه الله -: «قال العلماء: إنما قال - صلى الله عليه وسلم - هذا - أي إن إبراهيم خير البرية - تواضعًا واحترامًا لإبراهيم - صلى الله عليه وسلم - لخلته وأبوتة، وإلا فنبينا أفضل كما قال - صلى الله عليه وسلم -: «أنا سيد ولد آدم»، ولم يقصد به الافتخار ولا التناول على مَنْ تقدمه، بل قاله بيانًا لما أمرَ ببيانه وتبليغه، ولهذا قال - صلى الله عليه وسلم -: «ولا فخر»؛ لينفي ما قد يتطرق إلى بعض الأفهام السخيفة» اه من «شرح صحيح مسلم» (١٥/١٢١).

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: «وهذا كله لا ينافي ما ثبت بالتواتر عنه - صلوات الله وسلامه عليه - من أنه «سيد ولد آدم يوم القيامة»، وكذلك حديث أبي بن كعب في «صحيح مسلم»: «وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلقُ كلهم حتى إبراهيم»، ولما كان إبراهيم - عليه السلام - أفضل الرسل وأولي العزم بعد محمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - أمرَ المصلي أن يقول في تشهده ما ثبت في «الصحيحين» من حديث كعب بن عجرة وغيره، قال: قلنا: يا رسول الله! هذا السلام عليك قد عرفناه؛ فكيف الصلاة عليك؟ =

فقد افتتح إبراهيم - عليه السلام - عهداً جديداً، وسطر في تاريخ الدعوة إلى التوحيد فصلاً متميزاً فريداً؛ إذ دعا إلى تحقيق هذه الكلمة في قوة وحرارة بالغتين، وجاهر قومه وأباه بالعداوة، وقال لهم في صراحة وجرأة: ﴿إِنَّا بَرَاءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المتحنة: ٤].

وقال لهم كذلك: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٥-٨٢].

ولما حاجه قومه في الله - عز وجل - وخوفوه عاقبة كفره بالهتهم وشتمه لها، قال لهم موبخاً مسفهاً: ﴿أَتَحْتَجُونَ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ

= قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد»، وقال - تعالى - : ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قالوا: وفي جميع ما أمر به، وقام بجميع خصال الإيمان وشعبه، وكان لا يشغله مراعاة الأمر الجليل عن القيام بمصلحة الأمر القليل، ولا يُنسيه القيام بأعباء المصالح الكبار عن الصغار» اه من «البداية والنهاية» (١/ ١٧١).

وقال الحافظ ابن كثير أيضاً: «وقد ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - في «صحيح مسلم» [٨٢٠].. أنه قال: «سأقوم مقاماً يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم»، فمدح إبراهيم أباه مدحة عظيمة في هذا السياق، ودل كلامه على أنه أفضل الخلائق بعده عند الخلاق، في هذه الحياة الدنيا، ويوم يكشف عن ساق» اه. من «البداية والنهاية» (١/ ٣٨٥، ٣٨٦) ط. دار هجر.

الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ  
الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۖ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ  
رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ [الأنعام: ٨٠-٨٣].

ولم يكتف إبراهيم بهذه الدعوة القولية إلى التوحيد، بل بلغت به الجرأة  
وبيع النفس لله - عَزَّ وَجَلَّ - أن كاد لهذه الأصنام، فاهتبل فرصة خروج القوم إلى  
عيد لهم فراغ إلى آلهتهم فقال لهم مُستهزئاً: «ألا تأكلون؟ ما لكم لا تنطقون؟!»،  
فراغ عليهم ضرباً باليمين، فجعلهم جُذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون، فلما  
رجع القوم إلى مدينتهم ووجدوا أصنامهم على هذا النحو من التفتت والهوان،  
قالوا: من فعل هذا بالهتنا؟ إنه لمن الظالمين. قالوا: سمعنا فتى يذكرهم يُقال  
له إبراهيم.

وهكذا انحصرت التهمة في إبراهيم ﴿ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ  
يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا  
فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ  
﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن  
دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ  
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا نَبَارُكُوفِي بَرْدًا  
وَسَلَّمْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْآخِزِينَ ﴿٧٠﴾ [الأنبياء: ٦١-٧٠].

وهكذا ضرب إبراهيم المثل في التضحية والإخلاص والتفاني في الدعوة إلى  
الله، واحتمال كل ما يلقي في سبيلها ولو كان التحريق بالنار، واستحق بذلك  
ما أنسى الله به عليه في كتابه من قوله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا  
لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

﴿١٣١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٣﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٣].

وقوله: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٢].

ولم تكن أهمية الدور الذي قام به إبراهيم - عليه السلام - في الدعوة إلى التوحيد قاصرة على ما بذله في حياته؛ من جهدٍ استحق به لقب الخلة للرحمن، وتبوأ به منصب الإمامة في الدين، بل إن أهميته لتظهر أكثر وأكثر في امتداد دعوته في الأجيال من بعده<sup>(١)</sup>، قال - سبحانه -: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿العنكبوت: ٢٧﴾، فجميع الأنبياء بعد إبراهيم - عليه السلام - كلهم من ذريته؛ ولهذا لُقِّبَ بأبي الأنبياء.

وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ ﴿٣٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٦﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

«يقول - تعالى - مُخْبِرًا عن عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء، ووالد مَنْ بُعِثَ بعده من الأنبياء، الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها: إنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان، فقال: ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ

(١) «دعوة التوحيد» ص (١٢٣، ١٢٤).

﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ﴿ أَي: هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي «لا إله إلا الله» أي: جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم - عليه السلام - ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: إليها. وقال عكرمة، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم في قوله - عز وجل -: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ﴾ يعني: لا إله إلا الله، لا يزال في ذريته من يقولها. ورؤي نحوه عن ابن عباس. وقال ابن زيد: كلمة الإسلام، وهو يرجع إلى ما قاله الجماعة<sup>(١)</sup> اهـ.

وجعل الله - سبحانه - خليله إبراهيم - عليه السلام - وأتباعه أسوة لعباده المؤمنين فقال - عز وجل -: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾ [الممتحنة: ٤].

ومن يوم أن غرس إبراهيم شجرة التوحيد وهي مورقة يانعة الثمار بفضل من تعهد بها بعده بالسقي والإنماء من الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - . نعم كانت تذبل أحياناً، ويجف ورقها، وتتصوَّح أزهارها بسبب تفريط الأبناء وغفلتهم عن عهود الآباء، ولكنها على كل حال بقيت تغالب عوامل الموت والفناء. ولقد جاء عليها بعد عيسى - عليه السلام - آخر أنبياء بني إسرائيل وقت من الزمان كادت تذهب فيه وينمحي أثرها لولا أن تداركتها عناية الله بالرسالة الجامعة الخاتمة التي جاء بها محمد بن عبد الله النبي القرشي الأمي الهاشمي - صلوات الله وسلامه عليه -، فبعث فيها الحياة قوية فتية، وجدد من شبابها حتى استغلظت واستوت على سوقها وصارت وارفة الظلال ممتدة الأفياء أصلها ثابت وفرعها في السماء<sup>(٢)</sup>.

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٧/٢٢٦) ط. دار الحديث - القاهرة.

(٢) «دعوة التوحيد» ص (١٢٥).



## نِزَالُ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَى خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولاً - إبراهيم أمة:

قال - تعالى -: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٢٠)  
شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ آجِبْتَهُ وَهَدَيْتَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَعَاطَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي  
الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ [النحل: ١٢٠-١٢٢].

- ﴿ أُمَّةٌ ﴾ أي: يعدل وحده جماعة فيما رزقه الله من إيمان وثبات وشيم.

- ﴿ قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: قائمًا بأمر الله - تعالى - ، مائلًا إلى  
ملة الإسلام ميالًا لا يزول عنه.

قال ابن القيم - رحمه الله -:

«إن الله أثنى على إبراهيم خليله بقوله ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ الآية، فهذه  
أربعة أنواع من الثناء:

١ - افتتحها بأنه ﴿ أُمَّةٌ ﴾ وهو القدوة الذي يؤتم به.

قال ابن مسعود: (الأمة: المعلم للخير)، وهي فُعلة - بضم الفاء - من الائتمام  
كالقدوة وهو الذي يُقتدى به<sup>(١)</sup>، والفرق بين (الأمة) و(الإمام) من وجهين:

(١) وهذا المعنى هو المقصود من قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ  
قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة: ١٢٤] أي: إمامًا للناس يُقتدى به في التوحيد  
جزاءً على ما فعل، وكما قام بالأوامر وترك الزواجر جعله للناس قدوةً وإمامًا  
يُقتدى به، ويحتذى حدوه.

**أحدهما-** أن (الإمام) كل ما يُؤْتَم به، سواء كان بقصده وشعوره أو لا،  
ومنه سُمي الطريق إمامًا، كقوله - تعالى - : ﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴾ (٧٨)  
فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿ [الحجر: ٧٨، ٧٩]، أي: بطريقٍ واضحٍ لا يخفى على  
السالك، ولا يُسمى الطريق أمة.

**الثاني-** أن ﴿ الأمة ﴾ فيه زيادة معنى، وهو الذي جمع صفات الكمال من  
العلم والعمل، بحيث بقيَ فيها فردًا وحاده، فهو الجامع لخصالٍ تفرقت في غيره،  
فكأنه باين غيره باجتماعها فيه، وتفرقتها أو عدمها في غيره، ولفظ (الأمة) يشعر  
بهذا المعنى؛ لما فيه من الميم المضعفة الدالة على الضم بمخرجها وتكريرها،  
وكذلك ضم أوله، فإن الضمة من الواو ومخرجها ينضم عند النطق بها، وأتى  
بالتاء الدالة على الوحدة كالغرفة واللقمة، ومنه الحديث: «إن زيد بن عمرو بن  
نُفيل يُبعث يوم القيامة أمة وحده»<sup>(١)</sup>، فالضم والاجتماع لازم لمعنى الأمة، ومنه  
سُميت الأمة التي هي آحاد الأمم؛ لأنهم الناس المجتمعون على دينٍ واحدٍ أو  
في عصرٍ واحدٍ.

**٢-** قوله: ﴿ قَانِتًا لِلَّهِ ﴾ قال ابن مسعود: «القانت: المطيع»، والقنوت يُفسر  
بأشياء كلها ترجع إلى دوام الطاعة.

**٣-** قوله: ﴿ حَنِيفًا ﴾، والحنيف: المقبل على الله.

ويلزم من هذا المعنى ميله عما سواه، فالميل لازم معنى الحنيف، لأنه  
موضوعه لغةً.

(١) رواه الإمام أحمد (٣/١١٦، ١١٧) عن سعيد بن زيد - رضي الله عنه -، وصححه الشيخ أحمد  
شاکر، وانظر: «مجمع الزوائد» (٩/٤١٧).

٤- قوله: ﴿ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ﴾ والشكر للنعم مبني على ثلاثة أركان: الإقرار بالنعمة، وإضافتها إلى المنعم بها، وصرفها في مرضاته، والعمل فيها بما يجب؛ فلا يكون العبد شاكرًا إلا بهذه الأشياء الثلاثة.

**والمقصود:** أنه - سبحانه - مدح خليته بأربع صفات كلها ترجع إلى العلم، والعمل بموجبه، وتعليمه ونشره، فعاد الكمال كله إلى العلم والعمل بموجبه، ودعوة الخلق إليه<sup>(١)</sup> اهـ.

- أجل! لقد كان إبراهيم - عليه السلام - أمةً في إيمانه وعبوديته لله وشكره على نعمه.

- أمةً في ثباته على الحق، وصبره على أذى قومه وظلمهم.

- أمةً في حلمه، وسعة صدره، ولين جانبه، وحسن خلقه، وقوة حجته، وشدة ذكائه.

- أمةً في سخائه، وكرمه، وإنفاقه على من يعرف ومن لا يعرف.

- أمةً في تبرئه من المشركين، وعدم موالاتهم، وتميزه عنهم<sup>(٢)</sup>.

- أمة في تمام تجرده، وشدة إذعانه، وانقياده لأمر الله - تعالى - في جميع أموره.

(١) «مفتاح دار السعادة» (١٨٩، ١٩٠) نقلًا عن: «بدائع التفسير» (٣/ ٦٢-٦٤) بتصرف.

(٢) «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله» ص (٢١٢، ٢١٣).



وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى -:

«وقوله: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ وهذا من باب الترغيب في اتباعه؛ لأنه إمام يُقتدى به، حيث وصل إلى غاية ما يتقرب به العباد له، فإنه انتهى إلى درجة الخُلَّة التي هي أرفع مقامات المحبة، وما ذاك إلا لكثرة طاعته لربه، كما وصفه به في قوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧]، قال كثيرون من السلف: أي قام بجميع ما أمر به، ووفى كل مقام من مقامات العبادة، فكان لا يشغله أمر جليل عن حقير، ولا كبير عن صغير، وقال - تعالى -: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]. وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَّهُ وَهَدَنَّهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَعَايَنَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٢].

وإنما سُمِّي خليل الله لشدة محبة ربه - عز وجل - له، لما قام له من الطاعة التي يحبها ويرضاها؛ ولهذا ثبت في الصحيحين، عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما خطبهم في آخر خطبة خطبها قال: «أما بعد، أيها الناس، فلو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر ابن أبي قحافة خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الله». وجاء من طريق جُنْدُب بن عبد الله البجلي، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن مسعود، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الله اتخذي خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا»<sup>(١)</sup>.

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٤٧٠-٤٧٢) بتصرف.

### ثالثاً - إبراهيم أبو الأنبياء:

أخبر الله - تعالى - أنه منذ بعث نوحاً - عليه السلام - لم يرسل بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته، وكذلك إبراهيم - عليه السلام - خليل الرحمن، لم ينزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً، ولا أوحى إلى بشر من بعده، إلا وهو من سلالة، فقال - عز وجل -: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ٢٦].

وقال - سبحانه - في شأن إبراهيم - عليه السلام -: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

### رابعاً - تعظيم الله - تعالى - لملة إبراهيم - عليه السلام -:

من شرف إبراهيم - عليه السلام - أن أضافه الله - تعالى - إلى دين الإسلام، ونسب الملة الحنيفية إلى اسمه الشريف فقال: «ملة إبراهيم» وقد عظم الله - سبحانه - «ملة إبراهيم» بأساليب شتى:

- فقد نص على أن جميع الأنبياء من بعده افتخروا بانتمائهم إلى ملة إبراهيم ودعوا قومهم إليها:

- فقد قال - تعالى -: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٢].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيرها:

«يقول - تبارك وتعالى - ردًّا على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله، المخالف لملة إبراهيم الخليل، إمام الحنفاء، فإنه جَرَّد توحيد ربه - تبارك وتعالى -، فلم يدع معه غيره، ولا أشرك به طرفه عين، وتبرأ من كل معبود سواه، وخالف في ذلك سائر قومه، حتى تبرأ من أبيه، فقال: ﴿يَقَوْمِ إِنِّي بُرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ [الأنعام: ٧٨، ٧٩]، وقال - تعالى -: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، وقال - تعالى -: ﴿ وَمَا كَانِ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤]، وقال - تعالى -: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ آجِبْتَهُ وَهَدَيْتَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣١﴾ وَعَايَنْتَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمَنَّ الصَّالِحِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٢]، ولهذا وأمثاله قال - تعالى -: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ أي: عن طريقته ومنهجه، فيخالفها ويرغب عنها ﴿ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ أي: ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال، حيث خالف طريق من اضطفي في الدنيا للهداية والرشاد، من حداثة سنه إلى أن اتخذه الله خليلاً، وهو في الآخرة من الصالحين السعداء، فترك طريقه هذا ومسلكه وملته واتبع طرق الضلالة والغي، فأى سفه أعظم من هذا؟! أم أي ظلم أكبر من هذا؟! كما قال - تعالى -: ﴿ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظَلَمٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وقال أبو العالية وقتادة: «نزلت هذه الآية في اليهود؛ فأحدثوا طريقاً ليست من عند الله، وخالفوا ملّة إبراهيم فيما أخذوه»، ويشهد لصحة هذا القول قول الله - تعالى - : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [٦٧] إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [آل عمران: ٦٧، ٦٨].

وقوله - تعالى - : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي: أمره الله بالإخلاص له والاستسلام والانقياد، فأجاب إلى ذلك شرعاً وقدرًا، وقوله: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾، أي: وصى بهذه الملّة، وهي الإسلام لله لحرصهم عليها ومحبتهم لها حافظوا عليها إلى حين الوفاة ووصّوا أبناءهم بها من بعدهم: ﴿ يَبْنِيَنَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴾ أي: أحسنوا في حال الحياة، والزموا هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه. فإن المرء يموت غالباً على ما كان عليه، ويُبعث على ما مات عليه. وقد أجرى الله الكريم عادته بأن من قصد الخير ووفّق له ويُسرّ عليه. ومن نوى صالحاً ثبت عليه. وهذا لا يعارض ما جاء في الحديث الصحيح: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باعٌ أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باعٌ أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»<sup>(١)</sup>؛ لأنه قد جاء في بعض روايات هذا الحديث: «فيعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو

(١) هذا جزء من حديث رواه أحمد في «المسند» [٣٦٢٤]، من حديث ابن مسعود، وكذلك رواه البخاري ومسلم وغيرهما. وهو الحديث الرابع من الأربعين النووية.



للناس». وقد قال الله - تعالى - : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَفَى ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ، لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ، لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ [الليل: ٥-١٠] ﴿١١﴾ .

﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنِّي بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالنَّهَارِ وَالنَّجْمِ قَالُوا مَسْئَلُكُمْ لَنَا مَقَالٌ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾ [البقرة: ١٣٣، ١٣٤] .

يقول - تعالى - محتجاً على المشركين من العرب أبناء إسماعيل، وعلى الكفار من بني إسرائيل - وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام - بأن يعقوب لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له، فقال لهم: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنِّي بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالنَّهَارِ وَالنَّجْمِ قَالُوا مَسْئَلُكُمْ لَنَا مَقَالٌ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾ [البقرة: ١٣٣، ١٣٤] . وهذا من باب التغليب لأن إسماعيل عمه. ﴿ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ أي: نُوحِدُهُ بِالْأَلوهية، ولا نشرك به شيئاً غيره ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ أي: مطيعون خاضعون كما قال - تعالى - : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣] .

والإسلام هو ملة الأنبياء قاطبة، وإن تنوعت شرائعهم، واختلفت مناهجهم، كما قال - تعالى - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] . والآيات في هذا كثيرة والأحاديث، فمنها:

(١) هذا جزء من حديث آخر، عن سهل بن سعد، وإنما اعتبره المؤلف الحافظ من بعض روايات الحديث الذي قبله - باعتبار المعنى، لا باعتبار اتحاد الصحابي - وحديث سهل بن سعد رواه مسلم (٣٠٠، ٢٩٩/٢) مختصراً. ورواه البخاري (٦٦/٦)، ومسلم (٤٣/١) مطولاً في قصة.

قوله - صلى الله عليه وسلم - : «نحن مَعْشَرُ الأنبياءِ أولادِ عَلاتِ ديننا واحد»<sup>(١)</sup>.

الحديث.

وقوله - تعالى - : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ أي: مضت ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ أي: إن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا لم تفعلوا خيراً يعود نفعه عليكم، فإن لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم: ﴿ وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> اهـ.

وهذا يوسف - عليه السلام - يفخر بانتسابه إلى ملة إبراهيم، فقد قص الله علينا في حواره - عليه السلام - مع صاحبي السجن:

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ۗ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۗ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۗ مَا كَان لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يوسف: ٣٧، ٣٨].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى -:

«يخبرهما يوسف - عليه السلام - أنهما مهما رأيا في نومهما من حلم، فإنه عارف بتفسيره، ويخبرهما بتأويله قبل وقوعه؛ ولهذا قال: ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ﴾ قال مجاهد: في نومكما ﴿ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ۗ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾. ثم قال: وهذا إنما هو من تعليم الله إياي؛ لأنني اجتنبت ملة الكافرين بالله واليوم الآخر، فلا

(١) رواه البخاري (٣٥٢/٦)، ومسلم [٢٣٦٥] [١٤٥].

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١/٣٩٨ - ٤٠١) بتصرف.

يرجون ثواباً ولا عقاباً في المعاد ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ﴾ الآية، يقول: هجرت طريق الكفر والشرك، وسلكت طريق هؤلاء المرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -، وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى، واتبع طريق المرسلين، وأعرض عن طريق الظالمين فإنه يهدي قلبه ويعلمه ما لم يكن يعلمه، ويجعله إماماً يقتدى به في الخير، وداعياً إلى سبيل الرشاد.

﴿مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكُمْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾: هذا التوحيد، وهو الإقرار بأنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ أي: أوحاه إلينا، وأمرنا به ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾، إذ جعلنا دعاء لهم إلى ذلك ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: لا يعرفون نعمة الله عليهم بإرسال الرسل إليهم، بل ﴿بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨] اهـ<sup>(١)</sup>.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال:

قيل للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: من أكرم الناس؟ قال: «أكرمهم أتقاهم». قالوا: يا نبي الله، ليس عن هذا نسألك. قال: «فأكرم الناس يوسفُ نبيُّ الله ابنُ نبيِّ الله ابنِ نبيِّ الله ابنِ خليلِ الله..» إلى آخر الحديث<sup>(٢)</sup>.

- الجواب الأول - أكرم الناس يوسف - من جهة الشرف بالأعمال الصالحة، والثاني من جهة الشرف بالنسب الصالح.

وافتح رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - بانتمائه لملة أبيه إبراهيم - عليه السلام -:

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٣٩٧، ٣٩٨).

(٢) رواه البخاري [٣٣٧٤]، [٣٣٨٣]، [٤٦٨٩]، والنسائي في «الكبرى» [١١٢٥٠].

﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

يقول - تعالى - أمرًا للنبية - صلى الله عليه وسلم - سيد المرسلين أن يخبر بما أنعم به عليه من الهداية إلى صراطه المستقيم، الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ﴿ دِينًا قِيمًا ﴾ أي: قائمًا ثابتًا ﴿ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ كقوله: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة: ١٣٠] (١).

وأمر الله - تعالى - خليله ورسوله محمدًا - صلى الله عليه وسلم - أن يتبع ملة إبراهيم:

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَعَاطَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٣].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى -: «يمدح - تعالى - عبده ورسوله وخليله إبراهيم، إمام الحنفاء والدة الأنبياء، ويبرئه من المشركين ومن اليهودية والنصرانية فقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾ ، فأما «الأمة»، فهو الإمام الذي يُقتدى به. والقانت: هو الخاشع المطيع. والحنيف: المنحرف قصدًا عن الشرك إلى التوحيد؛ ولهذا قال: ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٤٢٣، ٤٢٤).

وقوله: ﴿ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ ﴾ أي: قائمًا بشكر نعم الله عليه، كما قال: ﴿ وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ [النجم: ٣٧]، أي: قام بجميع ما أمره الله - تعالى - به ﴿ أَحَبَّهُ ﴾ أي: اختاره واصطفاه ﴿ وَهَدَيْتُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وهو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضي. وقوله: ﴿ وَعَايَنْتُهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ أي: جمعنا له خير الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن إليه في إكمال حياته الطيبة ﴿ وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمَنَّ الصَّالِحِينَ ﴾. وقال مجاهد في قوله: ﴿ وَعَايَنْتُهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ أي: لسان صدق. وقوله: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ أي: من كماله وعظمته وصحة توحيده وطريقه، أنا أوحينا إليك يا خاتم الرسل وسيد الأنبياء: ﴿ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾، كما قال: ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦١] (١) اهـ.

«وليس يلزم من كونه - عليه السلام - أمرًا باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها؛ لأنه - عليه السلام - قام بها قيامًا عظيمًا، وأكملت له إكمالًا تامًا لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال؛ ولهذا كان خاتم الأنبياء، وسيد ولد آدم على الإطلاق، وصاحب المقام المحمود الذي يرغب إليه الخلق كلهم، حتى إبراهيم - عليه السلام -. وقد روى ابن مردويه عن ابن أبي عمير، عن أبيه قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أصبح قال: «أصبحنا على ملة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد، وملة أبينا إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين» (٢). وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: قيل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

(١) «نفس المرجع» (٤/٦١٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/٤٠٦)، والنسائي في «العمل» ص (١٣٤)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح» اهـ. من «مجمع الزوائد» (١٠/١١٦).

أي الأديان أحب إلى الله - تعالى -؟ قال: «الحنيفية السمحة»<sup>(١)</sup>. وروى أحمد عن عائشة، قالت: وضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذقني على منكبيه، لأنظر إلى زفن الحبشة، حتى كنت التي مللت فانصرفت عنه. قال لي عروة: إن عائشة قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ: «لتعلم يهود أن في ديننا فسحة، إني أرسلت بحنيفية سمحة»<sup>(٢)</sup>. أصل الحديث مُخَرَّجٌ في الصحيحين، والزيادة لها شواهد من طرق عدة، وقد استقصيت طرقها في شرح البخاري، والله الحمد والمنة<sup>(٣)</sup> اهـ.

- وأمر الله - سبحانه - أتباع رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - المؤمنين به؛ أن يتبعوا ملة إبراهيم - عليه السلام -، فقال - عز وجل -: ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٥].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: «ثم قال - تعالى -: ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ﴾ أي: قل يا محمد: صدق فيما أخبر به، وفيما شرعه في القرآن ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: اتبعوا ملة إبراهيم التي شرعها الله في القرآن على لسان محمد - صلى الله عليه وسلم -، فإنه الحق الذي لا شك فيه ولا مرية، وهي الطريقة التي لم يأت نبيٌّ بأكمل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أتم»<sup>(٤)</sup> اهـ.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٦/١)، وحسنه الحافظ في «الفتح» (١١٧/١)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاکر [٢١٠٧].

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١١٦/٦)، وأورده الألباني في «الصحيحة» (٤٤٣/٤).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤٢٤، ٤٢٥).

(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٨٢/٢).

وقال الله - سبحانه -: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ  
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٥].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: « روى محمد بن إسحاق: عن ابن عباس،  
قال: قال عبد الله بن صوريا الأعمش لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ما الهدى  
إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد. وقالت النصارى مثل ذلك. فأنزل الله  
- عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾ . وقوله: ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ  
حَنِيفًا ﴾ أي: لا نريد ما دعوتمونا إليه من اليهودية والنصرانية، بل نتبع ﴿ مِلَّةَ  
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ أي: مستقيماً. وقال مجاهد: مخلصاً.

﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن قَبْلِهِ سَلْمًا  
وَأَلْسَابِطٍ وَمَا أَوْتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ  
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

أرشد الله - تعالى - عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله  
محمد - صلى الله عليه وسلم - مفصلاً، وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً،  
ونص على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأن لا يفرقوا بين أحد منهم،  
بل يؤمنوا بهم كلهم، ولا يكونوا كمن قال الله فيهم: ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ  
اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ  
سَبِيلًا ﴾ ١٥٠ ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾ الآية [النساء: ١٥٠، ١٥١].

وروى البخاري: عن أبي هريرة، قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويُفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية». وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي عن ابن عباس، قال، كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكثر ما يصلي الركعتين اللتين قبل الفجر بـ ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية، والآخرى بـ ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]. وقال الخليل بن أحمد وغيره: الأسباط في بني إسرائيل، كالقبائل في بني إسماعيل.

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٧، ١٣٨].

يقول - تعالى -: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا﴾ يعني: الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ﴿بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ أيها المؤمنون، من الإيمان بجميع كتب الله ورسوله، ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ أي: فقد أصابوا الحق وأرشدوا إليه: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: عن الحق إلى الباطل، بعد قيام الحجة عليهم ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: فسينصرك عليهم ويُظفرك بهم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.



وقوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ : قال ابن عباس: دين الله. وانتصاب ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾: إما الإغراء كقوله: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ﴾ [الرم: ٣٠] أي: الزموا ذلك عليكموه. وقال بعضهم: بدلاً من قوله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾. وقال سيويه: هو مصدر مؤكد انتصب عن قوله: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ كقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٩]»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال - عز وجل - : ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا آيَةُ [الحج: ٧٨].

فقوله - تعالى - : ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ فيه حث وإغراء للمؤمنين على ما جاءهم به رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - بأنه ملة أبيهم إبراهيم الخليل - عليه السلام - .

وأثنى الله - سبحانه - ثناءً عاماً على كل من اتبع ملة إبراهيم - عليه السلام - . فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ الآية. [النساء: ١٢٥].

قال الحافظ ابن كثير: «ثم قال - تعالى - : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: أخلص العمل لربه - عز وجل - فعمل إيماناً واحتساباً ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: اتبع في عمله ما شرعه الله له، وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق، وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما، أي: يكون خالصاً صواباً، والخالص. أن يكون لله. والصواب: أن يكون متابِعاً للشريعة. فيصح ظاهره بالمتابعة، وباطنه بالإخلاص، فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد. فمن

(١) «نفس المصدر» (١/ ٤٠١-٤٠٤) بتصرف.

فقد الإخلاص كان منافقاً، وهم الذين يراؤون الناس، ومن فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً. ومتى جمعهما فهو عمل المؤمنين ﴿الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦]؛ ولهذا قال - تعالى -: ﴿وَاتَّبَعَ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ ، وهم محمد وأتباعه إلى يوم القيامة، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]. وقال - تعالى -: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣] والحنيف: هو المائل عن الشرك قصداً، أي تاركاً له عن بصيرة، ومقبل على الحق بكليته، لا يصدده عنه صاد، ولا يرده عنه راد<sup>(١)</sup> اهـ.

(١) «نفسه» (٢/ ٤٧٠).

## فكر إبراهيم - حجته السداس - في الكتاب المقدس عند أهل الكتاب

قد جاء ذكر الخليل - عليه السلام - في الكتب المقدسة الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن، وكلها تشير إلى مكانته العالية في الدين، وتضفي عليه ما هو أهل له من المديح والثناء.

فقد جاء في (سفر التكوين) في الإصحاح الثاني عشر «إن الرب قال لإبراهيم: «اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريتك فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة. وأبارك من يباركك، ومن يلعنك ألعنه وفيك تبارك جميع قبائل الأرض» فذهب إبراهيم كما قال له الرب، وذهب معه لوط.

وفي الإصحاح السابع عشر جاء «ظهر الرب لإبرام وقال: «أنا الله التقدير مر أمامي وكن كاملاً فاجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيرًا جدًّا، فخر إبراهيم ساجدًا وتكلم الله معه قائلاً: «أما أنا فهو ذا عهدي معك وتكون أبًا لجمهور من الأمم وأثمرك كثيرًا جدًّا وأجعلك أمًّا ومنك ملوك يخرجون، وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدًا أبدئًا لأكون إلهًا لك ولنسلك من بعدك وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكًا أبدئًا وأكون إلههم» إلى أن يقول:

«وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرًا جدًّا اثنى عشر رئيسًا يلد وأجعله أمة كبيرة».

وجاء في الإصحاح الحادي والعشرين عند ذكر قصة الفداء «ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء وقال: بذاتي أقسمت إنني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك ووحيدك أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرًا كنجوم السماء».

وفي (العهد القديم) كذلك عدا ما ذكرنا إشارات كثيرة إلى إبراهيم -عليه السلام- منها ما يذكره ليعهد الرب له ومنها ما يصفه ويصف بعض أخباره.

وقد جاء وصف إبراهيم بالخلة في (كتاب الأيام الثاني) حيث يقول في الإصحاح العشرين «ألست أنت إلهنا الذي طردت سكان هذه الأرض أمام شعب إسرائيل وأعطيتها لنسل إبراهيم خليلك إلى الأبد».

وجاء ذكر إبراهيم أيضًا في المصادر النصرانية، وإن كان ذلك على ندرة ففي الإصحاح الثامن من (إنجيل متى) يقول المسيح -عليه السلام-: «الحق أقول لكم لم أجد في إسرائيل إيمانًا بمقدار هذا، وأقول لكم: إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغرب ويتكثرون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السموات، وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية».

وفي الإصحاح الثاني من (إنجيل يوحنا) أن المسيح قال لليهود الذين آمنوا به: «إنكم إن ثبتتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي وتعرفون الحق والحق يحرركم، فأجابوه: إننا ذرية إبراهيم ولم نستعبد لأحد قط فكيف تقول إنكم تصيرون أحرارًا؟ قال: الحق أقول لكم إن كل من يعمل بالخطيئة، فهو عبد للخطيئة، والعبد لا يبقى في البيت أبدًا، أما الابن فيبقى للأبد، ثم قال: لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم».

## فائدة:

### تعظيم إبراهيم - عليه السلام - في القرآن الكريم:

رأينا في الفصول المتقدمة كيف عظم الله - سبحانه وتعالى - في كتابه المجيد ذكر إبراهيم - عليه السلام -، وذلك بعبارات تفيض بالثناء، وفريد التكريم والتعظيم والتبجيل.

لقد ذكر اسم إبراهيم - عليه السلام - في القرآن الكريم تسعاً وستين مرة، وذكرت قصته في خمس وعشرين سورة، وفي ثلاث وستين آية، كما ارتبطت سيرته بسيرة ابن أخيه لوط - عليه السلام -، وبسيرة ولديه إسماعيل وإسحق - عليهما السلام -، بل ارتبطت سيرته بسيرة كل من جاء بعده من الأنبياء لأنهم جميعاً من نسله وذريته، وكان مسك الختام سيد ولد آدم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام<sup>(١)</sup>.

وحفلت السنة الشريفة بأحاديث نبوية صحيحة كلها تفصل فضائل إبراهيم - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - كأحاديث المعراج، وذكر كونه أول من يكسى يوم القيامة، وتنزيهه عن الاستقسام بالأزلام، ووصفه بأنه خير البرية، وارتباط اسمه بكثير من شعائر الإسلام كالصلاة، وعامة مناسك الحج كالطواف والسعي وشرب زمزم، ورمي الجمرات، وذبح الهدي.

---

(١) انظر: «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله» (١/٩٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في سياق كلامه عن  
موضوعات سورة البقرة:

«ثم أخذ - سبحانه - في بيان شرائع الإسلام التي هي ملة إبراهيم: فذكر  
إبراهيم الذي هو إمام، وبناء البيت الذي بتعظيمه يتميز أهل الإسلام عما  
سواهم، وذكر استقباله، وقرر ذلك، فإنه شعار الملة بين أهلها وغيرهم؛ ولهذا  
يقال: أهل القبلة، كما يقال: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا،  
فهو المسلم»<sup>(١)</sup> اهـ.

---

(١) «دقائق التفسير» (١/١٩٦).

## تنزيه إبراهيم - عليه السلام - من اليهودية والنصرانية

من خصائص خليل الرحمن أبي الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - أن تعظيمه وحبه واحترامه والتباهي بالانتساب إليه قاسم مشترك بين المسلمين واليهود والنصارى، بل حاول كل من اليهود والنصارى ادعاء نسبه إلى ديانتهم، حتى فضح الله كذبهم، فقال - عز وجل - :

﴿ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَتَأْتُمْ هَتُوءًا حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

[آل عمران: ٦٥-٦٨]

قال الحافظ بن كثير - رحمه الله - :

«ينكر - تعالى - على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل، ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم، كما روى محمد بن إسحاق عن ابن عباس قال: اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فتنازعوا عنده، فقالت الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًا، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا، فأنزل الله - تعالى - : ﴿ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ الآية، أي: كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهوديًا، وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى؟ وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانيًا، وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر؟! ولهذا قال: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

ثم قال: ﴿ هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءَ حَبَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به، فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لم يعلموا، فأنكر الله عليهم ذلك، وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها، ولهذا قال: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

ثم قال - تعالى - : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ ، أي متحنفًا - مائلًا - عن الشرك قاصدًا إلى الإيمان ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ، وهذه الآية كالتى تقدمت في سورة البقرة: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٥] (١) اهـ .

ثم قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَئِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . «يقول - تعالى - : أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه، وهذا النبي - يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم - والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ومن بعدهم» (٢) .

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٦٢ ، ٦٣) .

(٢) فكل من اتبع إبراهيم في القديم والحديث من حقه أن ينتمي إليه ويعتز به، وهو باتباعه له أولى الناس به، وقد رأينا فيما مضى أنه - عليه السلام - تبرأ من أبيه وأقرب الناس منه، فكيف لا يتبرأ ممن هم على عقيدة أبيه وقومه في هذا العصر وكل عصر؟! كيف لا يتبرأ منهم والله - جل وعلا - أخبره بأن الظالمين من أبنائه ليسوا أئمة ولا ينالهم عهده، بل كيف لا يتبرأ منهم وهو القائل: ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وانظر: «منهج الأنبياء» ص (٢١٥) .



روى سعيد بن منصور: عن ابن مسعود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَوَلَاةً مِنَ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ وَلِيَّيَ مِنْهُمْ أَبِي وَخَلِيلُ رَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ -»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ الآية. ورواه الترمذي والبخاري، ورواه وكيع في تفسيره عن ابن مسعود بنحوه، وقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: ولي جميع المؤمنين برسله»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال الله - عزَّ وجلَّ - مخاطبًا أهل الكتاب:

﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾<sup>(١٣٩)</sup> أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَعْلَمُ أَمْرُ اللَّهِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١٤٠)</sup> تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٩-١٤١].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

«يقول الله - تعالى - مُرْشِدًا نَبِيَّهُ - صلوات الله وسلامه عليه - إلى درء مجادلة المشركين: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾، أي: أتناظروننا في توحيد الله، والإخلاص له والانقياد، واتباع أوامره، وترك زواجره ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ المتصرف فينا وفيكم، المستحق لإخلاص الإلهية له وحده لا شريك له؟! ﴿وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾، أي: نحن برآء منكم ومما تعبدون وأنتم برآء منا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]، وقال - تعالى -: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/٦٣).

أَتَّبَعْنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ  
تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿ [آل عمران : ٢٠] ، وقال - تعالى -  
إِخْبَارًا عَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَدِّثُونَ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا  
تُشْرِكُونَ بِهِ ؕ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿ [الأنعام : ٨٠] ، وقال - تعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ؕ ﴿ [البقرة : ٢٥٨] ،  
وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿ [البقرة : ١٣٩] ، أي: نحن برآء  
منكم كما أنتم برآء منا، ونحن له مخلصون، أي: في العبادة والتوجه.

ثم أنكر - تعالى - عليهم في دعواهم أن إبراهيم ومن ذكر من الأنبياء  
والأسباط كانوا على ملتهم، إما اليهودية وإما النصرانية، فقال: ﴿ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ  
أَمِ اللَّهُ ﴾ يعني: بل الله أعلم، وقد أخبر أنهم لم يكونوا هودًا ولا نصارى، كما  
قال - تعالى - : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية والتي بعدها [آل عمران : ٦٧ ، ٦٨].

وقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ ﴾ .

قال الحسن البصري: كانوا يقرؤون في كتاب الله الذي أتاهم: إن الدين  
الإسلام، وإن محمدًا رسول الله، وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب  
والأسباط كانوا برآء من اليهودية والنصرانية، فشهد الله بذلك، وأقروا به على  
أنفسهم لله، فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك. وقوله: ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا  
تَعْمَلُونَ ﴾ تهديد ووعيد شديد، أي: علمه محيط بعملكم، وسيجزيكم عليه، ثم  
قال: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ حَلَّتْ ﴾ ، أي: قد مضت ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ ،

أي: لهم أعمالهم ولكم أعمالكم ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وليس يغني عنكم انتسابكم إليهم، من غير متابعة منكم لهم، ولا تغتروا بمجرد النسبة إليهم حتى تكونوا مثلهم منقادين لأوامر الله واتباع رسله الذين بُعثوا مبشرين ومنذرين، فإنه من كفر بنبيٍّ واحدٍ فقد كفر بسائر الرسل، ولا سيما من كفر بسيد الأنبياء وخاتم المرسلين ورسول رب العالمين إلى جميع الإنس والجن من المكلفين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين»<sup>(١)</sup> اهـ.

---

(١) «نفسه» (١/٤٠٤، ٤٠٥).

## التحذير من مِلَّةِ الْإِسْلَامِ: الدِّينُ الْإِبْرَاهِيمِيُّ الْبَلَدَانِيُّ

يُروى دُعاة ما يسمى: (التقريب بين الأديان) لضلالتهم بإشاعة مصطلح: (الأديان الإبراهيمية) إشارةً إلى الإسلام والنصرانية واليهودية، بحجة إيمانهم جميعاً بإبراهيم - عليه السلام -، ولا شك أن مَنْ رَامَ الْقُرْبَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ - فضلاً عن سائر الملل الوثنية - فقد رغب عن ملة إبراهيم التي هي الحنيفية المسلمة، وقد أمر الله عباده المؤمنين بلزومها، فقال: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، يعني: فالزموها، وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥].

وملته - عليه السلام - هي ملة الأنبياء قبله وبعده، وهي الإسلام بمعناه العام، الذي يعني إسلام الوجه لله - تعالى - بالإخلاص له وحده دونما سواه، ونبذ الشرك والبراءة من أهله، والإحسان في عبادته باتباع شرعه الذي شرعه على لسان نبيه الذي أرسله، والإيمان بالمعاد، وذلك أحسن الدين، كما قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وقد سَفِهَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَنْفُسَهُمْ حِينَ رَغَبُوا عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ بِوَقُوعِهِمْ فِي أَنْوَاعِ الشَّرْكِ وَالْبَدْعِ وَالْكَفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعَصْيَانِ، كما قال قتادة: «رغب عن ملته اليهود والنصارى، واتخذوا اليهودية والنصرانية بدعةً ليست من الله، وتركوا ملة إبراهيم».

ومع ذلك فقد حاولوا انتحاله، والانتساب إليه، فأكذبهم الله، وأبطل دعواهم، وبرَّ أنبياءه الكريم من كفرهم وضلالهم، فقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧]، وأنكر عليهم أن يكون أحد من أنبيائه من ذريته على اليهودية أو النصرانية، فقال: ﴿ أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٠]، كما حاولوا استزلال المؤمنين في عهد النبوة إلى طريقهم، بدعوتهم إلى التهود أو التنصر، فرد الله دعوتهم في نحورهم: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٥]، وامثل - صلى الله عليه وسلم - أمر ربه فدعاهم إلى ملة إبراهيم، في خطة رشد، وكلمة سواء، فقال: ﴿ قُلْ يَتَاهَلَّ الْكُتُبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ولكن أتباع عزرا - لا موسى -، وبولس (١) - لا المسيح - شَرِقُوا بدعوته، ولجُّوا في طغيانهم، واستنكفوا واستكبروا عن اتباع الهدى، ورجعوا عن ملة إبراهيم.

(١) انظر: قصة تحريفه لدين المسيح - عليه السلام - في «مصادر النصرانية» للدكتور عبد الرزاق الألو (٢/٦٣٦-٦٧٦). ط. دار التوحيد - الرياض - ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، و«كواشف وزيوف» للأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني ص (٢٥-٢٩)، و«الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية» للدكتور عبد الشكور العروسي ص (٣١٧-٣٥٢)، و«النصرانية والإسلام» للمستشار محمد عزت الطهطاوي ص (٢٤٥-٢٨٣).

ومن هنا يجب التنبيه إلى خطورة ما يدعو إليه في زماننا بعض الضالين مما يسمونه (الإبراهيمية) كي يلتقى المسلمون مع اليهود والنصارى تحت شعار إبراهيم، وهذا زُخرف من القول، لا يندفع به إلا السُدج، وإبراهيم الذي يقصدونه هو إبراهيم (التاريخي) وليس إبراهيم الموحد الحنيف، مع أنهم رغبوا عن ملته، وانتحلوا اسمه الشريف لاقتناص ضحاياهم، وليتزعوا من أهل الإسلام اعترافاً ضمنياً - بل صريحاً - بأنهم على ملة إبراهيم؛ الأمر الذي يُعد - في حد ذاته - رغبةً عن ملة إبراهيم - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام -<sup>(١)</sup>.

### تنبيه:

حاول كل من اليهود والنصارى نسبة إبراهيم - عليه السلام - إلى ملتهم، وهم يحاولون اليوم التقريب بين ما يُسمى (الأديان الإبراهيمية الثلاثة) حتى يتزعوا اعترافاً من المسلمين بصحة نسبتهم - أي اليهود والنصارى - إلى إبراهيم - عليه السلام -، بيد أن هناك محاولةً تدور في إطارٍ ثالثٍ يحاول أن يُخفي انتساب المسلمين إلى إبراهيم - عليه السلام -، وذلك من خلال نشر فكرة (السامية) التي تركز على أن هناك أصلاً واحداً مشتركاً بين العرب واليهود، هو (سام بن نوح)، في حين أن القصد الحقيقي من وراء ذلك هو التعمية على انتساب العرب إلى إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام -، وربط تاريخ إسماعيل وذريته إلى مصدر غامض بعيد في أحقاب التاريخ، وبالتالي صرف الأنظار عن هويتنا الحقيقية التي هي ملة أبينا إبراهيم - عليه السلام - التي أولاها القرآن الكريم أعظم الاهتمام، ونسبنا إليها، وحثنا على اتباعها، وبراً إبراهيم - عليه السلام - من كونه يهودياً أو نصرانياً أو مشركاً.

(١) بتصرف من «دعوة التقريب بين الأديان» ص (١٤٢٧-١٤٣١).

## الإسلامُ اللهُ

(١٩) هي الدينُ المقبولُ عندَ اللهِ

منذ وُجِدَ الشركُ والفسادُ في الأرض، كانت الأنبياء والرسل يدعون إلى عبادة الله وحده، وينهون عن كل صور الفساد في الأرض، وكان الذين يتبعون الأنبياء هم المؤمنون، كان نوح مؤمناً، وكان من تبعه مؤمنين، وكذلك كان إبراهيم خليل الرحمن أبو الأنبياء والمرسلين مؤمناً، وكان أتباعه مؤمنين. وكذلك كان إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وكذلك كان الأنبياء من بعده إلى عيسى مؤمنين، وكان أتباعهم مؤمنين، حتى بعث الله إلى البشرية كلها خاتمهم محمداً - صلى الله عليه وسلم - مؤمناً، وأتباعه المؤمنون.

واليوم يُعرف الذين انتسبوا إلى موسى باليهود أو (الموسويين)، ويُعرف الذين انتسبوا إلى المسيح بـالنصارى أو (المسيحيين)، ويُعرف الذين آمنوا بمحمدٍ - صلى الله عليه وسلم - بالمسلمين، وكلُّ يؤمن أن دينه هو دينُ الله، أو هو الدين عند الله، فما هو الدين المرصِيُّ المقبول عند الله؟

## التقيُّمُ النبيّ (النفوسِ) على السالمِ واليهودِ والنصارى

لا يستطيع مسلم ولا يهودي ولا نصراني أن ينفي الإيمان عن نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء قبل موسى - عليه السلام -، فالجميع يؤمنون أن هؤلاء كانوا رسلَ الله المؤمنين، وأن من تبعوهم كانوا مؤمنين، وأنهم كانوا على الدين المرزُبيّ المقبول - عند الله - عزَّ وجلَّ -، وفي الوقت نفسه لا يستطيع أحد أن ينسبهم إلى الموسوية (اليهودية)، ولا إلى المسيحية (النصرانية)، لسبب بديهي هو أن (اليهودية) و(النصرانية) لم تكن قد عُرفت بعد في عهد أي واحد من هؤلاء الأنبياء، والسؤال الآن:

ما هذا الدين الذي آمن به الأنبياء من لدن آدم - عليه السلام - إلى نوح، إلى إبراهيم، إلى آخر نبي بُعث قبل موسى - عليه السلام -؟ نعم، ماذا كان دين هؤلاء الأنبياء الذي يتفق اليهود والنصارى والمسلمون على أنه دين الله، وأنه هو الدين المقبول المرزُبيّ عند الله - سبحانه وتعالى -؟

لا نقف في توراة اليهود، ولا في إنجيل النصارى الحاليين، على إثباتٍ لاسم هذا الدين الذي آمن به هؤلاء الأنبياء ومن تبعوهم<sup>(١)</sup>، فكيف نستطيع معرفة هذا الدين؟

---

(١) لكن القرآن الكريم الكتاب السماوي الوحيد الذي حُفِظَ من التحريف ينص على تسميته «الإسلام» وتسمية المؤمنين به «المسلمين»، وهذا يكفي لأن القرآن المجيد مهيمن على الكتب السابقة وحاكم عليها، بل إن اليهود والنصارى لا يملكون من خلال كتابيهما المعدومَيَّ الأسانيد أن يثبتوا حقيقة وجود كتابين هما التوراة والإنجيل، وحقيقة وجود نبيين كريمين هما موسى وعيسى - عليهما السلام - إلا من خلال القرآن العظيم فقط لأنه الكتاب الوحيد المحفوظ والثابت عن طريق التواتر القطعي.



**الجواب:** هو أن السبيل إلى التعرف عليه هو التفكير في جوهر هذا الدين وحقيقته ومقاصده، ونحن نعلم أن الله - عزَّ وجلَّ - لما أرسل هؤلاء الأنبياء إلى أممهم فإنه أرسلهم بعقيدة واحدة هي توحيد الله، وبشرائع يدعو الناس إليها تتضمن أوامر الله - عزَّ وجلَّ - ونواهيه، فمن قبلها وانقاد لله فيها: فهو المؤمن الذي آمن بالله ورسوله المبعوث إليه، ودان بالدين الذي يرضاه الله - عزَّ وجلَّ - ويقبله، فهذا الدين عند الله هو توحيد الله، والانقياد لشرائع الله، والاستسلام لحكم الله، والخضوع لأمره ونهيه، والإخلاص له - عزَّ وجلَّ - في ذلك كله، وإذا حاولنا أن نعبر عن هذه المعاني كلها في لغة العرب بكلمة واحدة تتضمن: الاستسلام (الذي هو الخضوع والانقياد)، والسلامة (التي هي الإخلاص)، فلن نجد سوى كلمة واحدة هي: (الإسلام)<sup>(١)</sup>.

نعم، فإن (الإسلام لله) هو التعريف الوحيد الذي يمكن أن يُعبر به عن الدين المعبرِ والمرضيِّ والمقبولِ عند الله، هو القاسم المشترك بين رسالات جميع الأنبياء<sup>(٢)</sup>، هو وحده الذي نستطيع أن نقول: إنه كان دين نوح، وإبراهيم،

= هذا وقد صرَّح حاخام يهودي - يُدعى (بنيامين إبرامسون) وهو مستشار تاريخي لمحاكم القدس - بأن بني إسرائيل كان يُطلق عليهم في اللغة العبرية القديمة اسم «مُسَلِّمَائِي» أو «سَلْمَائِي»، وانظر في: (www.youtube.com) المواضيع التالية:

- Israeli Jewish Rabbi confirms Islam was religion of Noah & Adam.
- Jewish Rabbi Admits Islam is the Oldest.
- Jewish Rabbi: Islam is religion of future.
- Jewish Rabbi: Admitted (Islam is the truth).

(١) قال ابن منظور: «وأما الإسلام فإن أبا بكر محمد بن بشار قال: يقال: فلان مسلم، وفيه قولان: أحدهما: هو المُستلم لأمر الله، والثاني: هو المخلص لله العبادة، من قولهم: سَلِمَ الشيء لفلانٍ أي: خلصه، وسَلِمَ له الشيء أي: خَلَصَ له» اهـ. من «لسان العرب» (١٢ / ٢٩٣).

(٢) انظر ص (٩٨) وما بعدها.

وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب - عليهم السلام -، ومن تبعهم من المؤمنين:  
﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

من أجل ذلك لم يكن لفظ (الإسلام) مجرد اسمٍ خاصٍ للتعبير عن رسالة محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولكنه - في حقيقته - هو التعبير الوحيد عن جوهر جميع الرسالات السماوية، بما في ذلك رسالة موسى، ورسالة عيسى - عليهما السلام - ولم يكن وصف (المسلمين) مجرد اسمٍ لأتباع رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم -، بل هناك معنى (عام) للإسلام وللمسلمين، دلت عليه النصوص الآتية:

قال - تعالى -: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢].

وقال - سبحانه - حاكياً دعاء إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام -: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾.

[آل عمران: ٢٠]

وقال - تعالى -: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء: ١٢٥].

وقال - جلَّ وعلا -: ﴿ قُلْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ الْهُدَىٰ وَاللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٧١]

وقال - سبحانه -: ﴿ فَالْهُدَىٰ إِلَهُ وَجَدُّ فَلَهُ أَسْلِمُوا ﴾ [الحج: ٣٤].

## وقد تغيب هذه الحقيقة عن فريقين من الناس:

**الفريق الأول - غير المسلمين، والذين لا يعرفون اللغة العربية على وجه الخصوص،** وهؤلاء لا يكاد يتطرق إلى أذهانهم هذا المعنى العظيم الذي يُعبر عنه بكلمة (الإسلام)، نعم هم ينطقونها نفس النطق العربي Islam باعتبارها علمًا على دين خاص، دون أن يفقهوا معناها الحقيقي لكونهم جاهلين بلغة العرب، فينبغي إشاعة هذا اللفظ مقرونًا بمعناه بلغة القوم المخاطبين، بحيث كلما ذُكرت كلمة (الإسلام) ذُكر معناها في لغة العرب، ومعناها الاصطلاحي.

**والفريق الثاني - غير المسلمين ممن يعرفون اللغة العربية:** فإنهم إذا سمعوا قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله - تعالى -: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، تنصرف أذهانهم إلى الإسلام (الخاص) الذي دعا إليه محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ويحسبون أن رسالة موسى التي يُعبر عنها - الآن - بالموسوية، أو رسالة عيسى التي يُعبر عنها - الآن - بالمسيحية، لا تدخلان في عموم الإسلام المذكور في الآيتين السابقتين.

ومما يؤسف عليه أشد الأسف أن هذه الحقيقة قد تغيب عن كثير من المسلمين، فيحملون الآيتين على الإسلام (الخاص)، ولا يفتنون إلى أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين، وأنهم وأتباعهم أجمعين كانوا مسلمين، ومن أجل توضيح هذه الحقيقة، نذكر شواهدا وأدلتها من القرآن الكريم.

فقد خاطب الله - عزَّ وجلَّ - رسله الكرام - عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام - قائلاً: ﴿ يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾

وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿ [المؤمنون: ٥١-٥٢]، أي: هذه ملتكم واحدة، لأن كلمة (أمة) هنا معناها: الدين والملة، وقال - عز وجل -: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿ [الشورى: ١٣].

وقال - سبحانه - في حق الأنبياء - عليهم السلام -: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمًا كَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَالِيَّةَ وَالنَّيْبَ أَرْبَابًا أَيُّكُمْ بِأَلْكَفَرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ [آل عمران: ٧٩، ٨٠].

وذكر - سبحانه - أن أول رسول منه إلى أهل الأرض <sup>(١)</sup> نوحاً - عليه السلام - قال لقومه: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿ [يونس: ٧٢].

وقال - تعالى - عن إبراهيم - عليه السلام -: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ [آل عمران: ٦٧].

وقال - تعالى - عن إبراهيم ويعقوب - عليهما السلام -: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

(١) انظر: «فتح الباري» (٢/ ١٤، ١٥) ط. دار طيبة - الرياض.

مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ ءَابَاؤُنَا وَإِلَهُنَا وَإِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ وَاللَّهُ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿البقرة: ١٣٠-١٣٣﴾.

وقال - عز وجل - في شأن يعقوب - عليه السلام - : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ ءَابَاؤُنَا وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ وَاللَّهُ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وحكى عن يوسف - عليه السلام - دعاءه : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّقِنِى بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١].

وحكى عن لوط - عليه السلام - أنه : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الذاريات: ٣١-٣٦].

وقال - تعالى - عن موسى - عليه السلام - : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤].

وقال - تعالى - حكاية عن سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى - عليه السلام - : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

وقال - تعالى - حكاية عن فرعون : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِى ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠].

وقال - سبحانه - حاكياً عن بلقيس: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوٓأِ إِنِّي الْفَيْءُ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأُنْتُنِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٢٩-٣١].

وقال - سبحانه -: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشِي قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوَيْدِنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٤٢] إلى قوله: ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل: ٤٤].

وقال - سبحانه - في شأن عيسى - عليه السلام -: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقال - تعالى - عن الحواريين أيضاً: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١].

وقال - سبحانه -: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

قال الزمخشري في قوله - تعالى -: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ [المائدة: ٤٤]: «وأريد بإجرائها - يعني هذه الصفة - التعريض باليهود، وأنهم بعداء من

ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث، وأن اليهودية بمعزل منها»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال ابن منظور في (لسان العرب): وقوله - تعالى - : ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤]، فسرّه ثعلب فقال: «كل نبي بُعث بالإسلام غير أن الشرائع تختلف»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وقال - تعالى - عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِمْ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٢، ٥٣].

يعني أن المؤمنين منهم بدينهم حقًا يقولون: إنا كنا من قبل نزول القرآن مسلمين، فلم يقولوا: إنا كنا من قبله يهودًا أو نصارى.

وقال - عز وجل - : ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٨٣) قُلْ ءَأَمِنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٣-٨٥].

(١) «الكشاف» (١/ ٣٤١).

(٢) «لسان العرب» (١٢/ ٢٩٥).

## وهههك عن قظهه عيفعظعغ هههعخم

أن الدين عند الله الإسلام، وأنه لا يقبل من أحدٍ دينٍ سوى الإسلام، وأن من في السموات والأرض قد أسلموا لله - عزَّ وجلَّ - طوعًا وكرهًا، وأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) والأسباط وموسى وعيسى وجميع الأنبياء مسلمون.

وقال - تعالى - مخاطبًا هذه الأمة المحمدية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال - عزَّ وجلَّ - أيضًا: ﴿الْيَوْمَ بَيَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

يتحصل لنا من كل ما سبق أن (الإسلام) ليس - فقط - اسمًا لدين خاص، وإنما هو - أيضًا - اسمٌ للدين المشترك الذي هتف به جميع الأنبياء - عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام -، وأن هذا الإسلام يعني الطاعة، والانقياد، والاستسلام لله - تعالى -، بفعل ما يأمر به، وترك ما ينهى عنه.

ولذلك فإن الإسلام في عهد نوح - عليه السلام - كان يتحقق باتباع ما جاء به نوح، وكانت كلمة النجاة في رسالته إلى قومه: «**لا إله إلا الله**، نوحٌ رسول الله»، وفي عهد موسى - عليه السلام - مثلًا كانت: «**لا إله إلا الله**، موسى رسول الله»، وفي عهد عيسى - عليه السلام - كانت كلمة النجاة: «**لا إله إلا الله**، عيسى رسول الله»، وهكذا كانت كلمة النجاة في الرسالة الخاتمة الخالدة إلى الناس كافة: «**لا إله إلا الله**، محمد رسول الله».



ومن هنا كان مقتضى إيمان قوم موسى - عليه السلام - عبادة الله وحده، لا شريك له، والإيمان بالتوراة، والانقياد لشريعة موسى - عليه السلام -، وليس الدين لموسى، ولكنه دين الله، وموسى رسوله والمبلغ عنه، والذين اتبعوا موسى، وآمنوا بالتوراة التي أنزلت عليه كانوا مسلمين خاضعين لله - سبحانه وتعالى -، فإنهم بهذا الإيمان والانقياد والخضوع والاستسلام لله - عزَّ وجلَّ - إنما يكونون قد (أسلموا) لله فيما أرادهم أن يُسلموا له فيه.

وتوالى رسلُ الله بعد موسى - عليه السلام -، وكان مقتضى الإسلام لله - عزَّ وجلَّ - الإيمان بالرسل جميعًا وبرسالاتهم، وهكذا إلى أن بعث الله عبده ورسوله عيسى المسيح - عليه السلام -، فدعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والانقياد لشرعه، والإيمان بكتابه الإنجيل المنزل من عند الله، وليس الدين للمسيح، وإنما هو دين الله الذي أرسل به جميع رسله وأنبيائه، والذين آمنوا بالمسيح - عليه السلام - وبالإنجيل كانوا مسلمين خاضعين لله - سبحانه -، لأنهم (أسلموا لله) فيما أرادهم أن يُسلموا له فيه.

وهكذا أيضًا كان مقتضى إيمان الأمة المحمدية: التصديق بتوحيد الله - عزَّ وجلَّ - لا شريك له، والإيمان برسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم -، وبالقرآن العظيم، فليس الدين لمحمد ولا لعيسى ولا لموسى إنما هو دين الله، دين واحد، هو الإسلام ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

**وهه مهع يغبفق ظهوقخم.**

**الأول -** خطأ تسمية البعض هذا الدين بـ (الموسوية) أو (المسيحية) أو (المحمدية)، إنما هو (الإسلام) دين واحد أرسل الله به جميع الرسل - عليهم السلام - داعين أممهم إليه، فمن أجابهم كان مسلمًا.

**الثاني-** خطأ إطلاق عبارة (الأديان السماوية) بصيغة الجمع، فلا توجد (أديان) سماوية متعددة، إنما الذي أنزل من السماء (دين واحد) هو الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وإنما الذي يتعدد هو (الرسالات) أو (الشرائع السماوية)، والأحكام العملية التي تختلف من نبي إلى آخر، كتفاصيل وأحكام الطهارة، والصلاة، والصيام، والزواج، والمعاملات، وغيرها.

وهذا ما بيّنه قوله - صلى الله عليه وسلم -: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»<sup>(١)</sup>، قال العلماء: أولاد العلات هم الإخوة لأب من أمهات شتى، وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم: أولاد الأعيان.

ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد، فهم متفقون في أصول التوحيد والطاعة، أما شرائعهم فيقع فيها الاختلاف.

**الثالث-** بطلان الفكرة الضالة الداعية إلى (التقريب بين الأديان السماوية) لأنه ليس هناك (أديان) سماوية، وإنما الدين السماوي واحد هو (الإسلام)، فمحاولة التوفيق بين الإسلام وغيره من الأديان إنما هي محاولة للتوفيق بين الحق والباطل، وبين الكفر والإيمان، وبين الهدى والضلال، وبين دين سماوي أنزله الله وبين دين صنعه البشر أو حَرَّفُوهُ وَغَيَّرُوهُ، وإذا كان الدين عند الله واحداً - كما سبق توضيحه - فكيف يمكن الدعوة إلى التقريب بين الشيء ونفسه؟!<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣٥٢/٦)، ومسلم [٢٣٦٥] [١٤٥].

(٢) وقد صنف الدكتور أحمد بن عبد الرحمن القاضي - حفظه الله - دراسة علمية في إبطال دعوى «التقريب بين الأديان» وطبعها دار ابن الجوزي بالدمام ١٤٢٢هـ في أربعة مجلدات.

**الرابع -** أن العقيدة الوحيدة الصحيحة على وجه الأرض منذ بعث الله محمدًا - صلى الله عليه وسلم - إلى اليوم لا توجد إلا في الإسلام، لأن الله - عزَّ وجلَّ - تكفل بحفظه من التحريف والتغيير: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وهي نفس العقيدة التي دعا إليها كل الرسل الكرام في كل زمان ومكان، لا تختلف من رسولٍ إلى رسول، ولا من زمانٍ إلى زمان. أما ما عداها فهي عقائد فاسدة متعددة، وفسادها ناشئ من كونها نتاج أفكار البشر وأهوائهم، وقد يكون أصل بعض هذه العقائد صحيحًا لكن التغيير والتحريف طرأ عليها كما هو الحال في زماننا هذا بالنسبة لليهودية والنصرانية.

**الخامس -** أن هذه العقائد الأرضية أو المحرفة هي التي تقبل التعدد فتوصف بأنها (أديان) لأن الله - عزَّ وجلَّ - سمى الوثنية دينًا، فقال عزَّ وجلَّ - مخاطبًا مشركي قريش: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾ [الكافرون: ٦]، وقال - سبحانه - حاكياً عن فرعون قوله: ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ [غافر: ٢٦]، وكان دينهم عبادة فرعون، وقال - سبحانه - في حق يوسف - عليه السلام -: ﴿ مَا كَانَ لِأَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ [يوسف: ٧٦].

وقال - عزَّ وجلَّ - عن اليهود: ﴿ وَعَزَّمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٤]، وذمَّ ﴿ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، بل سمى الله - عزَّ وجلَّ - ما أحدثه المنحرفون من اللعب واللَّهو دينًا فقال - سبحانه -: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾ [الأنعام: ٧٠]، وقال - تعالى -: ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾ [الأعراف: ٥١].

فتبين بذلك جواز إطلاق لفظ (الدين) و(الأديان) على ما سوى الإسلام، باعتبار تدينهم بها، كما جاز إطلاق لفظ (الآلهة) على ما يُعبد من دون الله، مع أنه (الإله) الواحد الحق، باعتبار تأليههم لها.

ومما يدل على ذلك أن الله - سبحانه وتعالى - قيّد لفظ (الدين) في مواضع من كتابه الكريم، كقوله - عزّ وجلّ -: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣]، ووصفه بما يخصه فقال: ﴿ دِينَ الْحَقِّ ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقال: ﴿ الدِّينَ الْقِيَمَ ﴾ [التوبة: ٣٦]، وقال: ﴿ دِينَ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥] و﴿ دِينًا قِيَمًا ﴾ [الأنعام: ١٦١].

## الإسلام بالله

### (٢٠) هفتضی المیناق الغدیم

قال - تعالى - : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

ووجه دلالة الآية على فطرية التوحيد، وأن المعرفة به ضرورة أن الله - تعالى - قد أخبرنا بأنه قد أشهد جميع بني آدم على أنفسهم أنه هو ربهم، وأنهم قد أقروا وشهدوا جميعاً على أنفسهم بذلك، كما أخبر - تعالى - أن هذا الإشهاد حُجة على الناس جميعاً، فلا يمكن لأحدٍ يوم القيامة أن يعتذر بالجهل بالتوحيد، وأنه لم تبلغه فيه حجة، لأن الحجة فيه قد قامت على كل أحد بذلك الإشهاد، وأنه لا يمكن لأحد تبعاً لذلك أن يعتذر إذا كان قد وقع في الشرك بمتابعة الآباء عليه، لأن عنده من العلم بالتوحيد وبطلان ما عليه الآباء من الشرك ما يدفع به ذلك، بحيث لا يقع في الشرك إلا بإرادته واختياره، مع العلم ببطلان الشرك، لا لمجرد متابعة الآباء عليه.

ويلزم من ذلك أن يكون العلم بتوحيد الله - تعالى - من المعارف الضرورية التي لا يحتاج أحد أن يتعلمها، بل يكون ذلك الإشهاد على التوحيد وإقراره به كافياً في العلم به وعدم الوقوع في الشرك.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية وجه دلالة الآية على فطرية التوحيد، وكونه من العلوم الضرورية، فقال - رحمه الله -:

«فالشهادة هي الإقرار، كما قال: ﴿كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥]، وكما قيل لما عز: (شهد على نفسه أربعاً) فإشهادهم على أنفسهم جعلهم شاهدين على أنفسهم، أي: مُقَرِّين له بربوبيته، كما قال في تمام الكلام: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فقولهم: بلى شهدنا، هو إقرارهم بربوبيته، وهو شهادتهم على أنفسهم بأنه ربهم، وهم مخلوقون له، فشهدوا على أنفسهم بأنهم عبيده.

كما يقول المملوك: هذا سيدي، فيشهد على نفسه بأنه مملوك لسيده.

وذلك يقتضي أن هذا الإشهاد من لوازم الإنسان، فكل إنسان قد جعله الله مُقَرِّراً بربوبيته، شاهداً على نفسه بأنه مخلوق، والله خالقه.

ولهذا جميع بني آدم مُقَرَّرُونَ بهذا، شاهدون به على أنفسهم، وهذا أمر ضروري لهم لا ينفك عنه مخلوق، وهو مما خُلِقُوا عليه، وُجِبُوا عليه، وجعل علماً ضرورياً لهم، لا يمكن أحداً جحده.

ثم قال بعد ذلك: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾، أي كراهة أن تقولوا، ولثلاثاً تقولوا: إنا كنا عن هذا غافلين: عن الإقرار لله بالربوبية، وعلى نفوسنا بالعبودية.

فإنهم ما كانوا غافلين عن هذا، بل كان هذا من العلوم الضرورية اللازمة لهم، التي لم يخل منها بشر قط، بخلاف كثير من العلوم التي قد تكون ضرورية، ولكن قد يغفل عنها كثير من بني آدم، من علوم العدد والحساب وغير ذلك، فإنها إذا تُصَوِّرَتْ كانت علوماً ضرورية، لكن كثير من الناس غافل عنها.

وأما الاعتراف بالخالق، فإنه علم ضروري لازم للإنسان، لا يغفل عنه أحد بحيث لا يعرفه، بل لا بد أن يكون قد عرفه، وإن قُدِّرَ أنه نسيه، ولهذا يُسمَّى التعريفُ بذلك: تذكيراً، فإنه تذكير بعلوم فطرية ضرورية قد ينساها العبد.

كما قال - تعالى -: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ [الحشر: ١٩].

وفي الحديث الصحيح: يقول الله للكافر: «فاليوم أنساك كما نسيتني»<sup>(١)</sup>.

ثم قال: ﴿ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٣] ذكر لهم حجتين يدفعهما هذا الإشهاد.

إحداهما - ﴿ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فبيّن أن هذا علم فطري ضروري، لا بد لكل بشر من معرفته. وذلك يتضمن حجة الله في إبطال التعطيل، وأن القول بإثبات الصانع علم فطري ضروري، وهو حجة على نفي التعطيل.

والثاني - ﴿ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾، فهذا حجة لدفع الشرك، كما أن الأول حجة لدفع

(١) ثبتت هذه العبارة في حديث في صحيح مسلم عن طريق أبي هريرة - رضي الله عنه - في أول كتاب «الزهد والرقائق»، ووردت في حديث في «سنن الترمذي» من رواية أبي سعيد، وأبي هريرة - رضي الله عنهما - قالوا: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فيقول له: ألم أجعل لك سمعاً، وبصراً، ومالاً، وولداً، وسخرتُ لك الأنعام، والحرث، وتركتك ترأس، وتربع، فكنت تظن أنك مُلَاقِي يَوْمِكِ هَذَا؟»، فيقول: لا، فيقول له: «اليوم أنساك كما نسيتني».

قال أبو عيسى الترمذي: «ومعنى قوله: «اليوم أنساك كما نسيتني» اليوم أتركك في العذاب. وكذا فسر بعض أهل العلم هذه الآية: ﴿ فَأَلْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ ﴾ [الأعراف: ٥١]، قالوا معناها: اليوم نتركهم في العذاب» اهـ.

وصحح الألباني - رحمه الله تعالى - الحديث، راجع: «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٩٢).

التعطيل، فالتعطيل مثل كفر فرعون ونحوه، والشرك مثل شرك المشركين من جميع الأمم.

وقوله: ﴿ أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، وهم آباؤنا المشركون، وتعاقبنا بذنوب غيرنا؟ وذلك لأنه لو قُدِّرَ أنهم لم يكونوا عارفين بأن الله ربهم، ووجدوا آباءهم مشركين وهم ذرية من بعدهم، ومقتضى الطبيعة العادية أن يحتذي الرجل حذو أبيه حتى في الصناعات، والمسكن، والملابس، والمطاعم؛ إذ كان هو الذي ربَّاه، ولهذا كان أبواه يهودانه ويُنصِّرانه، ويُمجِّسانه، ويُشركانه، فإذا كان هذا مقتضى العادة الطبيعية، ولم يكن في فطرتهم وعقولهم ما يناقض ذلك، قالوا: نحن معذورون، وآباؤنا هم الذين أشركوا، ونحن كنا ذرية لهم بعدهم، اتبعناهم بموجب الطبيعة المعتادة، ولم يكن عندنا ما يُبين خطأهم.

فإذا كان في فطرتهم ما شهدوا به من أن الله وحده هو ربهم، كان معهم ما يبين بطلان هذا الشُّرك، وهو التوحيد الذي شهدوا به على أنفسهم، فإذا احتجوا بالعادة الطبيعية من اتباع الآباء، كانت الحجة عليهم الفطرة الطبيعية العقلية السابقة لهذه العادة الأبوية.

كما قال - صلى الله عليه وسلم -: «كل مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، ويُنصِّرانه، ويُمجِّسانه»، فكانت الفطرة الموجبة للإسلام سابقة للتربية التي يحتاجون بها.



وهذا يقتضي أن نفس العقل الذي به يعرفون التوحيد، حجة في بطلان الشرك، لا يحتاج ذلك إلى رسول، فإنه جعل ما تقدم حجة عليهم بدون هذا (١).

وهذا لا يناقض قوله - تعالى - : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]، فإن الرسول يدعو إلى التوحيد، لكن إن لم يكن في الفطرة دليل عقلي يُعلم به إثبات الصانع، لم يكن في مجرد الرسالة حجة عليهم.

فهذه الشهادة على أنفسهم، التي تتضمن إقرارهم بأن الله ربهم، ومعرفتهم بذلك، وأن هذه المعرفة والشهادة أمر لازم لكل بني آدم، به تقوم حجة الله - تعالى - في تصديق رسوله.

فلا يمكن أحدًا أن يقول يقوم القيامة: إني كنتُ عن هذا غافلًا، ولا أن الذنب كان لأبي المشرك دوني، لأنه عارف بأن الله ربه لا شريك له، فلم يكن معذورًا في التعطيل، ولا الإشراف، بل قام به ما يستحق به العذاب.

ثم إن الله بكمال رحمته وإحسانه لا يُعذّب أحدًا إلا بعد إرسال رسول إليهم، وإن كانوا فاعلين لما يستحقون به الذم والعقاب، كما كان مشركو العرب وغيرهم، ممن بُعث إليهم رسول، فاعلين للسيئات والقبائح التي هي سبب الذم والعقاب، والرب - تعالى - مع هذا لم يكن معذبًا لهم حتى يبعث إليهم رسولًا.

والناس لهم في هذا المقام (٢) ثلاثة أقوال، قال بكل قول طائفة من المنتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمة الأربعة، أصحاب أحمد وغيره.

(١) الإشارة إلى: «رسول».

(٢) انظر: تفصيل مبحث: «فطرية التحسين والتقبيح» في «المعرفة في الإسلام» ص (٢٧١-٣٠٤).

١ - **طائفة تقول:** إن الأفعال لا تتصف بصفات تكون بها حسنة ولا سيئة البتة، وكون الفعل حسناً وسيئاً إنما معناه: أنه منهي عنه أو غير منهي عنه، وهذه صفة إضافية لا تثبت إلا بالشرع.

وهذا قول الأشعري، ومن أتبعه من أصحاب مالك، والشافعي، وأحمد، كالقاضي أبي يعلى وأتباعه، وهؤلاء يجوزون أن يعذب الله من لم يذنب قط، فيجوزون تعذيب الأطفال والمجانين.

٢ - **وطائفة تقول:** بل الأفعال متصفة بصفات حسنة وسيئة، وإن ذلك قد يُعلم بالعقل، ويستحق العقاب بالعقل، وإن لم يرد سماع، كما يقول ذلك: المعتزلة، ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة وغيرهم، كأبي الخطاب وغيره.

٣ - **وطائفة تقول:** بل هي متصفة بصفات حسنة وسيئة تقتضي الحمد والذم، ولكن لا يُعاقب أحداً إلا بعد بلوغ الرسالة، كما دل عليه القرآن في قوله - تعالى -: ﴿كَلَّمَآ أَلْفَى فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهُآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ [الملك: ٨، ٩].

وقال - تعالى - لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٥].

وهذا أصح الأقوال، وعليه يدل الكتاب والسنة، فإن الله أخبر عن أعمال الكفار بما يقتضي أنها سيئة، قبيحة، مذمومة، قبل مجيء الرسول إليهم، وأخبر أنه لا يعذبهم إلا بعد إرسال رسول إليهم.

وقوله - تعالى - : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥]. حجة على الطائفتين، وإن كان نفاة التحسين والتقيح العقلي يحتجون بهذه الآية على منازعهم، فهي حجة عليهم أيضاً، فإنه يجوزون على الله أن يُعذب من لا ذنب

له، ومن لم يأتِه رسول، ويجوزون تعذيب الأطفال والمجانين الذين لم يأتهم رسول، بل يقولون: إن عذابهم واقع.

وهذه الآية حجة عليهم، كما أنها حجة على من جعلهم معذَّبين بمجرد العقول من غير إرسال رسول.

والقرآن دَلٌّ على ثبوت حُسْنٍ وَقُبْحٍ قد يُعلم بالعقول، ويعلم أن هذا الفعل محمود ومذموم، ودَلٌّ على أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد إرسال رسول، والله - سبحانه - أعلم<sup>(١)</sup> اهـ.

وبيّن شيخ الإسلام - في موضع آخر - أن اسم الشرك ثابت لأصحابه، ولو لم تُقَمَّ عليهم الحجة الرسالية، بيد أن العذاب عليه لا يكون إلا بعد قيامها، فقال: - رحمه الله -:

«وقد فرق الله بين ما قبل الرسالة وما بعدها في أسماء وأحكام، وجمع بينهما في أسماء وأحكام، وذلك حجة على الطائفتين: على من قال: إن الأفعال ليس فيها حَسَنٌ وقبيح، ومن قال: إنهم يستحقون العذاب على القولين.

**أما الأول -** فإنه سماهم ظالمين وطاغين ومفسدين؛ لقوله: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٢٤]، وقوله: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠، ١١]، وقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٨/ ٤٨٢ - ٤٩٤).

فأخبر أنه ظالم، وطاغ، ومفسد هو وقومه، وهذه أسماء ذم الأفعال؛ والذم إنما يكون في الأفعال السيئة القبيحة، فدل ذلك على أن الأفعال تكون قبيحة مذمومة قبل مجيء الرسول إليهم، لا يستحقون العذاب إلا بعد إتيان الرسول إليهم؛ لقوله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥].

وكذلك أخبر عن هود أنه قال لقومه: ﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ [هود: ٥٠]. جعلهم مفتريين قبل أن يحكم بحكم يخالفونه؛ لكونهم جعلوا مع الله إلهاً آخر.

فاسم المشرك ثبت قبل الرسالة؛ فإنه يشرك بربه، ويعدّل به، ويجعل معه آلهة أخرى، ويجعل له أنداداً قبل الرسول...، وكذلك اسم الجهل والجاهلية، يُقال: جاهلية وجاهل قبل مجيء الرسول، وأما التعذيب فلا.

والتولي عن الطاعة، كقوله: ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ۗ ﴾ [٣١] وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿ [القيامة: ٣١-٣٢]، فهذا لا يكون إلا بعد الرسول، مثل قوله عن فرعون: ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴾ [النازعات: ٢١]. كان هذا بعد مجيء الرسول إليه، كما قال - تعالى - : ﴿ فَأَرَاهُ آيَةَ الْكُبْرَى ۗ ﴾ [٢٠] فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿ [النازعات: ٢٠، ٢١]، وقال: ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ [المزمل: ١٦] <sup>(١)</sup>.

إن أصل الإقرار بالصانع، والاعتراف به، مع الالتزام بعبادته وحده مستقر في قرار قلوب الخلائق، بل هو من لوازم خلقهم، ومما جُبلوا عليه، حتى أصبح علمًا ضروريًا لا يمكن لبشر أن ينفك عنه، ما دام مستقيمًا على مقتضى فطرته، وهذا هو الإقرار، والإشهاد المذكور في آية الميثاق.

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٠/٣٧-٣٨).

والذرية كلها كانت محلًّا للأخذ والإشهاد، وأقررنا جميعًا لله بالربوبية والألوهية، وعلى أنفسنا بالعبودية، ومن ثمَّ جُعِلَ هذا الإشهادُ حجةً لله على خلقه يوم القيامة.

وعلة أخذ الميثاق تتمثل في دحض حجتي الشرك عند المشركين، المتوارثين فيما بينهم قرنًا بعد قرن، وجيلًا بعد جيل:

**الأولى - ادعاء الغفلة عن معرفة الخالق.**

فبيِّن - سبحانه - أن معرفته فطرية ضرورية، تلزم النفس لزومًا، لا تستطيع الانفكاك عنه، وهذه حجة في إبطال التعطيل ككفر فرعون ونحوه.

**الثانية - اقتراف الشرك عن طريق التقليد والاتباع لدين الآباء، مع الجهل ببطلانه، وعدم العلم باعوجاجه، فيقع الاتباع على جهل بمعرفة الحق، وتلك هي حجة المشركين الثانية والغالبة على جميع الأمم.**

فلو لم يكن في فطر الخلائق وعقولهم ما يناقض الشرك ويبطله لاحتج المشركون باتباع الآباء، وأدَّعوا العذر.

وذلك لأن الطفل يشب على اتباع أبويه في كل ما يأتي ويذر. فلما كانت حجية الميثاق والفطرة والعقل سابقة على كافة حجج المشركين المفتراة أتت على جميعها بالبطلان.

فالشهادة لله وحده بالربوبية، وعلى أنفسنا بالعبودية كافية في بطلان الشرك، وهو التوحيد الذي شهدت به الذرية.

وهذا يقتضي: أن العقل الفطري الذي يُعرف به التوحيد حجة في بطلان الشرك، حتى ولو لم يأتِ رسول بحرمته، فكيف بالأمر بعد بعثة الرسل، وإنزال الكتب؟!!!

واقتراف الشرك قبل قيام الحجة الرسالية لا ينفي عنه وصف الشرك، إلا أن الله لكمال رحمته، ووجه للعذر قضى أن لا يُعذَّب قومًا، أو أحدًا حتى يبعث رسولًا، وإن كان المشركون فاعلين لما يستحقون به الذم والعقاب، وذلك لمخالفتهم حجة الميثاق، والفطرة، والعقل.

كحال مشركي العرب، وغيرهم قبل إرسال رسالهم إليهم، كانوا فاعلين للسيئات والقبائح، التي هي سبب للذم والعقاب، ومع هذا فلم يعذبهم ربهم - سبحانه وتعالى وجلّ في علاه - حتى أرسل إليهم رسله، تلك الحجة الأخيرة الموجبة للعذاب في الدارين لفاعلي الشرك والذنوب التي يُعلم قُبْحها بالفطرة.

ومما جاء في إشهاد الناس على أنفسهم بالتوحيد مما يقتضي أن يكون من العلوم الفطرية الضرورية، حديثُ أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «يقول الله لأهون أهل النار عذابًا: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال: نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم، ألا تُشرك بي، فأبيتَ إلاّ الشرك»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث صريح في أن الله قد أخذ الميثاق على الناس بالتوحيد وهم في صلب أبيهم آدم، وأن ذلك يقتضي أن الحجة قد قامت عليهم بالتوحيد،

---

(١) أخرجه البخاري رقم [٣٣٣٤]، [٦٥٥٧]، ومسلم رقم [٢٨٠٥].  
ومراد الحديث: «أردتُ منك حين أخذت الميثاق، فأبيتَ إذ أخرجتك إلى الدنيا إلاّ الشرك». انظر: «فتح الباري» (١١/٤١١).

وأنه لا حجة لمن وقع في الشرك مع ذلك الميثاق، وهذا يقتضي أن معرفة الله وتوحيده من العلوم الضرورية التي لا بد من تحققها عند كل أحد، وهذا هو مقتضى القول بفطرية التوحيد.

وليس في هذا الحديث تفصيل كيف أخذ الله الميثاق على بني آدم، وإنما فيه الخبر أنه قد أخذ عليهم ذلك الميثاق وهم في صلب أبيهم آدم.

وقد ورد في أحاديث أخرى - اختلف العلماء في ثبوتها - تفصيل كيفية أخذ الله الميثاق على بني آدم، وأن الله أشهدهم على أنفسهم حينذاك.

فقد ورد في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن الميثاق أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذرّ، ثم كلمهم قُبلاً، قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا...﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢]»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الحديث النص على أن الله أخرج ذرية آدم من ظهره، وأنه كلمهم وأشهدهم على أنفسهم، وأنهم أقرؤا على أنفسهم بالتوحيد، وأن ذلك هو تفسير آية الإشهاد، فيكون هذا الحديث قد دلّ على ما لم يرد في حديث أنس السابق.

لكن العلماء اختلفوا في هذا الحديث، فرجح بعضهم رفعه، ورجح آخرون وقفه على ابن عباس.

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٤٤)، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي، وأحمد (١/ ٢٧٢). وانظر: «السلسلة الصحيحة» للألباني (٤/ ١٥٨-١٦٣)، ورجح ابن كثير وقفه على ابن عباس، وقال في الروايات الموقوفة: «فهذا أكثر وأثبت»، وانظر: «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٢٧٢)، و«البداية والنهاية» (١/ ٩٠).

كما ورد في حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - في تفسير آية الميثاق: أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: «أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس، فقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا...﴾»، قالت الملائكة: ﴿شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

لكن هذا الحديث قد ورد مرفوعاً، وموقوفاً أيضاً، وقد رجح الإمام ابن جرير وقفه على عبد الله بن عمرو<sup>(٢)</sup>.

ولم يُرو في غير هذين الحديثين من طريق صحيح تفصيل كيفية الإشهاد، ولا أن الله خاطب الذرية حين أخذهم من ظهر أبيهم آدم، وإنما ورد ما يدل على أن الله استخرج ذرية آدم من ظهره، وميز بين أهل السعادة وأهل الشقاوة. وليس هنا مجال التفصيل في ذلك، ولا ذكر الأحاديث التي ورد فيها الإخبار بأخذ الذرية من ظهر أبيهم دون الإشهاد عليهم، لأن المقصود هنا ما يتعلق بما ورد من النصوص في الإشهاد على التوحيد<sup>(٣)</sup>.

وقد استوفى الإمام ابن كثير الأحاديث في ذلك، ثم قال: «فهذه الأحاديث دالة على أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه، وميز بين أهل الجنة وأهل النار، وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، وفي حديث عبد الله بن عمرو، وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان، ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد»<sup>(٤)</sup>.

(١) «جامع البيان» (١١٣/٦).

(٢) «نفس المرجع» (١١٨/٦).

(٣) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٢/٢٦٢-٢٦٥)، و«السلسلة الصحيحة» (٤/١٥٨-١٦٣).

(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٢/٢٦٥).



وإلى نحو هذا القول - وهو: أن المقصود بالإشهاد مجرد الفطرة على التوحيد - ذهب الإمام ابن القيم، حيث نفى حصول الإشهاد الأول، وذكر أن المقصود بإشهاد الناس على أنفسهم هو ما جعله الله من الآيات في الآفاق والأنفس على أن الله هو الخالق، وليس بمعنى حصول إشهاد معين قبل الولادة، وعلل ذلك بأن معنى (وأشهدهم على أنفسهم)، «أي: جعلهم شاهدين على أنفسهم، فلا بد أن يكون الشاهد ذاكراً لما شهد به، وهو إنما يذكر شهادته بعد خروجه إلى هذه الدار لا يذكر شهادته قبلها»<sup>(١)</sup>.

وحاصل هذا القول نفي الإشهاد السابق، وإقرار الله للناس على أنفسهم بالتوحيد قبل أن يولدوا. لكن هذا مُعارض لحديث أنس السابق؛ إذ هو صريح أن الله قد أخذ الميثاق على بني آدم بالتوحيد وهم في صلب آدم، بل إن آية الإشهاد صريحة في الدلالة على حصول الإشهاد قبل الولادة، سواء قيل إن ذلك الإشهاد كان حين أخذهم من ظهر آدم، أو كان الإشهاد عليهم حين أخذهم من ظهور آبائهم.

وعلى هذا لا يمكن أن يكون الإشهاد هو مجرد الخلق على الفطرة، وإن كان الإشهاد يقتضي أن يكون التوحيد هو الأصل الذي يولد عليه كل مولود، إذ لا بد مع إثبات فطرية التوحيد من إثبات ما دلت عليه النصوص من وقوع الإشهاد وأخذ الميثاق بذلك على الناس جميعاً، وإن لم يلزم إثبات تفاصيل ذلك لورودها في أحاديث لا تقوم بها الحجة كما تقدم، ولا تنافي بين إثبات أصل الإشهاد وبين التوقف في تفاصيله أو نفيها.

---

(١) «الروح» ص (٢٢٦).

**والمقصود هنا** أنه إذا ثبت حصول الإشهاد والإقرار على التوحيد، وأخذ الميثاق على الناس بذلك، فإن مقتضى ذلك أن يكون الإشهاد حجة على الناس بالتوحيد، وهذا يستلزم أن توحيد الله - تعالى - من المعارف الضرورية التي لا يمكن لأحد أن يجهلها، وهذا هو المراد في هذه المسألة، وأما تفاصيل كيفية الإشهاد والجزم بكونه إشهاداً عاماً في وقتٍ واحد على جميع الذرية، أو أنه إشهاد فردي يكون حين أخذ الذرية من ظهور الآباء فلا ينافي هذا الأصل.

بل إن القول بأن الإشهاد هو مجرد خلق الناس على الفطرة، وأنه لم يحصل أن الله قد أقر الناس قبل ولادتهم على أنفسهم بالتوحيد لا ينافي هذا الأصل أيضاً؛ إذ هو يقتضي أن يكون التوحيد من العلوم الفطرية الضرورية.

وإذا ثبت ذلك عُلم أن التوحيد من العلوم الضرورية، وأن الإنسان لا يحتاج في العلم به إلى النظر والاستدلال، وبهذا تجتمع نصوص الفطرة ونصوص الإشهاد في الدلالة على هذا الأصل<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: «المعرفة في الإسلام» للدكتور: عبد الله بن محمد القرني، ص (٢٢٧-٢٤٢).

# الإسلامُ اللهُ

## (٢١) بِمَعْنَى فِطْرَةِ اللهِ

الإقرار بوجود الله - عزَّ وجلَّ -، وإثبات الكمال المطلق له - تبارك وتعالى -، هو إقرار يقتضي ويستلزم تحقيق «لا إله إلا الله»، وإفراذه بالعبودية وإخلاص الدين له. وهذا كله هو ما تقتضيه الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

إن معرفة الرب - سبحانه - وأنه لا إله إلا هو، معرفة فطرية ضرورية<sup>(١)</sup>، بديهية أولية، لأنها مركززة في الفِطْرَ بغير استدلال ولا نظر.

فإذا تُرِكَتِ الفِطْرَ بلا فسادٍ يطرأ عليها فإن القلب يعرف ربه - ضرورةً - ويحبه، ويعبده وحده دون سواه، ولو قُدِّرَ أن إنساناً نشأ وحده، وتربى وحده دون مؤثرٍ خارجي من البيئة المحيطة حتى يبلغ فإنه ينشأ مؤمناً موحدًا عارفًا بالله - تعالى -.

ومثَّل الفطرة مع الحق كبصر العين مع الشمس، فكل ذي عينٍ مُبصرة لو تُرِكَتْ عينه بغير حجاب عليها فإنه يرى الشمس، والعقائد الباطلة كاليهودية والنصرانية والمجوسية مثل الحجاب على العين، فهي تحول بين البصر ورؤية الشمس، كما أن كلَّ ذِي حِسِّ سليم يحب الحُلُو، إلا أن يعرض في طبيعته فساد، يجعل الحُلُو في فمه مُرًا:

وهه يَنْ قع نه هَقِي هَقِيك يَفِي هَقَع غه عهه عِظْ عهق ﴿﴾

(١) العلم الضروري: هو ما لم يقع عن نظر واستدلال، كالعلم الواقع بإحدى الحواس الخمس الظاهرة وهي: السمع والبصر واللمس والشم والذوق، أو بالتواتر. ومن العلم ما يحصل لا عن نظر ولا استدلال، وليس مُدرِّكًا بالحواس الخمس، بل ببديهة العقل، كالعلم بأن الكل أعظم من الجزء، وأن الوجود والعدم لا يجتمعان في محل واحد.

## للفطرة حقيقتان

فيما يتعلق بمعرفة الله - تعالى - وتوحيده، فإن للفطرة حقيقتين: حقيقة نفسية، وأخرى شرعية.

### الحقيقة النفسية للفطرة:

هي مقتضى العلم الضروري الذي يجده الإنسان من نفسه بحيث لا يحتاج في ذلك إلى النظر والاستدلال، فكل إنسان مفطور على أن يريد الله، ويحبه لذاته، ويتقرب إليه<sup>(١)</sup>.

### الحقيقة الشرعية للفطرة:

هي مقتضى دلالة النصوص على فطرية معرفة الله وتوحيده.

- نقول في الحقيقة النفسية: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ﴾.

- ونقول في الحقيقة الشرعية: «هذا شرع الله».

وخلق الله وشرعه لا يتناقضان بل يتطابقان لأنهما ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾.

وقد جمع القرآن الكريم هاتين الحقيقتين في قوله - تعالى -: ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ

لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾، وهذه هي الحقيقة الشرعية، ثم أضاف إليها الحقيقة النفسية، فقال

- عزَّ وجلَّ -: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾، ثم أكد هذه الحقيقة بقوله

- تبارك وتعالى -: ﴿ لَا بُدَّيْلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ﴾.

---

(١) جاء في معجم لاروس للقرن العشرين: (إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية، وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هي إحدى النزعات العالمية الخالدة) اهـ. نقلًا من «الدين» للدكتور محمد عبد الله دراز ص (٨٣).

## للذوات على الفطرة السريّة

### الدليل الأول -

قال الله - تعالى -: ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِإِخْلَاقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينِ الْقَيِّمِ وَلَٰكِن مَّا أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

ووجه دلالة الآية على فطرية التوحيد هو أن الأمر بالاستقامة على الدين الحنيف اقترن ببيان أن ذلك هو مقتضى الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأن خلق الله للناس على تلك الفطرة سنة مطردة لا تبديل لها.

وفي بيان التلازم بين الأمر بتحقيق التوحيد وأن ذلك هو مقتضى الفطرة، يقول الإمام ابن جرير في تفسير الآية: «يقول - تعالى - ذكره: فسدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته، وهي الدين حنيفاً، يقول: مستقيماً لدينه وطاعته: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠]، يقول: صنعة الله التي خلق الناس عليها» اهـ<sup>(١)</sup>.

و(فطرة) منصوبة بفعل مقدر، أي اتبع فطرة الله، وقيل: منصوبة على المصدرية التي دل عليها الفعل الأول (أقم)، ومعناها: فطر الله الناس على ذلك فطرة، وعلى كل تقدير تكون إقامة الوجه حنيفاً وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأن ذلك مأمور باتباعه إما صراحة، أو تلميحاً، لأنه جاء في صيغة مدح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في بيان وجه نصب كلمة (فطرة) في الآية: «هذا نصب على المصدر دل عليه الفعل الأول عند سيبويه

(١) «جامع البيان» (١١/٤٠).

وأصحابه، فدل على أن إقامة الوجه للدين حنيفاً هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، كما في نظائره، مثل قوله: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٤]، وقوله: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْدَلَ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الفتح: ٢٣]، فهذا عندهم مصدر منصوب بفعل مضمر لازم إضماره، دل عليه الفعل المتقدم، كأنه قال: كتب الله ذلك عليكم، وسن الله ذلك، وكذلك هنا: فطر الله الناس على ذلك على إقامة الدين لله حنيفاً، وكذلك فسره السلف»<sup>(١)</sup>.

وبذا يظهر أن الفطرة في الآية تقتضي التوحيد، ولو أن الله قد خلق الناس خلقة قد تقتضي التوحيد، وقد لا تقتضيه لم يأمر بلزوم مقتضاها بإطلاق. فدل على أن الفطرة لا بد أن تقتضي التوحيد، وأن ذلك سنة لا يمكن أن تتبدل، وهذا مطابق للعموم في حديث الفطرة في قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «كل مولود يولد على الفطرة».

ولذا أخبر - تعالى - أن الاستقامة على الدين الحنيف الذي هو مقتضى الفطرة هو الدين القيم. فلا يكون تحقيق التوحيد والدين القيم إلا بتحقيق مقتضى الفطرة.

ومما يبين أن الفطرة المأمور بالاستقامة عليها تقتضي الإسلام إضافتها إلى الله - تعالى -، فلا بد أن تكون ممدوحة، ولا تكون كذلك إلا إذا كانت مقتضية للإسلام.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فطرة الله أضافها إليه إضافة مدح لا إضافة ذم، فعلم أنها محمودة لا مذمومة»<sup>(٢)</sup>.

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٨ / ٣٧٢).

(٢) «نفس المصدر».

**ما المراد من قوله - تعالى - : ﴿لَا يُدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾؟**

قال الطبري - رحمه الله - : «وقوله: ﴿لَا يُدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، يقول: لا تغيير لدين الله، أي لا يصلح ذلك، ولا ينبغي أن يفعل».

وقد فسّر أئمة التفسير كمجاهد، وعكرمة، وقتادة، وسعيد بن جبير، والضحاك، والنخعي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم قوله - تعالى - : ﴿لَا يُدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾: لدين الله.

قال الطبري - رحمه الله - : «وروي أيضًا عن ابن عباس أنه سُئل عن إخصاء البهائم فكرهه، وقال: لا تبديل لخلق الله. وعن حميد الأعرج قال: قال عكرمة: الإخصاء. وعن حفص بن غياث، عن ليث، عن مجاهد قال: الإخصاء. قلت: مجاهد وعكرمة: رُوي عنهما القولان، إذ لا منافاة بينهما، كما قال - تعالى - : ﴿وَأَمْرُهُمْ فُتِبَتِ كُنَّ إِذْ أَمْرُهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩]، فتغيير ما خلق الله عليه عباده من الدين تغييرٌ لخلقه، والإخصاء وقطع الأذن أيضًا تغييرٌ لخلقه»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «ولهذا شبه النبي - صلى الله عليه وسلم - أحدهما بالآخر في قوله: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجِجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحَسِّنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءِ؟». فأولئك يُغَيِّرُونَ الدِّينَ، وهؤلاء يُغَيِّرُونَ الصُّورَةَ بِالْجَدْعِ وَالْإِخْصَاءِ، هَذَا تَغْيِيرٌ لِمَا خُلِقَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، وَهَذَا تَغْيِيرٌ مَا خُلِقَ عَلَيْهِ بَدَنُهُ»<sup>(٢)</sup> اهـ.

(١) انظر: «جامع البيان» (٤٠ / ١١).

(٢) انظر: «درء التعارض» (٨ / ٣٧٤-٣٧٧).

وقال الإمام المحقق ابن القيم - رحمه الله -: «فجمع - عليه الصلاة والسلام - بين الأمرين: تغيير الفطرة بالتهويد والتنصير، وتغيير الخلقة بالجدع، وهما الأمران اللذان أخبر إبليس أنه لا بد أن يغيرهما، فغير فطرة الله بالكفر، وهو تغيير الخلقة التي خُلِقوا عليها، وغير الصورة بالجدع والبتك، فغير الفطرة إلى الشرك، والخلقة إلى البتك والقطع، فهذا تغيير خلقة الروح، وهذا تغيير خلقة الصورة»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسير قوله - تعالى - : ﴿لَا بُدَّ لِي لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ : «للعلماء في تأويلها قولان:

الأول - أنها خبر بمعنى الطلب، أي لا تبدلوا خلق الله، فتغيروا الناس عن فطرتهم، ثم قال الحافظ: «وهو معنى صحيح» .

الثاني - أنها خبر على بابه، وهو أنه - تعالى - ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بينهم في ذلك، وهذا هو ظاهر النص<sup>(٢)</sup> .

وعقد الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه<sup>(٣)</sup> : باب: لا تبديل لخلق الله: لدين الله، (خُلِقَ الأولين): دين الأولين، والفطرة الإسلام، ثم روى حديث أبي هريرة - بعد الترجمة - «ما من مولود إلا يولد على الفطرة ...» إلخ.

وصنيع البخاري - هذا - يدل على أن الفطرة عنده الإسلام، في الآية والحديث جميعاً.

(١) «إغاثة اللهفان» (١/١٠٧).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٦/٤٣٠).

(٣) «صحيح البخاري» (٨/٥١٢) [٤٧٧٥].



## الفروع: بَدَلِ الْفِطْرَةِ وَتَغْيِيرِهَا

ظاهر قوله - تعالى - : ﴿لَا بُدَّيْلَ لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ الخبرُ عن أن خلق الله لا يُبدلُه أحد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «وظاهر اللفظ أنه خبر فلا يُجعل نهياً بغير حجة، وهذا أصح.

وحيثُذ فيقال: المراد ما خلقهم عليه من الفطرة لا تبدل، فلا يُخلقون على غير الفطرة، لا يقع هذا قط.

والمعنى أن الخلق لا يتبدل فيُخلقون على غير الفطرة، ولم يرد بذلك أن الفطرة لا تتغير بعد الخلق، بل نفس الحديث يبيِّن أنها تتغير، ولهذا شبهها بالبهيمة التي تُولد جمعاء ثم تُجدع، ولا تُولد بهيمة قط مخصية ولا مجدوعة.

وقد قال - تعالى - عن الشيطان: ﴿وَلَا مَرِيئَ لَهُمْ فَلْيَغِيْرُكَ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩]، فالله أقدر الخلق على أن يغيروا ما خلقهم عليه بقدرته ومشيتته.

وأما تبديل الخلق، بأن يُخلقوا على غير تلك الفطرة، فهذا لا يقدر عليه إلا الله، والله لا يفعله. كما قال: ﴿لَا بُدَّيْلَ لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، ولم يقل: لا تغيير، فإن تبديل الشيء يكون بذهابه وحصول بدله، فلا يكون خلقٌ بدل هذا الخلق، ولكن إذا غيّر بعد وجوده، لم يكن الخلق الموجود عند الولادة قد حصل بدله.

وأما قول القائل: لا تبديل للخلقة التي جُبل عليها ولد آدم كلهم من كفر وإيمان، فإن عنى بها أن ما سبق به القدر من الكفر والإيمان لا يقع خلافه، فهذا حق. ولكن ذلك لا يقتضي أن تبديل الكفر بالإيمان وبالعكس ممتنع، ولا أنه غير مقدور، بل العبد قادر على ما أمره الله به من الإيمان، وعلى ترك ما نهاه عنه

من الكفر، وعلى أن يبدل حسناته بالسيئات بالتوبة، كما قال - تعالى - : ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النمل: ١٠، ١١]، و﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

وهذا التبديل كله هو بقضاء الله وقدره، وهذا بخلاف ما فُطِّرَ وا عليه حين الولادة، فإن ذلك خلق الله الذي لا يَقْدِرُ على تبديله غيره، وهو - سبحانه - لا يُبَدِّلُه قط، بخلاف تبديل الكفر بالإيمان وبالعكس، فإنه يبدله دائماً، والعبد قادر على تبديله بإقدار الله له على ذلك.

ومما يبين ذلك أنه قال - تعالى - : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، فهذه فطرة محمودة، أمر الله بها نبيّه، فكيف يكون فيها كفر وإيمان مع أمر الله - تعالى - بها؟ وهل يأمر الله - تعالى - قط بالكفر؟ اهـ<sup>(١)</sup>.

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٨/ ٤٢٤-٤٢٦).

## الفطرة مقتضية للتوحيد وليس مجرد القابلية للتوحيد

ذهب بعض العلماء<sup>(١)</sup> إلى أن الفطرة لا تقتضي التوحيد، وإنما هي مجرد القابلية للتوحيد، بمعنى أن الإنسان قد خلق خلقاً تختلف عن خلقه البهائم بحيث يمكن أن يوحد أو يشرك باختياره، دون أن يكون في خلقه ما يقتضي ترجيح التوحيد على الشرك، بل تكون النفس قابلة لأي منهما على السواء.

وحاصل الفرق بين هذا القول والقول بأن الفطرة مقتضية<sup>(٢)</sup> للتوحيد، أن الفطرة إذا كانت مجرد القابلية للتوحيد، كان تحقق التوحيد للإنسان من الممكنات التي قد تحصل وقد لا تحصل، بخلاف ما إذا كانت الفطرة مقتضية للتوحيد، فإن تحققه لا يكون ممكناً بل واجباً مع وجود شروطه وانتفاء موانعه<sup>(٣)</sup>.

(١) وهم فريق من العلماء فسّر «الفطرة» بالمعنى اللغوي الذي هو الخلق، فسّروا قوله - تعالى -: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ لَا بُدَّ لِي لِخَلْقِ اللَّهِ﴾، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «كل مولود يولد على الفطرة» الحديث، بأنها تعني الخلق، وهذا يقتضي أن الفطرة محايدة بين التوحيد والشرك، وأنها مجرد القابلية لكل منهما على حد سواء، وعلى هذا التقدير لا يكون في القلب سلامة ولا عطب، ولا استقامة ولا زيع، إذ نسبته إلى كل منهما نسبة واحدة، وليس هو بأحدهما أولى منه بالآخر، كما أن الرّق قبل الكتابة فيه لا يثبت له حكم مدح كالمصحف، ولا حكم ذم كقرآن مسيلمة، والتراب قبل أن يُبنى مسجداً أو كنيسة، لا يثبت له حكم واحدٍ منهما. ولكن الأدلة تؤيد أن الفطرة هنا يراد بها المعنى الشرعي الذي هو أخص من المعنى اللغوي، وهو كونها تعني الإسلام، وعليه فإن الفطرة مرجحة للتوحيد، ومنحازة إليه.

(٢) الاقتضاء هنا: الطلب والاستلزام.

(٣) «المعرفة في الإسلام» ص (٢٤٢).

## الدليل الثاني -

أن الفطرة أثر من آثار العهد والميثاق، الذي أخذه الله - سبحانه - بنفسه المقدسة من بني آدم، وهم في عالم الذر قبل الخلق. قال الله - تعالى - : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهِيَكَانَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٤]، وبذلك خلقت الذرية كلها مقرة بالإسلام، ومستقيمة على ملته، وظلت الخليقة على ذلك وقتاً مقدراً من الزمان، حتى دبَّ فيهم الاختلاف، وابتدع الشرك، فنقض العهد، وفسدت الفطر، وضلت العقول عن المراد من علة الخلق وحكمة التكوين...

فعندئذ رحمة من الله بعباده أرسل رسله مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب ليحكموا بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون، وليذكروا الخلق بمقتضى فطرهم من قبل أن يأتيهم عذاب أليم.

قال الله - تعالى - : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣]. وقد رجَّح بعض المحققين أن الميثاق المذكور في آية الأعراف هو خلقهم مفطورين على التوحيد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : «أما قوله - صلى الله عليه وسلم - : «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»: فالصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. وهي: السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة.

فإن حقيقة (الإسلام) أن يستسلم لله؛ لا لغيره، وهو معنى **لا إله إلا الله**، وقد ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل ذلك فقال: «كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟».

بين أن سلامة القلب من النقص كسلامة البدن، وأن العيب حادث طارئ. وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يروي عن الله: «إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً»<sup>(١)</sup>.

### الدليل الثالث -

دلت آيات القرآن الكريم على أن جميع الرسل افتتحوا دعوتهم بقولهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٥٠]، وأول صيغة أمر في (المصحف الشريف) هي قوله - تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وذلك لأن معرفة الله فطرية ضرورية أولية، وهي أشد رسوخاً في النفوس من مبدأ العلم الرياضي كقولنا: «إن الواحد نصف الاثنين»، ومبدأ العلم الطبيعي، كقولنا: «إن الجسم لا يكون في مكانين».

فمن ثم دعا الأنبياء أول ما دعوا قومهم إلى عبادة الله وحده، لأنهم - بحكم الفطرة - يعرفون الله، فإذا دعوا إلى الإقرار بوجود الله - تعالى - أولاً؛ كان ذلك تحصيل حاصل، وإذا دعوا إلى عبادته وحده تضمن ذلك الأمر أنهم يعرفونه.

وأكثر الناس غافلون عما فطروا عليه من العلم، فيذكّرهم الرسل بالعلم الذي فطروا عليه، ولذلك قال - تعالى -: ﴿تَبَصَّرْهُ وَذَكَرْهُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٨]،

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٤٥).

وقال - عز وجل -: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الغاشية: ٢١]، وقال - تعالى -:  
﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٦﴾ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَىٰ ﴾ [الأعلى: ١١، ١٢]، وقال - سبحانه -:  
﴿ فَقَوْلًا لَهُ، قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤]، حتى لو غفلوا عن هذه الفطرة  
في حال السراء، فلا شك أنها تستيقظ في حال الضراء.

قال - تعالى -: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ  
بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ  
أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾  
[يونس: ٢٢]، وقال - سبحانه -: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا  
إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٦٧].

لقد أرسل الله الرسل لتقرير الفطرة وتكميلها لا لتغييرها وتحويلها، ولا بد  
لهذه الفطرة من قوتٍ وغذاء يمدّها بنظير ما هو مغروس فيها وما قد فطرت عليه  
علمًا وعملاً، ولهذا كان كمال الدين التام، بالفطرة المكتملة، بالشريعة المنزلة.

قال - تعالى - في أول ما أنزل من كتابه الكريم: ﴿ اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾  
[العلق: ١]، وقال أيضًا: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ [العلق: ٣].

قال شيخ الإسلام: «ذكر - أي الرب - في الموضوعين بالإضافة التي توجب  
التعريف، وأنه معروف عند المخاطبين، إذ الرب - تعالى - معروف عند العبد بدون  
الاستدلال بكونه خلق، وأن المخلوق - مع أنه دليل، وأنه يدل على الخالق -  
لكن هو معروف في الفطرة قبل هذا الاستدلال؛ ومعرفته فطرية، مغروزة في  
الفطر، ضرورية، بديهية، أولية»<sup>(١)</sup> اهـ.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦ / ٣٢٤).

## الدليل الرابع -

ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «كل مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج بهيمة، هل ترى فيها جدعاء؟»، وفي رواية: «تنتج بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟»، ثم يقول أبو هريرة: «أقرؤوا إن شئتم ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ إِلَيْنِي فَطَرَأُ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]». وفي رواية سألوه عن أطفال المشركين، أي من يموت منهم صغيراً، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث يدل بوضوح على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يقصد بالفطرة فيه معناها اللغوي<sup>(٢)</sup>، وإنما أراد معناها الشرعي المعهود في نصوص الوحيين، وذلك من وجوه:

**الأول -** روايات هذا الحديث المختلفة الألفاظ المتفقة المعاني، بحيث يفسر بعضها بعضاً مثل: «ما من مولود يولد إلا وهو على الملة»، وفي أخرى: «إلا على هذه الملة»<sup>(٣)</sup>.

**الثاني -** أن هذا المعنى هو الشائع المعهود في كثير من النصوص النبوية: - فمنها: حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك

(١) أخرجه البخاري [١٣٥٩]، [١٣٨٥]، ومسلم [٢٦٥٨]، والترمذي [٢١٣٨]، وأبو داود [٤٧١٤].

(٢) ولو أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - مجرد المعنى اللغوي، لبين المقصود بالخلقة التي يولد عليها كل مولود، لأن القول بأن كل مولود يولد على الفطرة التي هي الخلقة لا يفيد لذاته معنى محددًا ما لم توصف تلك الخلقة بما يقطع النزاع في معناها، ولا يمكن ذلك إلا إذا فسرت الفطرة على معناها الشرعي، فلزم أن يكون هو المقصود في الحديث دون المعنى اللغوي.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» [٢٦٥٨] [٢٠٣٨/٤].

الأيمن ثم قل: اللهم أسلمتُ وجهي إليك، وفوضتُ أمرى إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأَ ولا منجأَ منك إلاَّ إليك، آمنتُ بكتابتك الذي أنزلتَ وبنبيك الذي أرسلتَ، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: «وقوله: «على الفطرة»، أى: على الدين القويم، ملة إبراهيم، فإنه - عليه السلام - أسلم واستسلم...»<sup>(٢)</sup>.

فهذا الحديث اشتمل على تحقيق التوحيد من الاستسلام لله، وتفويض الأمور إليه، والتوكل عليه، والتأله له وحده، وقد بشر النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث أن من قال تلك الكلمات المحققة لهذه المعاني مات على الفطرة، فدل على أن الفطرة مقتضية لتوحيد الله - تعالى -، وأن من حقق التوحيد فقد حقق مقتضى الفطرة.

- ومنها: ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقوله إذا أصبح وهو: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، وعلى ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين»<sup>(٣)</sup> الحديث.

قال ابن الأثير: «فطرة الإسلام. الفطرة: ابتداء الخلقة، وهي إشارة إلى كلمة التوحيد، حين أخذ الله العهد بها على ذرية آدم فقال: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى»<sup>(٤)</sup> اهـ.

(١) أخرجه البخاري [٢٤٧]، [٦٣١١]، [٦٣١٣]، [٦٣١٥]، ومسلم [٢٧١٠]، والترمذي [٣٣٩١]، وغيرهم.

(٢) «فتح الباري» (١١١/١١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤٠٦/٣)، (١٢٣/٥)، وصححه النووي في «الأذكار» ص (٦٨) بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح» اهـ. «مجمع الزوائد» (١١٦/١٠)، وكان - صلى الله عليه وسلم - يقوله إذا أمسى أيضاً: «أمسينا» إلخ.

(٤) «جامع الأصول» (٢٥٣/٤).



وكلمات هذا الدعاء مترادفة في معانيها، ففطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين النبي - صلى الله عليه وسلم - وملة إبراهيم - عليه السلام - هي مقتضى تحقيق التوحيد، فمن حقق مقتضى الفطرة فقد حقق التوحيد.

**- ومنها:** أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلاً يؤذن، فحين قال الرجل: الله أكبر، الله أكبر، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «على الفطرة»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام النووي: «قوله - صلى الله عليه وسلم -: «على الفطرة»، أي: على الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

ووجه الدلالة في هذا الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - شهد للرجل حين أعلن التوحيد بالتكبير أنه على الفطرة، فعلم أن الفطرة في معناها الشرعي تقتضي التوحيد.

**- ومنها:** قوله - صلى الله عليه وسلم -: «خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وقص الشارب»<sup>(٣)</sup>.

فهذه النصوص وغيرها مما في معناها تدل على أن للفطرة في نصوص الكتاب والسنة معنى خاصاً معهوداً غير المعنى اللغوي العام. وأن ذلك المعنى الشرعي هو المقصود في حديث الفطرة، فلا بد أن يكون النبي - صلى الله عليه وسلم - قد أخبر أن كل مولود يولد على الفطرة.

(١) رواه مسلم [٣٨٢].

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» ط. دار ابن أبي حيان (٢/٣٢٠).

(٣) رواه مسلم [٢٥٧] (١/٢٢١).

**الوجه الثالث -** الدال على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أراد بالفطرة في الحديث ما يقتضي التوحيد أنه قد ذكر التهويد والتنصير والتمجيس في مقابل الفطرة، بحيث تكون تلك الأديان مخالفة لمقتضاها، لأن الفطرة هي الأصل الذي يولد عليه كل مولود، واتباع تلك الأديان الباطلة انحراف عنها، فلا بد أن تكون الفطرة مقتضية للإسلام، ولهذا لم يذكر في الحديث تأثير الأبوين في جعل المولود مسلمًا، لأن ذلك هو مقتضى الفطرة التي خلق عليها، فدل على أن الخلقة التي يولد عليها كل مولود تقتضي الإسلام.

وفي ترجيح أن المراد بالفطرة في الحديث الإسلام بناء على ما تقدم يقول الحافظ ابن حجر: «يؤيد المذهب الصحيح أن قوله: «فأبواه يهودانه...»، ليس فيه لوجود الفطرة شرط، بل ذكر ما يمنع موجبها، فحصول اليهودية مثلاً متوقف على أشياء خارجة عن الفطرة بخلاف الإسلام»<sup>(١)</sup>.

**الوجه الرابع -** أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد شبه المولود يولد على الفطرة بالبهيمة تولد جمعاء، أي: مجتمعة الخلق وهذه صفة كمال فيها، كما شبه الانحراف عن الفطرة في المولود بجذع البهيمة<sup>(٢)</sup> وهي صفة نقص عن الكمال الذي كانت عليه، فلا بد أن تكون الخلقة التي يولد عليها المولود صفة كمال يولد عليها، وأن يكون التهويد والتنصير والتمجيس صفة نقص يلحق بها، وصفة الكمال الذي يولد عليه المولود لا يمكن أن تكون مجرد القابلية لأن يكون مسلمًا

(١) «فتح الباري» (٣/ ٢٥٠).

(٢) فقوله - صلى الله عليه وسلم -: «هل تحسون فيها من جدعاء؟» يعني أن البهيمة خلقت سليمة، ثم جُذعت بعد ذلك، فكذلك الولد يولد سليمًا من الكفر؛ مؤمنًا مسلمًا، ثم يطرأ عليه الكفر بعد ذلك، فالعيب الذي طرأ على البدن، يقابله العيب الذي طرأ على الدين، وهو الكفر.

أو كافرًا<sup>(١)</sup>، لأن ذلك لا يقتضي لذاته مدحًا ولا ذمًا وإنما يكون المدح أو الذم بما يلحقه بعد ذلك، فلا بد أن تكون الفطرة صفة كمال يولد عليها المولود، وهي لا تكون كذلك إلا إذا وُلِدَ على ما يقتضي الإسلام، فلا بد أن يولد كل مولود على خلقة مقتضية للإسلام.

**الوجه الخامس** - أن أبا هريرة - رضي الله عنه - قال بعد روايته للحديث: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾» [الروم: ٣٠]، مما يبين أنه فسر الحديث بالآية، وقد أجمع العلماء على أن المراد بالفطرة في الآية الإسلام، وتفسير الراوي أرجح لأنه أعلم بما سمع.

ولذلك لما سُئِلَ أبو هريرة - رضي الله عنه - عن رجل عليه رقبة مؤمنة، أيجزئ عنه الصبي أن يُعتقه وهو رضيع، فقال: «نعم، لأنه ولد على الفطرة»<sup>(٢)</sup> يعني الإسلام.

قال ابن شهاب الزهري: «يُصَلَّى على كل مولود متوفى وإن كان لِعِيَّة، من أجل أنه وُلِدَ على فطرة الإسلام»<sup>(٣)</sup>، وأفتى الزهري - أيضًا - رجلاً عليه رقبة مؤمنة أن يُعتق رضيعًا، لأنه ولد على الفطرة<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ولو كانت الفطرة هي مجرد القابلية لأن يكون مسلمًا أو كافرًا لقال - صلى الله عليه وسلم -: «أو يُسَلِّمَانِه»، ولو كانت الفطرة مجرد القابلية للحالين لما شَبَّهها النبي - صلى الله عليه وسلم - بالبهيمة المجتمععة الخلق، ولما شَبَّه ما يطرأ عليها من الكفر بجذع الأنف والأذن، ومعلوم أن كمالها محمود، ونقصها مذموم، فكيف تكون قبل النقص لا محمودة ولا مذمومة؟! (٢) «تجريد التمهيد» ص (٣٠٠).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» [١٣٥٨] (٣/٢١٩)، وقوله: (لِعِيَّة) أي ولو كان ولد زنا، لأنه محكوم بإسلامه تبعًا لأمه.

(٤) «تجريد التمهيد» ص (٣٠٠).

قال الإمام أحمد - رحمه الله -: «من مات أبواه وهما كافران حُكِمَ بإسلامه»  
واستدل بحديث: «كل مولود يولد على الفطرة..» فدل على أنه فسر الفطرة  
بالإسلام<sup>(١)</sup>.

**الوجه السادس -** أنه لو لم يكن المراد بالفطرة الإسلام، لما سألوا عقب ذلك  
عمن يموت من أطفال المشركين وهو صغير؛ لأنه لو لم يكن هناك ما يغير تلك  
الفطرة لما سألوه، والعلم القديم وما يجري مجراه لا يتغير.

وقد أجمع العلماء على أن أولاد المؤمنين ناجون يوم القيامة، واختلفوا في  
أولاد المشركين الذين ماتوا قبل أن يبلغوا، والراجح نجاتهم لكونهم ماتوا على  
الفطرة قبل أن تُغير<sup>(٢)</sup>.

وقال النووي - رحمه الله -: «إن هذا هو المذهب الصحيح الذي ذهب إليه  
المحققون لقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] اهـ<sup>(٣)</sup>.  
ومن الأدلة على نجاتهم: ما رواه البخاري عن سمرة بن جندب - رضي الله  
عنه - في حديث الرؤيا الطويل، وفيه: «وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه  
إبراهيم - عليه السلام -، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة»<sup>(٤)</sup>،

(١) انظر: «فتح الباري» (٣/ ٢٤٨).

(٢) ولا يمنع هذا أن أحكام الكفر تجري عليهم في الدنيا لكونهم تبعاً لآبائهم، فإنهم يرثونهم،  
ويُدفنون في مقابرهم، وفي صحيح مسلم: «هم من آبائهم».

(٣) «صحيح مسلم بشرح النووي» ط. دار أبي حيان، (٨/ ٤٦٢).

(٤) وفي رواية النضر بن شميل: «وُلد على الفطرة» قال الحافظ: وهي أشبه بقوله في الرواية الأخرى:  
«وأولاد المشركين» اهـ. من «فتح الباري» (١٦/ ٤٢٩).

قال: فقال بعض من المسلمين: يا رسول الله! وأولاد المشركين؟ فقال - صلى الله عليه وسلم -: «وأولاد المشركين»<sup>(١)</sup> الحديث<sup>(٢)</sup>.

**الوجه السابع -** أن هذا القول هو المعروف عند عامة السلف، وأهل العلم بالتأويل، وفي مقدمتهم صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين هم أعلم الناس بمراد الله - تعالى - ومراد رسوله - صلى الله عليه وسلم -، فإذا صح عنهم تفسير الفطرة بالإسلام ولم يُعرف بينهم خلاف في ذلك فالحق ما قالوه، فكما يُقبل منهم ما نقلوه من الدين، فكذلك ما فهموه، ما لم يختلفوا.

### **الدليل الخامس -**

حديث عياض بن حمار المجاشعي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يروي عن ربه وفيه: «وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً..»<sup>(٣)</sup>.

حنفاء: جمع حنيف، والحنيف في كلام العرب: المستقيم المخلص، ولا استقامة أكثر من الإسلام. وقد رُوي عن الحسن قال: الحنيفية: حج البيت، وهذا يدل على أنه أراد الإسلام، وكذلك رُوي عن الضحاك والسُدِّي: «حنفاء: حُجَّاجًا»، وعن مجاهد: «حنفاء» قال: متبعين.

وهذا كله يدل على أن الحنيفية: الإسلام.

- 
- (١) قال الحافظ في «الفتح»: «قوله: (وأولاد المشركين) ظاهره أنه - صلى الله عليه وسلم - ألحقهم بأولاد المسلمين في حكم الآخرة، ولا يعارض قوله: «هم من آبائهم» لأن ذلك حكم الدنيا» اهـ. (٤٢٩/١٦).
- (٢) رواه البخاري في «صحيحه» (٤١٧/١٦) [٧٠٤٧] ط. «دار طيبة - الرياض».
- (٣) أخرجه مسلم [٢٨٦٥]، والإمام أحمد (١٦٢/٤).

وقال الشاعر - الراعي النميري -:

ظف هيند<sup>ة</sup> عهقفه عهع ههلا  
لقه هقو<sup>ة</sup> نيه ظهوعههع  
فهنعظ هقفف غنقغ<sup>ة</sup> وظكيد<sup>ة</sup>  
هن عهقن عغ ههق<sup>ة</sup> غهقي<sup>ة</sup>

قال ابن فارس: «الحنيف: المائل إلى الدين المستقيم، قال الله - تعالى -:

﴿وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مَّسَلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧]»<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري: «قد تحنّف إلى الشيء إذا مال إليه، ومنه قيل لمن مال

عن كل دين أعوج: هو حنيف، وله دين حنيف، وتحنّف فلان إذا أسلم»<sup>(٢)</sup>.

وحاصل معنى هذا الحديث أن الله قد خلق عباده خلقة مقتضية للتوحيد،

وأنهم لو استمروا عليها دون صارف يصرفهم عنها لكانوا حنفاء موحدين، لكن

الشياطين صرفتهم عن مقتضى تلك الخلقة إلى الشرك.

فإخبار الله - تعالى - أنه خلق عباده حنفاء يدل على أنه خلقهم على ما

يقتضي أن يكونوا موحدين، لأن الحنيف في اللغة وفي نصوص الكتاب والسنة

هو المائل عن الشرك إلى التوحيد.

وأما النصوص الدالة على أن الحنيف بمعنى الموحد فكثيرة. منها قوله

- تعالى -: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً﴾ [البينة: ٥]، ومنها

قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مَّسَلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، وقوله - تعالى -: ﴿فَاتَّبَعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥]، وقوله - تعالى -: ﴿وَأَنْ أَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا

تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٥].

(١) «معجم مقاييس اللغة» (٢/ ١١٠، ١١١).

(٢) «أساس البلاغة» ص (٩٧).

ومما ورد في السنة ما جاء في قصة زيد بن عمرو بن نفيل وخروجه إلى الشام ولقائه الأحرار والرهبان، وكلهم يقول له إنه لا يعلم الدين الحق إلا أن يكون حنيفاً على دين إبراهيم - عليه السلام -: «فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم - عليه السلام - خرج، فلما برز رفع يديه فقال: اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر عن زيد هذا: «وكان ممن طلب التوحيد، وخلع الأوثان، وجانب الشرك، لكنه مات قبل المبعث»<sup>(٢)</sup>.

وقال عنه ابن كثير: «وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الأوثان، وفارق دينهم، وكان لا يأكل إلا ما ذبح على اسم الله وحده»<sup>(٣)</sup>.

إن موقف المتحنفين يدل على أن العبد قد يصيب الحق بخواطر تجول في نفسه، وأدلة قد انتظمت وترتبت بداخله على وجوب التمسك به دون أن تلقى عليه حُجج وبيانات من خارج ذاته، ويدل أيضاً على أن بالفطرة قوة تقتضي: حب الفاطر ووجوب عبادته وحده، وأن هذا يتم في النفس بغير سبب منفصل عنها، فوجوده فيها لا يتوقف على توفر شرط، ولكن على انتفاء مانع، وهذا بخلاف إحداث الكفر فهو متوقف على وجود شرط منفصل عن الفطرة وليس على انتفاء مانع خارج عنها، مثل تربية وتنشئة الوالدين لطفلهما عليه. قال - صلى الله عليه وسلم -: «فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه».

ولو لم يكن ذلك كذلك لاستحال أن يصل عبد إلى الحق إلا بعد أن يسمعه مُدَلِّلاً عليه بالبيانات والحُجج من خارج نفسه، وهذا بخلاف الواقع.

(١) أخرجه البخاري [٣٨٢٧].

(٢) «فتح الباري» (٧/٢٤٣).

(٣) «البداية والنهاية» (٢/٢٣٧).

ومما يبين هذا المعنى من الحديث أيضًا أن الله - تعالى - أخبر أن الشياطين قد صرفت الناس عن مقتضى الخلقة التي خلق الله الناس عليها إلى الشرك، فدل ذلك على أن الشياطين قد أخرجتهم واجتالتهم عن مقتضى الفطرة إلى ما يناقض مقتضاها وهو الشرك، ولذلك سمي الله ما كانوا عليه قبل صرف الشياطين لهم عنه دينًا، ولو كانوا قبل إغواء الشياطين لهم على خلقة لا تقتضي أن يكونوا موحدين لم توصف بهذا الوصف، ولم يكن لاجتيال الشياطين لهم حينئذٍ معنى .

ولهذا لم يذكر في الحديث إلا ما يمنع من تحقيق مقتضى الفطرة، وهو اجتيال الشياطين للناس وأمرهم إياهم بالشرك، فدل على أن الخلقة التي خلقوا عليها مقتضية للتوحيد ما لم يمنع من تحقق ذلك المقتضى مانع، وهذا هو المقصود بفطرية التوحيد<sup>(١)</sup> .

ويؤكد ذلك المعنى قول من ذهب من المفسرين إلى أن قوله - تعالى -  
في المنافقين: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت بِحَدْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٦]، فيه إشارة إلى فطرة الإسلام: قال الزمخشري:  
«فإن قلت: كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى؟ قلت: جعلوا لتمكنهم منه وإعراضه لهم كأنه في أيديهم، فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطّلوه، واستبدلوه بها، ولأن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، فكل من ضلَّ فهو مستبدل خلاف الفطرة»<sup>(٢)</sup> اهـ.

ونقل الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيرها قول قتادة: «استحبوا الضلالة على الهدى» ثم قال: «أي الكفر بالإيمان، وهذا الذي قاله قتادة يشبهه

(١) «المعرفة في الإسلام» ص (٢٣٥).

(٢) «الكشاف» (١/٣٦).



في المعنى قوله - تعالى - في ثمود: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ (١) [فصلت: ١٧].

وقال البقاعي: «أي لجوا في هواهم فكلّفوا أنفسهم ضدّ ما فطرها الله عليه مع ما نصب من الأدلة حتى أخذوا (الضلالة) أي التي هي أقبح الأشياء (بالهدى) الذي هو خير الأشياء ومدار كل ذى شعور عليه، فكأنه لوضوح ما قام عليه من الأدلة مع ما ركز منه في الفطر كان في أيديهم فباعوه بها» (٢) اهـ.

وقال الخطيب الشربيني: «والمعنى أنهم أخذوا بالهدى الذي جعله الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها مخصّلين الضلالة التي ذهبوا إليها، واختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى» (٣) اهـ.

وقال الألوسي: «أو يقال: المراد بالهدى الهدى الجبلي، وقد كان حاصلاً لهم حقيقة - فإن كل مولود يولد على الفطرة» (٤) اهـ.

والحاصل أنه - عزّ وجلّ - جعل الهدى هو رأس المال الحاصل عندهم، والذي منحهم الله إياه، إلا أنهم عرّضوه للزوال، وخسروه حين بدّلوا هذه الفطرة المستقيمة القريبة منهم، واشتروا بها الضلالة البعيدة عنهم ﴿فَمَا رِيحَتْ بِحَدْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ١٤١).

(٢) «نظم الدرر» (١/ ١١٧).

(٣) «السراج المنير» (١/ ٥٤).

(٤) «روح المعاني» (١/ ١٦١).

## تنبهاص

### الأول -

أن الخلاف في المقصود بالفطرة هو في مسألة محددة ألا وهي:  
هل الخِلقَة التي يُولد عليها المولود مقتضية (أى: مستلزمة) للتوحيد  
والإسلام، أم أنها قابلةٌ له فحسب؟

وبيننا فيما مضى الأدلة التي ترجح اقتضاء الفطرة الإسلام، وهذا لا يلزم منه أن  
يتحقق مقتضى الفطرة للإنسان منذ ولادته، فالمولود لا يكون عارفاً بالتوحيد منذ  
ولادته، وهو ليس مسلماً بالفعل لأنه لا يعقل شيئاً، ولا يُكَلَّفُ إلا عند البلوغ، قال  
- تعالى -: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [النحل: ٧٨].

لكن المقصود أنه قد خُلِقَ خِلقَة مُهَيَّئَة لمعرفة الله وتوحيده إذا أدرك  
وميز وعقل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فنفس الفطرة تستلزم: الإقرار بخالقه ومحبته  
وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضاها تحصل شيئاً بعد شيء، بحسب  
كمال الفطرة، إذا سَلِمَت عن المعارض.

شأنها في ذلك شأن كافة الحواس كالسمع، والبصر والنطق... فكما يجوز  
لنا أن نقول: إن الإنسان ولد ناطقاً مع أننا نجزم بعجزه عنه ساعة ولادته، إلا أنه  
ينمو معه بنمو جسده، ويتحقق فيه إذا سلم عن معارضه، وكذلك الفطرة سواء  
بسواء.

وبالجملة: فكلما حصل في الطفل قدر من العلم والإرادة، حصل له قدر من معرفته بربه ووجهه مع إخلاص الدين له بما يناسب ذلك»<sup>(١)</sup> اهـ.

## الثاني -

أن القول بفطرية التوحيد لا يقتضي أن يكون الطفل موحدًا منذ ولادته عالمًا بذلك، بحيث يكون مخلوقًا عليه خلقه ليس له فيها اختيار، فلا يكون حينئذ موحدًا باختياره، وإنما لأن الله قد خلقه على التوحيد.

ولكن القول بفطرية التوحيد لا يستلزم ذلك، وإنما يدل على أن الفطرة خلقه تقتضي التوحيد، وأنه ليس متحققًا للمولود بالفعل منذ الولادة، وإنما هو متحقق له بالقوة المقتضية له مع تحقق شروطه وانتفاء موانعه.

ولهذا ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديث الفطرة إمكان عدم تحقق مقتضى الفطرة، مع أنه أراد بها الخلقة المقتضية للإسلام، ولو كان لا يمكن تخلف مقتضاها لم يمكن أن يكفر أحد. فعلم أن اقتضاء الفطرة للإسلام ليس مطلقًا غير مشروط، كما أنه لا يمكن أن يتحقق ذلك المقتضى قبل أن يعقل الطفل ويميز، ويكون له الاختيار بين أن يلتزم بمقتضى الفطرة أو أن ينحرف عنها.

## الثالث -

أن المقصود بالفطرة في قوله - صلى الله عليه وسلم -: «كل مولود يولد على الفطرة»: الإسلام، ولسنا نعني بالإسلام هنا الإيمان الذي هو اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، ولا الإسلام (الخاص) الذي يعبر به عن جملة

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٨/٣٨٣).

من العقائد والشرائع وغيرها مما لا يعلم إلا من جهة الوحي الشريف، لأن هذا كله معدوم من الطفل.

لكن المقصود هو: الإسلام (العام) أي التوحيد وإخلاص القصد لله وحده، الذي وصف الله به جميع الأنبياء وأتباعهم.

والفرق بينهما هنا: أن الإسلام (العام) فطري ضروري بديهي أولي لا يستطيع المرء له دفعًا، ولا يحصل عن طريق الكسب بالنظر والفكر والاستدلال، وهذا مركوز ومغروس في كل البشر، وهم فيه سواء.

أما الإسلام (الخاص): فكسبي يُدرَك بتعلم الأدلة التفصيلية، ويتفاوت فيه الناس تفاوتًا عظيمًا.

## الإسلام والله

### (٢٢) مجزأ الصراع في تاريخ البشرية

إن المتأمل في حركة التاريخ البشري - من خلال القرآن الكريم - لا تكاد تخطئ عينه أن الصراع في كل حلقاته إنما دار حول «لا إله إلا الله» الكلمة المقدسة التي أرسل الله بها رسله، وأنزل بها كتبه، والتي مازال الأنبياء وأتباعهم يجابهون بها أهل الشرك والكفران ﴿ هَذَا نِ حَصَمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: ١٩]. إنه صراع بين دين سماوي واحد هو الإسلام، وبين أديان باطلة تدعو إلى عبادة غير الله، صراع بين حزب الله وهم رسل الله وأتباعهم، وحزب الشيطان وهم أتباع الأديان الباطلة، سواء أكانت ذات أصل سماوي صحيح ثم حُرِّفت، أم كانت أدياناً أرضية صنعها البشر.

لقد بينا فيما مضى كيف كان توحيد العبادة مُفْتَتِحَ دعوة الرسل جميعاً، فما من رسول بعثه الله إلا وكان أول ما يدعو قومه إليه هو توحيد الله، ولذا كانت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم في ذلك، فالأنبياء يدعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، والأقوام يصرون على البقاء على الشرك وعبادة الأوثان إلا من هداه الله منهم.

قال الله - تعالى - عن قوم نوح - عليه السلام -: ﴿ وَقَالُوا لَا نَدْرُنَّ ءِالْهَتَكُمُ وَلَا نَدْرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿ [نوح: ٢٣، ٢٤].

وقال عن قوم هود - عليه السلام -: ﴿ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفِكَنا عَنْ ءالِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا تَعُدُّنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٢].

﴿ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءالِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ٥٣].

وقال عن قوم صالح - عليه السلام -: ﴿ قَالُوا يَصَلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هٰذَا أَتُنهِنَّا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءابَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [هود: ٦٢].

وقال عن قوم شعيب - عليه السلام -: ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَؤُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود: ٨٧].

وقال عن كفار قريش: ﴿ وَجَبُّوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْاِلٰهَةَ اِلٰهًا وَّاحِدًا اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَى ءالِهَتِكُمْ اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي الْاِمْلَةِ الْاٰخِرَةِ اِنَّ هٰذَا اِلَّا اُخْتِلَافٌ ﴾ [ص: ٤-٧].

وقال: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ اِنْ يَتَّخِذُونَكَ اِلَّا هُزُوًا اِهٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُوْلًا اِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ ءالِهَتِنَا لَوْلَا اَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ اَضَلُّ سَبِيْلًا ﴿٤٢﴾ اَرَأَيْتَ مَنْ اُتِيَ مِنَ الْاِلٰهَةِ هُوْنُهُ اَفَأَنْتَ تَكُوْنُ عَلَيْهِ وَكِيْلًا ﴿٤٣﴾ اَمْ تَحْسَبُ اَنْ اَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ اَوْ يَعْقِلُوْنَ اِنْ هُمْ اِلَّا كٰلَا نَعْمَ بَلْ هُمْ اَضَلُّ سَبِيْلًا ﴾ [الفرقان: ٤١-٤٤].

فهذه النصوص وما جاء في معناها تدل أوضح دلالة أن المعتكف والخصومة بين الأنبياء وأقوامهم إنما كان حول توحيد العبادة والدعوة إلى إخلاص الدين لله. وقد ثبت في الصحيح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»، وأن محمداً رسول الله، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»<sup>(١)</sup>.

إن الأمة الحنيفية لم تزل على مر العصور هي القادرة على نشر نور الإسلام في آفاق الدنيا، امتثالاً للتكليف الإلهي، وتحقيقاً للغاية النبيلة التي عبّر عنها رباعي ابن عامر - رضي الله عنه - أصدق تعبير حين قال: «الله ابتعثنا لنُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَمَنْ جَوَّرَ الْأَدْيَانَ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، وَمَنْ ضَيَّقَ الدُّنْيَا إِلَى سَعَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

وإن أهل «لا إله إلا الله» هم القادرون - على مر الدهور - على منازلة الباطل، ومقارعة الملل المارقة عن فطرة الكون، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقصة الصراع تحاك وتعاد.. قصة متكررة منذ فجر التاريخ البشري إلى آخر الزمان، يتغير فيها فقط الزمان والمكان وأسماء الرجال المتنازعين، قصة واحدة بين فريقين اختصموا في ربهم، مؤمنين وكافرين: الأحداث متشابهة، تسلسل الفصول واحد، طبيعة الصراع لا تتغير، والنهاية معلومة، والنتائج محتومة<sup>(٢)</sup>:

(١) انظر تخريجه ص (١٥).

(٢) انظر: «الطريق إلى جماعة المسلمين» للأستاذ حسين بن محمد جابر - رحمه الله تعالى - ص (٢١١-٢٥٣).

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر: ٥١]، ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِبِينَ ﴾ [القصص: ٨٣]، ﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبُ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ [المجادلة: ٢١].

قصة نوح هي قصة هود، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد - عليهم الصلاة والسلام -، وهي نفسها تتكرر مع حبيب النجار، ومؤمن آل فرعون، وأبي بكر الصديق، وعمر الفاروق إلى عصور التابعين وتابعيهم إلى يومنا هذا. ولقد حاول الذين فسروا التاريخ بعامة وتاريخ الإسلام بخاصة أن يفسروه بمنهج مادي قاصر، متشبع بالروح العلمانية<sup>(١)</sup> التي تدأب لفصل الدين عن

(١) و(علماني) في هذا السياق لا تعني القائم على العلم، وإنما تعبر عن فهم محدودٍ لمعنى العلم، فكلمة علماني تعني التفكير المادي الذي لا يؤمن إلا بالمحسوس، ويستبعد المغيبات تمامًا من مجال بحثه، ولا يسلم أصلًا بوجودها.

يقوم المنهج العلماني على أساس مبدأ (التطور) الذي ظهر كبديل عن (الخالق)، وأدى تقدم الأبحاث العلمية مع الإلحاد إلى المبالغة في إمكانيات العلم البشري، والإيمان بقدرة الإنسان المطلقة على التقدم والارتقاء.

وحين عجز العلم عن معرفة العلاقة الحقيقية بين السبب والمسبب، وحين أعرض عن مصدر الحقائق اليقينية التي يرتكز عليها تاريخ العالم ألا وهو الوحي الشريف، هُرع (العلم) إلى التفكير الأسطوري الخرافي الذي طالما هُرعت إليه الشعوب البدائية التي نسيت ذكر الله وضاعت منها كتب الله، فجعل (العلم) المزعوم يملأ الفجوات المجهولة في التاريخ بالخيال الأسطوري، ومنها مبدأ (التطور) ذاته الذي يستند عند (داروين) إلى محض الصدفة.

وعلى أساس من بعض المعلومات الجزئية المبتورة في مجالات المادة الجامدة والحية، وفي مجال النفس والاجتماع نسج العقل الغربي أساطيره الجديدة، ونحن من ناحيتنا يجب أن لا نساق وراءه في تخبطه الأعمى، ونحن نملك العلم الصحيح الذي يعصمنا من الوقوع في شباك الأساطير.

أعمى يقود بصيرًا لا أبا لكم قد ضل من كانت العُيمان تهديه



الحياة، وحبسه داخل القفص الصدري، وبين حدود جدران المساجد<sup>(١)</sup>.  
وإن أصدق مصدر على الإطلاق يُوثَّق تاريخ البشرية هو الوحي الإلهي  
المتمثل في القرآن العظيم وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم مصادر  
التاريخ الإسلامي المسندة المحققة.

ونحن لا ننكر وجود مدارس مختلفة للتحليل التاريخي كمدرسة التفسير  
الأخلاقي الديني<sup>(٢)</sup>، ومدرسة التفسير العقلاني المثالي، ومدرسة التفسير  
الاجتماعي، ومدرسة التفسير المادي الاقتصادي، لكننا ننكر أن نتنكر لتاريخنا  
ومصدرنا المحفوظ، وتراثنا الثري، لتتطفل على موائد هذه المدارس التي  
هي نتاج رؤية بشرية قاصرة أو نتاج هوى متبع، وضلال عن هدي السماء<sup>(٣)</sup>،  
والتي تتعامل مع تاريخنا باستعلاء وانتقاء وتشويه، الأمر الذي يُوجب على  
أهل الاختصاص المخلصين تحرير عقول شبابنا و مثقفينا من آثار هذه المناهج  
المنحرفة التي شوّهت الفكر التاريخي، وملأت آفاهه بغيوم ضبابية كالحة تخفي  
ملامح الحقائق التاريخية بل تزورها وتلاعب بها.

---

(١) انظر: «المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره» للدكتور محمد رشاد خليل، و«في التاريخ  
فكرة ومنهاج» للأستاذ سيد قطب - رحمه الله -.

(٢) وهذه المدرسة قد تتفق مع «المدرسة الإسلامية» في بعض معطياتها، ولكنها تختلف عنها  
بسبب عدم إدراكها لوحدة الدين السماوي وأنه دين واحد فقط، انظر: «مصادر التاريخ  
الحديث» للدكتور إسماعيل ياغي ص (١٩٨-٢٠٦).

(٣) انظر: «المسلمون وكتابة التاريخ» للدكتور عبد العليم خضر ص (٢٧١-٢٩٧)، و«الموقف  
من التاريخ الإسلامي وتأصيل الهوية» للدكتور حامد محمد الخليفة ص (٢٥٤-٢٥٦).

# الإسلام والله

## (٢٣) مناقشة المحبة

أسرد فيما يلي تجربة صادقة بطلها الأستاذ الدكتور فريد الأنصاري<sup>(١)</sup> - رحمه الله - الذي يسלט من خلالها الضوء على (جمال كلمة التوحيد)، ويركز على (البعد الوجداني)، و(توحيد المحبة)، الذي تنبض به شهادة أن «لا إله إلا الله»، وهي تتحدث بعمق واقتدار وصراحة عن كثير مما يدور في أذهان الشباب بل ما يعانونه من (التصحر الروحي)، وتقتصر عبارتهم عنه.

قال - رحمه الله تعالى :-

أول واجب في الإسلام هو قول: «لا إله إلا الله»، وهي كلمة عظمى في غاية اللطف والبهاء، نعم! كل المسلمين يقولونها، ولكن القليل منهم هم الذين يعرفونها حقاً؛ ذلك أن انصرافهم إلى التصورات الكلامية في مجال العقيدة، قد صرفهم عن فضاءاتها الجميلة، وأبعادها الجليلة.

وقد كان المسلمون عندما يتلقون العقيدة بعباراتها القرآنية الجليلة، يتفاعلون معها تفاعلاً عجيبيّاً؛ إذ يتحولون بسرعة، وبعمق كبير من بشر عاديين، مرتبطين بعلائق التراب إلى بشر ربانيين ينافسون الملائكة في السماء؛ وما هم إلا بشر يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق؛ ولذلك حقق الله بهم المعجزات في الحضارة والتاريخ.

---

(١) الأستاذ الدكتور «فريد الأنصاري» - رحمه الله - (١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م - ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م) عالم أصولي، وواعظ رباني، وأديب وشاعر مغربي، كان حقاً «فريداً» متميزاً في أدائه الدعوي وإبداعه التربوي، وكان يهتم كثيراً بالنقد الذاتي البناء، كما يُلاحظ من هذه المقالة التي نشرت في مجلة «البيان» عدد [٢٠٩] ص (٦-١٠).

إن بعض التقسيمات الكلامية للعقيدة الإسلامية التي أملتتها ضرورةً حجاجيةً حيناً وضرورةً تعليميةً حيناً آخر، ليست ذات جدوى في عالم التربية الإيمانية؛ لخلوها من روحها الرباني، وسرها التعبدي الذي لا تجده إلا في كلمات القرآن وأحرفه: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: «آلم» حرف؛ ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»<sup>(١)</sup>. ثم إن الإخبار عن حقيقة الذات الإلهية لا يكون على كمال صدقه، جلاً وجمالاً إلا إذا كان بما أخبر الله به عن ذاته - سبحانه - وصفاته. وما كان للمخلوق المحدود أن يحيط وصفاً وعلماً بالخالق غير المحدود؛ ومن هنا كان التوقيف في مجال التعبير العقدي في الإسلام.

كثير من الناس يتكلم في العقيدة اليوم، ولكن قليلاً منهم من يتفاعل معها؛ لأن العلم الجدلي ما كان له أن يؤتي ثماراً قلبية، وهو قد أنتج أساساً لإشباع رغبات العقل المماري، لا لإشباع حاجات القلب الساري. وقد كان الرسول - عليه الصلاة والسلام - يخاطب بالعقيدة الإيمانية العقول خطاباً ينفذ من خلالها إلى القلوب؛ حيث تستقر بذرة تُنبث جناتٍ وأشجاراً.

إن السر الذي تتضمنه عقيدة «لا إله إلا الله»، والذي به غيرت مجرى التاريخ مراتٍ ومرات، والذي به صنعت الشخصيات التاريخية العظيمة في الإسلام؛ إنما يكمن في (جمالها)!.. الجمال: ذلك الشيء الذي لا يُدرَكُ إلا بحاسة القلب. إنه إحساسٌ: (كم هو جميل أن يكون المرء مسلماً!). ودون هذا الإدراك اللطيف للدين إدراكات أخرى من أشكال التدين، لا تغني من الحق شيئاً. لقد ضاع صفاء

---

(١) رواه الترمذي (١١٥/٨)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، والحاكم في «المستدرک» (١/٥٦٦)، وصححه، وكذا صححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٦/٣٤٠) [٦٣٤٥].

الدين وجماله السماوي في غبار التأويلات، ورسوم التقسيمات، وقد ذم قوم (الكلام)، لكنهم لم يدركوا أنهم في خضم الصراع المذهبي، ردُّوا وقَسَموا؛ (فتكلموا)؛ وسقط عنهم بذلك بهاء الدين وجماله، وهم لا يشعرون، أو - على الأقل - لم يترك ذلك في الأتباع لمسات الجمال، وأذواق الصفاء في السلوك الذي يُصنَّفون به على أنهم (مسلمون)؛ فكانت التصوراتُ في وادٍ، والتصرفات في وادٍ آخر.

إن القرآن الكريم والسنة النبوية يقولان لنا حقيقةً جليلةً عظيمة لم يستطع أن يوصلها إلينا علمُ الكلام: هي أن عقيدتنا جميلة.

ولكِّم هو مؤسف حقاً أن يضيع هذا المعنى من تدين كثير من المسلمين اليوم، فلا يرون في الدين إلا خشونة وحزونة ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤]، هذا التخشب في الأقوال والفعال، الذي سيطر على تدين كثير من الناس اليوم إنما كان لأسباب سياسية واجتماعية مختلفة، ليس هذا مجال بيانها، ولا يجوز أبداً أن تكون مسوِّغاً للانحراف عن بهاء الدين وجماله، وإنما أنزله الله ليكون جميلاً، تتذوقه القلوب، وتتعلق به الأنفس؛ فلا تستطيع منه فكاً، فُتْسَلِمُ - بجذبه الخفي وإغرائه البهي - لله رب العالمين.

**«لا إله إلا الله»** - إذيقولها العبد مستشعراً دلالتها اللطيفة - كلمة (قلبية) مدارها على وصف حال، والاعتراف بذوق صفات الكمال والجلال. إنها تعبير عن الخضوع الوجداني التام لله. نعم! قلت: (الوجداني)؛ لأنها - ببساطة - كذلك وردت في سياقها القرآني الأصيل.

ولو تأملت هذه العبارة العظيمة في اللغة لوجدتها تقوم على لفظتين أساسيتين: هما مدار الإسلام كله: (الله) و(الإله).

فأما كلمة: (الله): فهو لفظ الجلال، الاسم العَلَم على الذات الإلهية، الاسم الجامع لكل الأسماء الحسنی والصفات الإلهية العُلَى. ولفظ (الله) فرد في اللغة، فلا يُجمع، ولا يتعدد.

وأما كلمة: (الإله) فهو لفظٌ وصفٍ، يدل على معنى شعوريّ قلبي؛ ولذلك فهو يتعدد؛ إذ يُجمع على (آلهة). وأما باقي العبارات في (لا إله إلا الله) فهي (لا) النافية، و(إلا) الحاصرة، تقومان بدور البناء والتركيب اللغوي؛ للنفي والإثبات الذي يربط نوع العلاقة في قلب المؤمن بين الصفة: (إله) والاسم: (الله). وحقيقة تلك العلاقة هي ما يهمننا ها هنا. إنها علاقة تملأ الوجدان بما يفيض به قلب العبد المعبر بها حقاً وصدقاً من الاعتقاد والشعور تجاه مولاه - جل وعلا -.

ذلك أن كلمة (إله) في أصل الاستعمال اللغوي كلمة قلبية، وجدانية، كما ذكرنا. أعني أنها لفظ من الألفاظ الدالة على أحوال القلب، كالحب، والبغض، والفرح، والحزن، والأسى، والشوق، والرغبة، والرغبة.. إلخ. أصلها قول العرب: «أله الفصیل يأله ألهًا»، إذا نأح شوقاً إلى أمه. والفصیل: ابن الناقة إذا فطمَ وفُصل عن الرضاع، يُحبس في الخيمة، وتترك أمه في المرعى، حتى إذا طال به الحال ذكر أمه؛ وأخذ الشوق والحنين إليها - وهو آئذ حديث عهد بالرضاع - فنأح، وأرعى رُغاء أشبه ما يكون بالبكاء. فيقولون: «أله الفصیل»، فأمه إذن ها هنا هي (إلهه) بالمعنى اللغوي. ومنه قول الشاعر:

\* ظهيمع مهيدع وعهقن على ونذمة

جاء في (اللسان): «اسم: (الله): تفرد - سبحانه - بهذا الاسم، لا يشركه فيه غيره، فإذا قيل: (الإلاه) انطلق على الله - سبحانه -، وعلى ما يُعبد من الأصنام. وإذا قلت: (الله) لم ينطلق إلا عليه - سبحانه وتعالى -،... وقيل في اسم الباري - سبحانه -: إنه مأخوذ من أَلِه يَأْلُه: إذا تحيّر؛ لأن العقول تَأْلُه في عظمتها. وَأَلِه يَأْلُه أَلِهًا: أي تحيّر، وأصله وَلِه يَوْلُه وَلِهًا، وقد أَلِهْتُ على فلان: أي اشتد جزعي عليه؛ مثل وَلِهْتُ، وقيل: هو مأخوذ من: أَلِه يَأْلُه إلى كذا، أي: لجأ إليه؛ لأنه - سبحانه - المَفْرَعُ الذي يُلجأُ إليه في كل أمر»<sup>(١)</sup>؛ إذ (الإله) في هذا السياق اللغوي هو: ما يَشوقُ القلب، ويأخذ بمجامع الوجدان إلى درجة الانقياد له والخضوع. قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

والراجع فعلاً أن (أله) هو من (وله) ومنه اشتق الاسم العلم: (الله)؛ لأن مدار كلا المادتين على معاني القلب، فأبدلت من الواو همزة. قال الراغب الأصفهاني: «أله فلان يأله: عبده، وقيل: أصله ولاه؛ فأبدل من الواو همزة، وتسميته بذلك؛ لكون كل مخلوق وإلهاً نحوه، إما بالتسخير فقط كالجمادات والحيوانات، وإما بالتسخير والإرادة كبعض الناس، ومن هذا الوجه قال بعض الحكماء: الله محبوب الأشياء كلها»<sup>(٢)</sup>.

و(الولة): هو الجنون الحاصل بسبب الحب الشديد، أو الحزن الشديد. يقال: امرأة وُلوة: إذا أحببت حتى جُنت، أو إذا ثكلت؛ فحزنت حتى جُنت. قال ابن منظور: «الولة: الحزن. وقيل هو ذهابُ العقل والتحيرُ من شدة الوجد، أو الحزن أو الخوف. والولة: ذهاب العقل لفقدان الحبيب... [و] ناقة ميلاه: هي

(١) «لسان العرب»: مادة (أله) (١٣/٤٦٩)

(٢) «المفردات في غريب القرآن»: مادة (أله) ص (٨٣).

التي فقدت ولدها فهي تَلَهُ إليه. يقال: وَلَهَتْ إليه تَلَهُ أي تَحَنُّ إليه... وناقاة وَالَهُ: إذا اشتدَّ وَجَدُهَا على ولدها»<sup>(١)</sup>.

وهكذا فأنت ترى أن مدار المادتين (أله) و(وله) هو على معانٍ قلبية، ترجع في مجملها إلى التعلق الوجداني والامتلاء بالحب، فيكون قول المؤمن: «لا إله إلا الله» تعبيراً عما يجده في قلبه من تعلق بربه - تعالى -، أي لا محبوب إلا الله، ولا مرهوب إلا الله، ولا يملأ عليه عمارة قلبه إلا قصد الله. إنه أشبه ما يكون بذلك الفصيل الصغير الذي ناح شوقاً إلى أمه، إذا أحس بالفراق، ووحشة البعد.

إن المسلم إذ (يشهد) أن لا إله إلا الله، يقر شاهداً على قلبه أنه لا يتعلق إلا بالله رغبة ورهبة وشوقاً ومحبة. وتلك لَعَمْرِي (شهادة) عظيمة وخطيرة؛ لأنها إقرار واعتراف بشعور لا يدري أحدٌ مصداق ما فيه من الصدق إلا الله، ثم الشاهد نفسه. ومعاني القلب لا تُحَدُّ بعباراتٍ، ولا تحصرها إشارات. ومن هنا كانت شهادة أن «لا إله إلا الله» من اللطافة بمكان؛ بحيث لا تُدْرِك على تمام حقيقتها إلا ذوقاً.

قال ابن القيم - رحمه الله -: «إن محبة العبد لربه فوق كل محبة تقدر، ولا نسبة لسائر المحابِّ إليها، وهي حقيقة: (لا إله إلا الله!)»<sup>(٢)</sup> إلى أن يقول في نص نفيس تُشدُّ إليه الرحال: «فلو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان، ولتعطلت منازل السير إلى الله؛ فإنها روح كل مقامٍ ومنزلةٍ وعملٍ. فإذا خلا منها فهو ميت لا روح فيه. ونسبتها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها، بل هي حقيقة الإخلاص، بل هي نفس الإسلام: فإنه الاستسلام بالذل والحب

(١) «لسان العرب»: مادة (وله) (١٣/٥٦١، ٥٦٢)

(٢) «مدارج السالكين»، لابن القيم (٣/١٨).

والطاعة لله؛ فمن لا محبة له؛ لا إسلام له ألبتة. بل هي حقيقة شهادة: أن لا إله إلا الله؛ فإن (الإله): هو الذي يألهه العباد حبًا وذلًا، وخوفًا ورجاءً، وتعظيمًا وطاعة له، بمعنى (مألوه): وهو الذي تألهه القلوب. أي تُحبه وتَدُلُّ له؛ فالمحبة: حقيقة العبودية»<sup>(١)</sup>.

ذلك أن معنى (الإسلام) هو الخضوع لله رب العالمين، والاستسلام لأمره - تعالى -. إنه الاعتراف الوجداني، أي التعبير العملي عن الشعور الحقيقي الذي يلامس القلب عندما يدرك العبد و(يجد) أنه (عبد) لسيد هذا العالم العظيم. وحقيقة كون المسلم عبدًا هي الحقيقة التي تغيب عن أكثر المسلمين؛ فيحدث بسبب ذلك الانحراف بشتى ألوانه وأشكاله.

إن (العبد) مسلوب الإرادة، ليس بالمعنى الكلامي ولكن بالمعنى الوجداني، أعني: أن تجدَ الشعور بأنك - أيها المسلم - ملكٌ لله الواحد القهار، تدور في فلك العبودية والخدمة كما تدور الكواكب في الأفلاك: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُوتِيَهُمُ الْخَسِرُونَ﴾ [الزمر: ٦٣]، وتلك هي مدارات لفظ (عبد) في اللغة: إنها لا تخرج عن معاني الذلة والخضوع والخنوع والانقياد، كما تنقاد الأنعام المذللة لمالكيها رغبة ورهبةً انقيادًا لا تشنج فيه ولا تفلت.

والعبد لا يكون إلا في باب الخدمة بين يدي مولاه، واقفًا على العتبة ينتظر الأمر والنهي بشوق المحب، ليبادر إلى التنفيذ دون سؤال: علامَ ولِمَه؟ ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، إنه الرب المحبوب الأعظم،

(١) «نفس المصدر» (٢٦/٣).



المرغوب المرهوب، رب الكون والخلق أجمعين. يمكنك أن تُعرّف عقيدة الإسلام في نهاية المطاف، فتقول: إنها ميثاق المحبة بين الله وعباده.

وحيثما نقول (المحبة) فهي بمفهومها القرآني، لا ما ذهبت إليه طوائف من الغلاة من هذا الاتجاه أو ذاك ممن قالوا بها، فأبطلوا كل منازل الإيمان من خوف ورجاء؛ فأنهى بهم الأمر إلى دعاوى عريضة يتشدقون بها ما أنزل الله بها من سلطان، كلا! بل لا تقوم المحبة بقلب العبد الصادق إلا على جناحي الخوف والرجاء، وما تفرّع عن ذلك من معاني الرّغْب والرّهب، والقرآن العظيم والسّنة النبوية واضحان في هذا غاية الوضوح. ولا يزيغ عنهما إلا جاهل أو صاحب هوى، والمحب الحقيقي الصادق يخاف من الحرمان، ويخشى من العقوبة بقدر ما يرجو ويشتاق؛ فإذا جرّد المحبة عن الخوف والرجاء كان من الكاذبين، كيف لا؟ ورب العالمين يقول عن صفوة من أنبيائه ورسله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وهذا محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سيد الأولين والآخرين يعلنها في الأمة: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له!» وفيه <sup>(١)</sup> قال: «فمن رغب عن سنتي فليس مني» <sup>(٢)</sup>.

ألا وإن أي انحراف عن هذه السبيل لا يكون إلا جهلاً بالدين، أو زيغاً من الضلال المبين.

فعلى هذا الوِرَآنِ إذن؛ نقول: إن عقيدة الإسلام قائمة على المحبة، بل إنها ميثاق المحبة؛ وبذلك المعنى كانت تفيض بأنوار الجمال ومباهج الجلال؛

(١) أي: في نفس الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (٩٠، ٨٩/٩) ومسلم رقم [١٤٠١].

ولذلك يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله - تعالى - قد حرّم على النار من قال: «لا إله إلا الله» يتغني بذلك وجه الله»<sup>(١)</sup>، أكلمة واحدة تلتفظ بها فتدخل الجنة؟ نعم! ولكن.. إنها ليست بكلمة ولا كلمات؛ إنها توجّه قلبي وميل وجداني، إنها مسألة (حب)، وإن من أحب الله أحبه الله، ومن أحبه الله وفقه إلى عبادته وطاعته. إنها حقيقة جميلة وعظيمة، وإن عدم إدراكها ذوقًا ووجدانًا قد كان سببًا في تضييع معاني الدين، وانحراف كثير من الناس عن منهاجه المستقيم. ولقد نُهتُ شخصيًا عن هذا المعنى زمنًا!

ولي في هذا الشأن قصة أذكرها لعل فيها ما ينبئ عما تعانیه حركة التدين في المجتمع اليوم، عسى أن تتمكن من تشخيص مكمّن الداء.

وذلك أني في فهمي للدين عمومًا، وللعقيدة منه خصوصًا، مررت بثلاث مراحل: المرحلة الأولى هي التي ورثتها عن بيئتي الإسلامية التقليدية؛ حيث كان الدين بالنسبة لي سلوكًا خاصًا بالشيوخ، وكأنما هو على طائفة الشباب نفل وتطوع، ثم إن معنى «لا إله إلا الله» كان أقرب عندي إلى الشعار منه إلى (الشهادة)! فلم أكن أفهم منها أكثر من مجرد كونها عنوان الدخول إلى الإسلام، واكتساب صفة (مسلم)، كما هي عند سائر الناس. لكن هذا المعنى - والحمد لله - لم يدم في تصوري طويلًا؛ فقد انتبعت في مرحلة الشباب الأولى إلى شيء اسمه (الحركة الإسلامية)؛ وذلك بسبب ما كان يصلني عنها من أصدقاء وصراعات، خاصة في الصف الطلابي بالجامعة! وأنا آنئذٍ ما أزال تلميذًا بالصف الثانوي.

---

(١) رواه البخاري رقم [٤٢٥]، [١١٨٦]، [٥٤٠١]، ومسلم رقم [٣٣] [٢٦٣].

فكانت تلك إذن هي المرحلة الثانية في حياتي الدينية، وبحلولها زالت الصورة الأولى التقليدية من ذهني، وأبدلتها بما صرت أتلقيه من أدبيات إصلاحية، ومقولات دعوية جديدة، مثل: (الإسلام دين ودولة، ومصحف وسيف.. إلخ). ثم بدأ الوعي يتطور في الاتجاه نفسه، إلى تقرير أن «لا إله إلا الله» منهج حياة! وأن (الحاكمية لله)، وهكذا بدأ الوعي الديني يتسع في وجداني شيئاً فشيئاً، حتى انخرطت في حركة الوعي الإسلامي عاملاً بهذه المفاهيم مجاهداً في سبيلها.

لكنني أصدقكم القول: لقد مر عليّ دهر وأنا أعمل على هذه التصورات، دون أن أجد للدين لذة في وجداني؛ هذه هي الحقيقة. إنني لا أتهم تلك التصورات بالقصور، كلا؛ فما زلت أؤمن بأن الإسلام مصحف وسيف، ودين ودولة! وأن «لا إله إلا الله» منهج حياة بالفعل. وما أحسب أن ذلك يخالف فيه أحد من المسلمين الصادقين. ولكن.. كانت ظروف التلقي سيئة للغاية. لقد انفتح وعيي الجديد هذا على مرحلة (رد الفعل غير المتوازن) في تاريخ الأمة المعاصر، فكان أن تلقيت كل التصورات الجديدة في سياق مواجهة الغرب، ومقاتلة العَلَمانية، ومدافعة الماركسية؛ ومجاهدة الطغيان السياسي، والظلم الاجتماعي؛ فاكسبت من صفات المحامي كثيراً، بيد أنني لم أكتسب من سلوك المؤمن إلا قليلاً، فعشتُ مع الناس أكثر مما عشتُ مع الله؛ لأن هذه الظروف جعلتني أفهم عقيدة «لا إله إلا الله» في سياق واحد ووحيد: هو أن (الحاكمية) إنما هي لله. وبدالي زمناً أن ما سوى تصحيح قضية الحكم والتشريع في الدولة جزئيات من الدين، لا تستحق أي اهتمام! وكانت لنا أنشطة في هذه الاتجاهات، فبدأت ألاحظ أن معي على الجبهة الواحدة، من يخطب الليل كله، ولا يصلي لله فريضة واحدة في وقتها! فإن فعَل فبلا خشوع ولا طمأنينة، ينقرها نقر الغراب. لقد تعلمنا شهوة

الكلام. نعم! اتبعنا الشهوات وأضعنا الصلاة إلاً قليلاً. وبدأتُ أرى الآفات الخطيرة تعصف بالصف الإسلامي: العُجب، وحب الرياسة، والتصدر أمام وسائل الإعلام. ورأيتُ بأم عيني أن هناك فتنة أخرى، لم أعرفها من قبل: هي فتنة (الكاميرا)، أو فتنة (الميكروفون) كما سماها بعض الظرفاء! ورأيتُ رقة في الدين تجتاح الصفوف المتدينة كالوباء الفتاك، وسقوطاً هنا وهناك، يتتابع بين الإخوان والأخوات على السواء!

المنادي ينادي للصلاة: حيّ على الصلاة! حيّ على الفلاح! وخطاب الواجهة الفاتنة المفتونة مستمر كأنه لا يسمع شيئاً. وضربت الصفوف الدينية آفات المجتمع المريض، من رعونة وتحلل خلقي، وانسياق وراء كثير من مغريات الحياة الدنيا وفتنتها. وبدأتُ أسأل نفسي متهمًا إياها: أي دين هذا؟ وأي صلاح هذا؟ وبدل أن يتنافس شباب الصحوة الإسلامية حول منازل العلم، ومقامات التقوى والورع، بدؤوا يتنافسون حول حدود الشبهات، ويتبارون أيهم أقدر على الرعي حول الحمى دون أن يقع فيه! زعموا...! وانطلق السباق نحو الهاوية. أين المشكلة إذن؟

هذه هي البرامج التربوية تترى تأليفاً وتنظيراً، وهذه هي المطبوعات التصويرية تتواتر، ولكن بلا جدوى، وبلا فائدة؛ فإنها جميعها تبقى على رفوف مقرات الحركات ومكاتبها موقرة إلى إشعار آخر؛ فأين الخلل؟ ولطالما وُضع هذا السؤال، ولكن أين من يتابعه؟

وبقي الأمر بالنسبة لي غامضاً، حتى لقيتُ بعض أساتذتي الأجلاء، ممن تتلمذت عليهم، وأخذت عنهم علم الدعوة وعلم البحث العلمي، فكانت لي معه جلسة مذاكرة حول بعض مفاهيم القرآن الكريم، وتحدثنا عن بعض النماذج من

بينها مفهوم (الإله) في القرآن الكريم، فنبهني إلى الأصل اللغوي لهذه العبارة، من أنه راجع إلى معنى قلبي وجداني، وذكر لي شيئاً من الدلالة اللغوية على المحبة، مما بينته قبل قليل، فكانت بالنسبة لي مفاجأة حقيقية، لا على مستوى الفهم فقط؛ ولكن على مستوى الوجدان والشعور.

نعم! أذكر أنني قرأت مثل هذا قبل ذلك بكثير، ولكن اندماجي الكلي في تصوراتي الأخرى، وانغلاقي على (توحيد الحاكمية) إن صح التعبير، أعماني عن مشاهدة (توحيد المحبة!) الذي هو الأصل، والمفتاح الحقيقي لتوحيد الإلهية، والذي منه تفرعت فروع شتى منها توحيد الحاكمية نفسه. لقد جعلتُ الجزء محلّ الكل، وجعلتُ الفرع محلّ الأصل؛ وعشت في فهمي متناقضاً. فسرتُ في تديني مختلاً كسائر المختلين؛ حتى منّ الله باللحظة التي انتقلت خلالها إلى مرحلتي الجديدة: حيث بدأت المراجعة في حياتي كلية، واكتشفت حقيقة أن هناك شيئاً اسمه (حلاوة الإيمان)، ذوقاً لا تصوراً! وحقيقة لا تخيلاً! ثم بدأت أعود إلى القرآن.. فوجدت أنني كنت بعيداً جداً عن بشاشته وجماله، وبدأت أعود إلى السنة؛ فوجدت أنني كنت أجهل الناس بأخلاق محمد - عليه الصلاة والسلام -.. وبدأت أراجع ما قرأته عن العقيدة، فوجدت صفحات مشرقة مما كتب السلف الصالح، قد مررت عليها مروراً الأعمى - لا مرور الكرام - بسبب ما غطى بصري من فهوم سابقة حتى كأنني لم أقرأ قط.

قلت: لم تكن مفاجأتي علمية بقدر ما كانت وجدانية! لقد كنت أقرأ عبارات «المحبة، والشوق، والخوف، والرجاء»، ولكن دون أن أجد لها شيئاً من نبض الحياة بقلبي.

فمثلاً هذا كتاب (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد)، للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب - وهو خلاصة للعقيدة السلفية - قد خُصَّتْ به معاركٌ ضد أهلي وعشيرتي زمنًا، وأنا أقرب إلى المراهقة يومئذٍ مني إلى الشباب؛ ولقد ظللت أحارب به البدع والضلالات والمنكرات، في الاعتقاد والعبادات، اقتداءً بشيخ شيوخنا العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي - رحمه الله -؛ بيدَ أنني كنت ألحظ أن كثيرًا من هؤلاء (المبتدعة) هم أفضل مني حفظًا للصلاة وأوقاتها! إنني لا أتهم الكتابَ المذكور، ولكنني أتهم نفسي ومنهجني في القراءة والاستعمال. لقد كانت العقيدة السلفية عندي عصًا من خشبٍ أصمَّ أضرب بها غيري.. ولم أدرك أنما هي تربية ورحمة للعالمين. وإنني لأعجب كيف لم أنظر إلى هذا المعنى من قبلُ في الكتاب المذكور؟

**عجبا!**.. أين كنت أنا إذن من مثل هذا الكلام؟ (السكون إلى حب الله.. الذي تأله القلوب) أهي عقيدة قلبية وجدانية إذن؟ وهو إجماع من العلماء؟ أي عمى هذا الذي ركضت وراءه في نقع الخصومات والجدالات التي لا تغني ولا تسمن من جوع؟ وهذا قلبي ظل فارغًا من عبادة الحب وأذواق التعبد. أليس ذلك هو الضلال المبين؟ لقد أسأت زمنًا طويلًا في فهم عقيدة السلف الصالح.

لقد رسخ في ذهني - بعد المشاهدة والمعينة للآثار السلبية التي ترتبت عن التكوين العقدي القائم على نفسية ردود الأفعال المتشنجة، وعقلية التفتيش المذهبي - أننا في حاجة ماسة ومستعجلة؛ لإعادة قراءة عقيدة السلف الصالح من مصادرها الأولى، وإلى إعادة قراءة أعلامها الكبار الذين تميزوا في التاريخ الإسلامي بالريادة والقيادة، وأسهموا في بناء صرح الأمة وتجديد حياتها،

كالأئمة الأربعة أبي حنيفة، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، ومن جاء بعدهم من المتميزين في هذا السياق، مثل حافظ المغرب أبي يوسف عمر ابن عبد البر، ومجدد زمانه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.. إلخ.

هؤلاء وأضرابهم جميعاً، وقع خطأ منهجي كبير في قراءتهم. لقد كان الفكر السلفي المعاصر - في بعض تجلياته - إذ يقرأ تراثهم إنما يقرؤه - في كثير من الأحيان - بمنهج تجزيئي إسقاطي.

فأما كونه تجزيئياً؛ فلأنه كان يقرؤه بعين واحدة، فلا يرى من حقيقته إلا ما تتيحه له تلك الرؤية الجزئية المحدودة، فلا يتصور حقيقته في شموليته الكلية. فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية مثلاً، لا تصوره كثير من المصنفات المعاصرة إلا شخصاً مقاتلاً محارباً متخصصاً في تفصيل مذاهب أهل النار، دون مذاهب أهل الجنة؛ فكل من أراد أن يصمَّ شخصاً بصكِّ الجحيم، فما عليه إلا أن يُخرج عليه سيفَ المقولة المشهورة. (قال شيخ الإسلام ابن تيمية)، وكأن ابن تيمية - رحمه الله - ما خلقه الله إلا للاستشهاد به على أهل الضلال وحسب؛ وكأنما تحولت نصوصه وفتاواه إلى مجرد صكوك اتهام، تُقرأ على الضحية عند تنفيذ حكم الإعدام.

أين ابن تيمية الداعية إلى الله؟ أين ابن تيمية المربي؟ وأين ابن تيمية السالك إلى مولاه عبر منازل الخوف والرجاء، والشوق والمحبة؟ وأين ابن تيمية صاحب الأذواق الإيمانية والأحوال السَّنية؟.. ولقد حفلت كتبه وفتاواه بمعاني (الجمالية)، ومقاصد (الربانية) في الدعوة والتربية والتعليم، مما يصعب - لغزارته - حصره واستقصاؤه، كما أن تلميذه الإمام الرباني ابن القيم - رحمه الله - قد حكى عنه من ذلك الشيء الكثير! فأين ضاع ذلك كله؟

وأما كونه إسقاطياً، فلأنه تم استعمال ابن تيمية للتعبير عن مشكلات العصر النفسية والسياسية بصورة حرفية! فُفسِّرت نصوصه بما تقتضيه حالة رد الفعل النفسي والاجتماعي - بصورة غير متوازنة - عن ظروف الظلم السياسي، ومظاهر الخلاف العقدي والمذهبي، بين طوائف وجماعات، ودول وتحالفات! وتم إسقاط زماننا على زمانه - رحمه الله -، وإلباس أحوالنا لأحواله دون مراعاة الفروق بين الثوابت والمتغيرات، سواء منها ما تعلق بالنصوص أو بتحقيق المناطات<sup>(١)</sup>؛ وفي ذلك ما فيه من الشطط العلمي والانحراف المنهجي.

ولذلك فقد تمت عملية (إخراج) سيئة لشخص ابن تيمية - لدى بعضهم - على أنه شخص لا ذوق له ولا وجدان؛ وإنما هو السب والشتم واللعان، وما أبعد شيخ الإسلام - رحمه الله - عن ذلك وأبرأه!

ولو تتبع متتبع نصوص فتاواه ومؤلفاته جميعاً، لجمع من مشاهد الجمالية وأذواقها عنده في الدين والتدين الشيء الكثير، ولولا أن نخرج عن غرض هذا المقال لعرضنا من نصوصه مواجيداً وأذواقاً وأحوالاً راقاً، ولكن لك أن تقرأ من ذلك هذه الإشارات، فقد تحدث - رحمه الله - عن أحوال المؤمن لدى سماع القرآن الكريم، وذلك في سياق ذكر (السماع) بمعناه الشرعي، وأورد فيه آياتٍ وأحاديثٍ، ثم قال: (وهذا كان سماع سلف الأمة، وأكابر مشائخها، وأئمتها، كالصحابية والتابعين، ومن بعدهم من المشائخ كإبراهيم بن أدهم، والفُضَيْل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، ويوسف ابن أسباط، وحذيفة المرعشي، وأمثال هؤلاء.. وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول لأبي موسى الأشعري: يا أبا موسى! ذكّرنا ربّنا! فيقرأ،

(١) تحقيق المناط: هو نظر الفقيه في تحقق (العلة) في (الفرع) أو عدم تحققها، وهو من مباحث (العلة)، تجد تفاصيله عند كلام الأصوليين عن (القياس).



وهم يسمعون ويبيكون. ولهذا السماع من المواجيد العظيمة، والأذواق الكريمة، ومزيد المعارف، والأحوال الجسيمة، ما لا يتسع له خطاب، ولا يحويه كتاب. كما أن في تدبر القرآن وتفهمه؛ من مزيد العلم والإيمان، ما لا يحيط به بيان.

قال الشارح<sup>(١)</sup> - رحمه الله - في سياق ذكر كلام العلماء في معنى **«لا إله إلا الله»**: «وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الإله هو المعبود المطاع؛ فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يُعبد. وكونه يستحق أن يعبد هو: بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع، قال: فإن الإله هو المحبوب المعبود الذي تأله القلوب بحبها،... وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده. ولهذا كانت **«لا إله إلا الله»** أصدق الكلام، وكان أهلها أهل الله وحزبه؛... فإذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يصححها العبد؛ فالفساد لازم له في علومه وأعماله.

وقال ابن القيم: (الإله) هو الذي تأله القلوب محبةً، وإجلالاً، وإنابةً، وإكراماً، وتعظيمًا، وذلاً، وخضوعاً، وخوفاً، ورجاءً، وتوكلاً.

وقال ابن رجب: (الإله) هو الذي يُطاع فلا يُعصى، هيبته له وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه...

وقال البقاعي: **«لا إله إلا الله»**: أي انتفاءً عظيمًا أن يكون معبودٌ بحق غير الملك الأعظم؛ فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة...

---

(١) يعني: الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ - رحمه الله - صاحب كتاب «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد».

وقال الطيبي: «الإله»: فعال بمعنى مفعول، كالكتاب بمعنى المكتوب، من أله إلهةً، أي: عبدَ عبادةً.

قال الشارح: وهذا كثير في كلام العلماء وإجماع منهم<sup>(١)</sup>.

«ومما ينبغي التفطن له أن الله - سبحانه - قال في كتابه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]؛ فيبين - سبحانه - أن محبته توجب اتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وأن اتباع الرسول يوجب محبة الله للعبد، وهذه محبة امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله؛ فإن هذا الباب تكثر فيه الدعاوى والاشتباه؛ ولهذا يُروى عن ذي النون المصري أنهم تكلموا في مسألة المحبة عنده؛ فقال: «اسكتوا عن هذه المسألة؛ لئلا تسمعها النفوس فتدعيها».

... وكان المشائخ المصنفون في السُّنة يذكرون في عقائدهم مجانيةً من يكثر دعوى المحبة، والخوض فيها من غير خشية، لما في ذلك من الفساد الذي وقع فيه طوائف من المتصوفة.

وما وقع في هؤلاء من فساد الاعتقاد والأعمال أوجب إنكار الطوائف لأصل طريقة المتصوفة بالكلية، حتى صار المنحرفون صنفين: صنف يُقر بحقها وباطلها، وصنف ينكر حقها وباطلها! كما عليه طوائف من أهل الكلام، والفقهاء والصواب: إنما هو الإقرار بما فيها وفي غيرها من موافقة الكتاب والسُّنة، والإنكار لما فيها وفي غيرها من مخالفة الكتاب والسُّنة<sup>(٢)</sup>.

فأي جمال هذا وأي إحسان؛ وأي فقه هذا وأي ميزان!

ألا رحم الله شيخ الإسلام!

(١) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، لعبد الرحمن آل الشيخ (٥٣، ٥٤).

(٢) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١٠ / ٨١، ٨٢).

## الإسلامُ اللهُ

### (٢٤) ميرغزة الربية وطوبى للبربر

(الحرية) كلمة جميلة تأخذ بالألباب، ومقصد سام يسعى كل عاقل إلى تحقيقه، إنها كلمة رنانة محببة إلى النفس، لها عذوبة في الأفواه، ولذة في الأسماع، تهتز لذكرها النفوس الأبية، ويتألم الأحرار لفقدائها، الحرية عند بني الإنسان أنشودة لم ينقطعوا عن ترديدها عبر الزمان، تغنى بها الشعراء، ونادى بتحقيقها المصلحون ورجالات الأمم، ووُضِعَت المخططات للحصول عليها والتخلص من أسر العبودية، وبذلت الأمم في سبيل تحصيلها الأموال والأرواح، وجعلت اليوم الذي حصلت فيه عليها عيداً، ومهما قلبت صفحات التاريخ، ونظرت في حياة الشعوب فإنك لن تجد أمة تستعذب طعم العبودية، وتمقت الحرية.

ولكنَّ دائرة العبودية التي يهرب منها البشر دائرة ضيقة، يظنون أنهم إن تخلصوا منها فقد تحرروا، وواقع الأمر ليس كذلك، فتراهم يرسفون في قيود العبودية المقيتة وهم لا يشعرون، ويحتفلون بأعياد الحرية وهم غرقى في أسر العبودية.

إن العبودية التي يمقتها الناس هي التي تجعل الإنسان مملوكاً لغيره بحيث يُصبح متاعاً يُباع ويُشترى لا يملك أمر نفسه، ويُعَدُّ البشر من العبودية والهوان أن تستذلَّ دولةً دولةً، وجماعة جماعة، وأمة أمة.

ولم تزل التجمعات البشرية في مختلف العصور يبغى بعضها على بعض فيستعبد القوي الضعيف، ويقهر الغالب المغلوب، ويسخره في مصالحه، ويأخذ ثمرة تعبهِ، وخير أرضه، وقد يصل قهر الأقوياء إلى حد ذبح الرجال والأطفال،

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ  
وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤].

والعالم المعاصر لم يتخلص من هذه اللعنة، وإن كان يغلفها بغلاف جميل براق، فالأمم القوية في هذا العصر استعبدت الأمم الضعيفة باسم التمدن والتحضر والأخذ بيد هذه الأمم الضعيفة، وقد أصابنا نحن المسلمين هذا البلاء، فقد تجمع علينا أعداؤنا، فحطموا دولة الخلافة العثمانية، وقسموا الديار الإسلامية، وامتصوا خيراتنا، وقتلوا رجالنا، وأذلونا أيما إذلال، ولا يزال الظلم يحيق بنا في كل مكان حللنا فيه، ومآسي المسلمين في فلسطين وأفغانستان والفلبين والعراق، والبوسنة والهرسك، شاهدة على هذا البلاء.

وهذا النوع من استعلاء البشر يرفضه من أصابهم ويجاهدون في سبيل الخلاص منه، وإن رضيه ضعاف النفوس الذين استمرؤوا الظلم، ورضوا بمعيشة الهوان<sup>(١)</sup>.

قَهْ هَهُ يَلْغَكْ عَهْقَهِيهْ غَلِيكْ      قَهْ لِيكْ ظَفِيهْ هَهُ عَهْفَهْ

### تفاوت الناس في فهمهم للحرية:

الحرية كلمة واحدة، لكن فهمها الناس بصور متعددة<sup>(٢)</sup>، ولذلك استعملت في غير معناها الحقيقي، واستُغلت كشعار براق تُزَيَّن به مذاهب فكرية، ونظم سياسية، واجتماعية، وجعلته الماسونية أحد مبادئها، ورفعتة الثورة الفرنسية شعارًا لها.

(١) انظر: «أثر الإيمان في تحرير الإنسان» للدكتور عمر الأشقر - حفظه الله - ص (٥-٧).

(٢) الحرية من أوسع المفاهيم الإنسانية، وأكثرها تعريفًا، وقد ذكر بعض الباحثين أن لها أكثر من مائتي تعريف، انظر «حقيقة الليبرالية» للدكتور عبد الرحيم السلمي هامش ص (١٢٣)، وقد قال مونتيسكيو في كتابه «روح القوانين»: «ليس هناك لفظ تلقى من الدلالات المختلفة أكثر مما تلقاه لفظ الحرية» انظر: «نقد الليبرالية» للدكتور الطيب بو عزة ص (١٣٨).

وحاولت (الوجودية) تعريف الحرية بأن لا يكون هناك جهة تفرض على الإنسان أي قيد، لأن هذا في زعمها يعني عدم الاختيار.

وحاول بعضهم تقييدها برفع شعار: «أنت حر ما لم تضر»، وقالوا: «القيد الوحيد الذي يَرِدُ على حرية الفرد هو التعارض مع حرية الآخرين، وما عداه من قيود إهدار للحرية».

وهذا القيد يهدم مبدأ: «إن الحرية غير قابلة للتقييد»، ومع ذلك قد تبين أن هذا القيد وحده لا يكفي لتحقيق الحرية الحقيقية التي يتطلع البشر إليها، بل إنه يدمر الحرية، فليس للإنسان أن يتبع هواه بغير هدى من الله، وكما أن الإنسان يجب عليه أن لا يؤذي الآخرين؛ فكذلك ليس من حقه أن يؤذي نفسه، واتباع الهوى بغير هدى من الله - وإن كان ظاهره أنه لا يعارض حرية الآخرين أحياناً - بيد أنه في الواقع يخرق سفينة المجتمع، ويستدعي حصول العذاب العام<sup>(١)</sup>، ومن أجل ذلك شرع الإسلام الحدود والتعزيرات، وأمرنا بالأخذ على يد السفية امتثالاً لقوله - تعالى -: ﴿ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع (وفي رواية: والراتع) فيها، [والمُدَّهن فيها]، كمثل قوم استهموا على سفينة [في البحر]، فأصاب بعضهم أعلاها، و[أصاب] بعضهم أسفلها [وأوعرها]، فكان الذي (وفي رواية: الذين) في أسفلها إذا استقوا من الماء فمروا على من فوقهم [فتأذوا به]، وفي رواية: فكان الذين في أسفلها

(١) انظر: «السنن الاجتماعية» للدكتور محمد أمحزون (٣/ ٤١٥ - ٤٣٠)، و«السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية» للدكتور عبد الكريم زيدان ص (٢٠٦ - ٢٠٩)، و«أسباب هلاك الأمم» للشيخ عبد الله التليدي ص (٢٣ - ٢٥).

يصعدون فيستقون الماء، فيصبون على الذين في أعلاه، فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا)، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً [فاستقينا منه] ولم نؤذ من فوقنا، (وفي رواية: ولم نمر على أصحابنا فنؤذيهم)، [فأخذ<sup>(١)</sup> فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: ما لك؟ قال: تأذيتم بي، ولا بد لي من الماء]، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا وأنجوا جميعاً<sup>(٢)</sup>.

وعن أم المؤمنين زينب - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم -: دخل عليها فرحاً يقول: «لا إله إلا الله، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا» قالت: فقلت يا رسول الله: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قال: «نعم إذا كَثُرَ الْخَبْثُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أي: أحدهم.

(٢) رواه البخاري [٢٦٨٦]، والترمذي [٢١٧٣]، والبيهقي في «السنن» (٩١/١٠)، وفي «الشعب» [٧٥٧٦]، والإمام أحمد [١٨٣٦١]، [١٨٣٧٠]، وانظر: «السلسلة الصحيحة» رقم [٦٩].

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٢١/٣) [٣١٦٨]، (١٣١٧/٣) [٣٤٠٣]، (٢٥٨٩/٦) [٦٦٥٠]، ومسلم (٢٢٠٧/٤) [٢٨٨٠]، (٢٢٠٨/٤) [٢٨٨٠].

## الفهم المقدم للعبودية

الطريق إلى الحرية الحقيقية واحد لا ثاني له، ألا وهو العبودية لله - عز وجل -، كما بينه الله - تعالى - القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]. إن الحرية الحقيقية هي التحرر من عبادة غير الله، وإفراد الله - سبحانه - باستحقاق العبودية، وهذا هو معنى «لا إله إلا الله»: الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله.

إن (الكلمة المقدسة) التي هي (صرخة الحرية) تبدأ بثورة ماثلة في شق النفي: «لا إله» التي تعني الكفر بكل ما عُبد من دون الله، قال - عز وجل -: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ (١) وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال - تبارك وتعالى -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وهو نفس ما صرَّح به خليل الرحمن - عليه السلام - حين خاطب قومه قائلاً: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦١﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

(١) الطَّاغُوت: مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، ويُطلق على الشيطان والكُهان، وكل ما عُبد من دون الله، وقد حدَّه الإمام ابن القيم - رحمه الله - حدًّا جامعًا، فقال: «الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حدَّه، من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم: من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله» اهـ. بواسطة النقل من «العقائد السلفية» للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي هامش ص (٤٤).

إن الإنسان فقير بذاته يتطلع بفطرته إلى الخضوع والذل و(العبودية) لخالقه  
وفطره الغني بذاته:

وعهننق وكذقعغ قيهي ذغغيفع نهع عهل هو ظغغيفع وكذغغيفع  
فمن ثم لا يستقيم حاله، ولا يطمئن قلبه، إلا إذا آوى إلى مولاه، وطرح نفسه على  
عتبته، وأمعن في العبودية الخالصة له دون سواه، إذ إن هذه (العبودية) هي أرقى مراتب  
الحرية، لأن العبد إذا تذل إلى مولاه وحده فإنه يتحرر من كل سلطان، فلا يتوجه قلبه،  
ولا يطأطأ رأسه إلا لخالق السماوات والأرض.

ولابد للإنسان من (العبودية) فإن وضعها موضعها، وإلا تلتخ بالعبودية لغير  
الله - تعالى - من الأنداد والشياطين، والمسلم يتحرر بإسلامه من سيطرة الهوى والشهوة،  
والسلطان الذي يسيطر عليه هو سلطان الدين الحنيف، قال - تعالى -: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ  
مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]، إذن هي  
حرية في صورة العبودية، ولا يمكن للبشرية أن تتحرر حقاً إلا بتحقيق هذه العبودية.

إن الحرية في غير الإسلام تصبح جوفاء لا معنى لها، بل هي العبودية المذلة المهينة،  
وإن بدت في صورة الحرية، إن الخضوع للطواغيت والمناهج والقوانين التي بُنيت على  
ما تهواه الأنفس بعيداً عن تشريع الخالق - جل وعلا - إنما هو عبودية لغير الله، وأيُّ  
عبودية؟!!

مقغوعهه عهقن عهقيفهن وعهه قةة غغغغ غغغغ غغغغ وعههق وعههق وعههق وعههق

وقال الشاعر:

\* وقن قويد عاكه على قن ههههف \*

وقيل: «عبد الشهوة أذل من عبد الرق».



ومن ذلَّ وخضع لغير الله؛ فقد انتقص من حرية نفسه، بمقدار خضوعه  
وذلته لغير ربه - عزَّ وجلَّ - .

«إن مفهوم العبودية لله في الإسلام يعني الحرّية في أرقى صورها وأكمل  
مراتبها، العبودية لله إذا كانت صادقة تعني التحرر من سلطان المخلوقات والتعبد  
لها، فالمسلم ينظر إلى هذا الوجود نظرة صاحب السلطان، فالله خلق كل ما فيه  
من أجلنا، وسخره لنا: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾  
[الجاثية: ١٣].

وما دام الأمر كذلك فالمسلم لن يخضع لهذه المخلوقات، ولن يقصدها؛  
لأنها أقل منه شأنًا، فهي مخلوقة لنفعه وصلاحه.

والمسلم لن يستعبده إنسان مثله، فالناس جميعًا عبيد الله، فإن حاول بعض  
المتمردين من بني الإنسان أن يطغى ويبغي - وقف المسلم في وجهه يقول كلمة  
الحق، ويذكّر هؤلاء بأصلهم الذي منه خلّقوا، ومصيرهم الذي لا بدّ لهم منه،  
ويذكّر هؤلاء بضعفهم وعجزهم، علّمهم فيفتقون ويرجعون، وبالعبودية لله يتحرّر  
الإنسان من أهوائه، فالهوى شرٌّ وثنٍ يُعبد: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾  
[الفرقان: ٤٣] فالهوى قد يُجعل إلهاً معبودًا يسيطر على نفس صاحبه، فلا يصدر  
إلا عن هواه، ولا يسعى إلا لتحقيق ما يبعثه إليه، والإسلام يعتبر الخضوع لأهواء  
النفس التي تدعو إلى المحرمات والآثام عبودية لهذه الأمور، أمّا التسامي عمّا  
تدعو إليه النفس من المحرّمات - وإن كانت محبوبة للنفس - فإنه يمثل في  
الإسلام الحرية الحقّة، لأنّه وإن قيدت حرّيته من جهة، بأن ألزم بترك بعض ما  
يشتهي، إلاّ أنّه تحرّر من سلطان الهوى من جهة أخرى.

والذين يزعمون أنهم يستطيعون تحقيق الحرية بعيداً عن الله ومنهجه مخطئون، لأنَّ الإنسان، بل كل مخلوق، سيبقى عبداً شاء أم أبى، إلاَّ أنَّه إن رفض الخضوع لله اختياراً؛ فسيخضع لمخلوق مثله، لا يملك له نفعاً ولا ضرراً، بل قد يخضع لمن هو أقل منه شأنًا، وبذلك يكون قد استبدل عبودية بعبودية، ولم يخرج من العبودية إلى الحرية، بل خرج من عبودية الله إلى عبودية الطاغوت، وثناً، أو صنماً، أو بشراً، أو شمساً، أو قمرًا...، وقد ذمَّ الله كلَّ من كانت هذه صفته قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ [المائدة: ٦٠]، فمما ابتلاهم به جزاء تكذيبهم أن جعلهم عبيداً للطواغيت بعد أن كانوا عبيداً لله.

وفي هذه الأيام تتردَّد كلمة الحرية، ويزعمون أنَّ الثورة الفرنسية أعلنت هذا المبدأ، وأنَّ هيئة الأمم المتحدة أقرت الحرية مبدأ، وليس الأمر كذلك، فإنَّ ما فعله هؤلاء أنَّهم أخرجوا النَّاس من عبودية نظام وقانون وطائفة، إلى عبودية نظام آخر، وقانون آخر، وطائفة أخرى، ولكنَّ هؤلاء جميعاً بقوا عبيداً، وإن ظنُّوا أنفسهم أحراراً، ولن يحرِّرهم من سلطان البشر ويخلصهم من العبودية الظالمة إلاَّ أن يكونوا عبيداً لله، يقصدونه وحده، وعند ذلك يتحرَّرون من سلطان الآخرين، حتى من هوى النفوس التي تتردَّد في أجسادهم.

وأكثر الناس بعداً عن العبودية لله هم أكثر الناس عبودية لغير الله، فهؤلاء الشيوعيون أعظم الناس تمرداً على الله وبُعداً عنه، يستكبرون حتى عن التصديق بوجوده، وهم أعظم الناس عبودية لغير الله، فالفتنة التي حكمت الاتحاد السوفيتي قبل انهياره، والتي ما زالت تحكم الصين تسيطر على رقاب الناس سيطرة كبيرة، فلا يكادون يجدون طعم الحياة. والحرية هناك وهم كبير،

وسراب خادع، أراد الشيوعيون أن يتحرروا من سلطان الله، فأقاموا الدولة إلهًا تصادر حرية الأفراد، وتمنعهم من إبداء الرأي، وتتحكم في ممتلكاتهم، وتسوق الملايين إلى المعتقلات في صحراء سيبيريا، وإلى السجون التي غصّت بالنزلاء على سَعَتِها وكثرتها..

لقد أخرجوا الناس من ظلمات متراكمة إلى ظلمات أشد، وأخرجوهم من عبودية إلى عبودية، ولن يكون من مخلص من العبودية لغير الله إلا هذا الإسلام، ولقد صدق مؤفد المسلمين، وبرّ حين واجه قائد الفرس قائلاً: «الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup>، وكل من لم يرض بالإسلام دينًا، وبحكمه حكمًا، فإنّه غارق في قاذورات الجاهلية: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، والذين يرفضون أن يكون الله معبودهم فإنّهم يهينون أنفسهم بتعبيدها لمخلوقات أقلّ منها شأنًا، وأحقر منزلة، وهم في ذلك يدسّون هذه النفوس، والإسلام يعدّ الذي يكون جلّ همّه وغاية مطلبه الدينار والدرهم والملبس والمأكل، عبدًا لهذه التي سيطرت على نفسه، روى البخاري بسنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهِمِ، تَعَسَّ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعَسَّ وَأَنْتَكَسَّ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا أَنْتَقَشَ»<sup>(٢)</sup> اهـ<sup>(٣)</sup>.

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٩).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٦٠، ٦١)، و(الخميسة): ثوب خزّ، أو صوف مُعَلَّم، وقوله (انتكس)، أي صار ذليلًا، وهذا دعاء عليه. وقوله (شيك) أي دخل الشوك في عضوه. (فلا انتقش): دعاء عليه بأن لا يقدر على إخرجه.

(٣) «مقاصد المكلفين» للدكتور عمر سليمان الأشقر ص(٣٧٢-٣٧٥) بتصرف.

## أقسام الناس من حيث الحرية والعبودية:

قد فصل الإمام المحقق ابن قيم الجوزية أقسام الناس في هذا المقام، فقال - رحمه الله تعالى -:

«والناس في هذا المقام ثلاثة: عبد محض، وحر محض، ومكاتب<sup>(١)</sup>: قد أدى بعض كتابته، وهو يسعى في بقية الأداء:

فالعبد المحض: عبد الماء والطين، الذي قد استعبده نفسه وشهوته، وملكته وقهرته، فانقاد لها انقياد العبد إلى سيده الحاكم عليه.

والحر المحض: هو الذي قهر شهوته ونفسه وملكها، فانقاد معه، وذلت له، ودخلت تحت رقبته وحكمه.

والمكاتب: من قد عُقد له سبب الحرية، وهو يسعى في كمالها، فهو عبد من وجه، حُرٌّ من وجه، وبالبقية التي بقيت عليه من الأداء يكون عبدًا ما بقي عليه درهم، فهو عبد ما بقي عليه حظ من حظوظ نفسه.

فالحر: من تخلص من رِقِّ الماء والطين، وفاز بعبودية رب العالمين، فاجتمعت له العبودية والحرية، فعبوديته من كمال حرّيته، وحرّيته من كمال عبوديته<sup>(٢)</sup>» اهـ.

وقال: «و غاية شرف النفس دخولها تحت رِقِّ العبودية: طوعًا واختيارًا ومحبة، لا كرهاً وقهرًا كما قيل:

إِنَّ عَهْدَهُ نَوْقٌ فَضُوهُهُ عَيْدٌ قَيْنٌ مَهْ  
وَعَهْدُهُ فَيُؤَيِّدُهُ نَفْسُهُ فَيُغْنِيهِ مَخْلُوعٌ سَاهٍ

(١) المُكاتب: معاقدة بين العبد وسيده، يكتب الرجل عبده أو أمته على مالٍ مُنجمٍ - أي مقسَّطٍ - ويكتب العبد عليه أنه مُعتق إذا أدى النجوم.

(٢) «مدارج السالكين» (٣/ ٧٤).

(٣) «نفسه» (٢/ ٢٩).

فالعبادة ظاهرها تذلل، وحققتها تعزز وتجمّل:

قال الشاعر:

وعقع غقههغ عهقن عغ غصتيع      ههع عهين نلقهع ني قههع  
وقال آخر:

نوه غغنه قمو غقيفمه      وعهاغف يقمو لهوهن فعق هو  
غعهوع غه ليه قوعه هه      يع فق ه قعيعمه ني فق هه غعهوع  
وقال آخر:

وههع قعفه يلقع ونصقيع      ونفغ غظفه كيذك طع هغ قيع  
فضوهي غغ نوهن يع لغعفي      وظه كيقغ ظفهف هي هغيع

وقال آخر:

يع عهه ي قنننن هه مقع عهوفوف  
غهن فاهيعن نهع غعه عهضهوف  
لق قيق ي غن ني قه عهق فوف  
ظهغ عه غق نذذح ننع هه هل ههع  
هيق غلف عذ هي هه هل هه

\*\*\*

## درجات العباد

الناس من حيث اتصافهم بالحرية درجات:

- فمن الحرية ما هو أفرض الفروض، وأوجب الواجبات<sup>(١)</sup> على كل المكلفين، لا عذر لأحدٍ منهم في التخلف عنه، ألا وهو التحرر من عبادة ما سوى الله، وتوحيد الله - تعالى - باستحقاق العبادة، وذلك بشهادة أن **لا إله إلا الله**، ثم توحيد الطريق الموصلة إليه باتباع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وذلك بتحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار»<sup>(٢)</sup>.

- ومنها درجات يتفاضل فيها المسلمون تفاضلاً عظيماً، فإن كمال المخلوق في تحقيق العبودية لله، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله، وعلتْ درجته.

ويتسنى الذروة السامقة، والقمة الشاهقة في تحقيق هذه الحرية، عبدُ الله ورسولُهُ محمدٌ - صلى الله عليه وسلم - نبيُّ الله المجتبي، ورسولُهُ المصطفى، وخليلُهُ المرتضى، خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين، المبعوثُ إلى عامة الجن وكافة الورى، بالحق والهدى، وبالنور والضياء.

ولولا أن الوصف بالعبودية لله أشرف وأكمل أوصاف المخلوقين لما شرفه الله به في أعلى وأسمى وأشرف المقامات:

(١) راجع رسالة المؤلف: «النطق بالشهادتين أول واجب على المكلفين».

(٢) رواه مسلم [١٥٣]، والإمام أحمد [٨٢٠٣]، [٨٦٠٩].

فقد وصفه ربه بالعبودية في مقام الوحي، فقال - عز وجل -: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١]، وقال - سبحانه -: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال - تعالى -: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، وقال - سبحانه -: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الحديد: ٩]، وقال - سبحانه - في مقام الجمع بين الوحي والجهاد: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١].

ووصفه بالعبودية في مقام الدعوة، فقال - سبحانه -: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

وفي مقام الإسراء فقال - تبارك وتعالى -: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: ١].

وفي مقام التحدي فقال - عز وجل -: ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤].

وفي مقام النصرة والتأييد قال - عز وجل -: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه سمع عمر - رضي الله عنه - يقول على المنبر: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «لا تُطروني»<sup>(١)</sup>

(١) النهي هنا عن مطلق المدح أو عن المدح المجاوز للحد، يؤيد الأول قوله في آخر الحديث: «فقولوا: عبد الله ورسوله» أي اكتفوا بما وصفني به الله - عز وجل - من اختياري عبداً له ورسولاً، وانظر: «أضواء البيان» (٧/ ٦٥٤-٦٦٣) ط. دار عالم الفوائد.

ويؤيده أيضاً: ترجمة الترمذي للحديث: «باب تواضع النبي - صلى الله عليه وسلم -» والذي يأتلف مع معنى التواضع حمل الحديث على النهي عن المدح المطلق.

كما أَطْرَتِ النصارى عيسى ابنَ مريمَ <sup>(١)</sup>، فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله <sup>(٢)</sup>.  
و حين خَيْرٍ - صلى الله عليه وسلم - بين النبوة مع العبودية، وبين النبوة مع  
الملك اختار أن يكون نبياً عبداً <sup>(٣)</sup>.

وعن يحيى بن سعيد، قال: كنا عند علي بن الحسين فجاء قوم من الكوفيين،  
فقال علي: يا أهل العراق أحبونا حبَّ الإسلام، سمعتُ أبي يقول: قال رسول الله  
- صلى الله عليه وسلم -: «يا أيها الناس! لا ترفعوني فوق قدري، فإن الله اتخذني عبداً  
قبل أن يتخذني نبياً»، فذكرته لسعيد بن المسيب، فقال: وبعدهما اتخذهُ نبياً <sup>(٤)</sup>.

وقد صَلَّى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تورمت قدماه، فقيل له:  
أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال - صلى الله عليه  
وسلم -: «أفلا أكون عبداً شكوراً» <sup>(٥)</sup>.

ويلي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في هذه الدرجة من العبودية التي هي  
الحرية الحقيقية: إخوانه أولو العزم من الرسل ثم سائر الرسل ثم الأنبياء الذين قال  
- تعالى - في حقهم: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ﴾ [النمل: ٥٩].

وقال - سبحانه -: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ  
﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

(١) فغَلَّوْا فِيهِ حَتَّى ادْعَوْا فِيهِ الْأُلُوهِيَةَ.

(٢) رواه البخاري (٦/٣٥٤، ٣٥٥)، ومسلم [٣٤].

(٣) انظر «شرح السنة» (١٣/٢٤٨).

(٤) أخرجه الحاكم (٣/١٧٩)، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: «وهو  
كما قالوا» اهـ. من «السلسلة الصحيحة» رقم [٢٥٥٠].

(٥) رواه البخاري (٢/٦٣)، (٦/١٦٩)، (٨/١٢٤)، ومسلم (٧٩: ٨١)، وغيرهما.



وقال - تبارك وتعالى -: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

[النحل: ٢]

وقال - سبحانه - في إبراهيم - عليه السلام -: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[الصافات: ١١١]

وقال في نوح - عليه السلام -: ﴿إِنَّهُ كَانَتْ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

وقال - تعالى -: ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [ص: ٤٥].

وقال - عزَّ وجلَّ - في موسى وهارون - عليهما السلام -: ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا

الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٢٢].

وكانت أول كلمة نطق بها المسيح - عليه السلام - في المهد: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾.

[مريم: ٣٠]

وقال - سبحانه - في حقه: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

[الزخرف: ٥٩]

وقال - عزَّ وجلَّ - في شأن المسيح - عليه السلام - أيضًا: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ

الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٧٢].

وقال في أيوب - عليه السلام -: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

وقال في داود - عليه السلام -: ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

[ص: ١٧]

وقال في سليمان - عليه السلام -: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ

أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

ثم يأتي في مقام الحرية الكاملة أتباع الرسل - عليهم السلام - وفي مقدمتهم أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله تعالى عنهم أجمعين - .  
وفي معنى هذه (الحرية الحقيقية الكاملة) يقول الشاعر:

ظغعهو لهوعهقهعه هضع ﴿ ظه غغو هنعغعه كهلعغة

وروى البيهقي عن الجنيد - رحمه الله - قال:

«إنك لن تكون على الحقيقة له عبداً وشيء مما دونه لك مسترقاً، وإنك لن تصل إلى صريح الحرية، وعليك من حقيقة عبوديته بقية، وإذا كنت له وحده عبداً كنت مما دونه حُرّاً»<sup>(١)</sup>.

### أسير لكنه حر:

وقد تتحقق هذه الحرية الكاملة لمن هو في الظاهر مقيدٌ سجين، قال سيد قطب - رحمه الله -:

ظضي ظلع في غهن عن يوفٍ      ظضي ظلع في غهن عن يوفٍ  
عقع نهغ غعني هقع لي هقع      نهقع ينعغن نيف عهاغيف

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يضع تعريفاً عجيباً للحبس، فيقول:

«المحبوس: من حُبِس قلبه عن ربه، والمأسور: من أسرته هواه»<sup>(٢)</sup>.

يقول تلميذه الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - حاكياً عنه:

«وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟! أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رُحْتُ

فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

(١) «الزهد الكبير» ص (٢٨٩).

(٢) «الوابل الصيب» ص (١٠٩)، ط. دار عالم الفوائد.

وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلتُ لهم ملء هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة. أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا، وكان يقول في سجوده وهو محبوس: (اللهم أعني على ذكرك وشُكرك وحُسن عبادتك)، ما شاء الله..

ولما أُدخِل إلى القلعة، وصار داخل أسوارها: نظر إليه، وقال: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

وعلم الله ما رأيتُ أحدًا أطيّبَ عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف، وهو مع ذلك من أطيّب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسّرهم نفسًا: تلوح نضرة النعيم على وجهه»<sup>(١)</sup>.

وما زال شيخ الإسلام في محنته صابرًا على بلواه حتى وافته المنية مسجونًا (سنة ٧٢٨هـ) فرثاه ابن الوردي بقوله:

وفيق عهفي ندي عاكف عند نضيق  
ولهف عهحف عهق فله علغ عكع  
غظه عهه عتج ي هه عن غف عظي  
نن فقعن وعهه هه وهه يوع كوع

والمقصود: أن العبودية تقتضي الحرية، والحرية من كمال العبودية.

(١) «الوابل الصيب» ص (١٠٩، ١١٠)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٥٩).

## الإسلام بالله

### قرآن النساء بن عبود بن الهوى

«الهوى: هو ميل النفس إلى الشيء، وفعله: هَوِيَ: يَهْوَى، هَوَى، مثل عَمِيَ، يعمى، عَمَى، وأما هَوَى يَهْوَى بالفتح فهو السقوط، ومصدره الهَوِيُّ بالضم، ويقال الهوى أيضاً على نفس المحبوب، قال الشاعر:

عَمِيَ عَهْغِي قَلْبِي نَعْمَ فِينِ هَهْهَعِ      ضَهْنِي نَعْمَ فِينِ هَهْهَعِ  
هَهْهَعِ هَهْهَعِ قَلْبِي نَعْمَ فِينِ هَهْهَعِ      ضَهْنِي نَعْمَ فِينِ هَهْهَعِ

ويقال: هذا هوى فلان، وفلانته هواه، أي: مَهْوِيَّتُهُ ومحبوبته.

وأكثر ما يُستعمل في الحبِّ المذموم، كما قال الله - تعالى -: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ﴾ [٤٠] فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿[النازعات: ٤٠-٤١].  
ويقال: إنما سُمِّيَ هَوَى؛ لأنه يهوي بصاحبه. وقد يُستعمل في الحبِّ الممدوح استعمالاً مقيّداً. ومنه قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين<sup>(٢)</sup> عن عروة قال: كانت خَوْلَةُ بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي - صلى الله عليه وسلم -، فقالت عائشة - رضي الله عنها -: أما تستحيي المرأة أن تهب نفسها للرجل؟ فلما نزلت ﴿تُرْجَىٰ مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١] قلت: يا رسول الله! ما أرى ربك إلا يُسارعُ في هوائك.

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» [١٥]، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/٣٦٩)، والبعوي في «شرح السنة» (١/٢١٣)، من حديث عبد الله بن عمرو. قال النووي في «الأربعين» (٤١): حديث حسن صحيح، رُوِيَّاهُ فِي كِتَابِ «الْحُجَّةِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ. وَتَعَقَّبَهُ ابْنُ رَجَبٍ فِي «جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ» (٢/٣٩٤) فَقَالَ: تَصْحِيحٌ هَذَا الْحَدِيثُ بَعِيدٌ جَدًّا مِنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ ذَكَرَهَا.  
(٢) البخاري (٥١١٣)، ومسلم (١٤٦٤).

وفي قصة أسارى بدرٍ قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: فهوى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما قال أبو بكر - رضي الله عنه - ولم يهوَ ما قلتُ. وذكر الحديث<sup>(١)</sup>.

وفي السنن<sup>(٢)</sup> أن أعرابياً قال للنبي - صلى الله عليه وسلم -: جئتُ أسألك عن الهوى، فقال: «المرءُ مع من أحبَّ»<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى -:  
«الهوى: ميل الطبع إلى ما يلائمه. وهذا الميل خُلِقَ في الإنسان لضرورة بقائه. فإنه لو لا ميله إلى المطعم، والمشرب، والمنكح؛ ما أكل، ولا شرب، ولا نكح. فالهوى مستحبٌّ له لما يريده، كما أن الغضب دافعٌ عنه ما يؤذيه، فلا ينبغي ذم الهوى مطلقاً، ولا مدحه مطلقاً، كما أن الغضب لا يُذَمُّ مطلقاً، ولا يُحمد مطلقاً، وإنما يُذَمُّ المُفْرِط من النوعين، وهو ما زاد على جلب المصالح، ودفع المضار.

ولمَّا كان الغالب ممن يطيع هواه وشهوته وغضبه: أنه لا يقف فيه على حدِّ المنتفع به؛ أُطلق ذمُّ الهوى، والشهوة، والغضب؛ لعموم غلبة الضرر؛ لأنه يندر من يقصد العدل في ذلك، ويقف عنده، كما أنه يندر في الأمزجة المزاج المعتدل من كل وجه، بل لا بدَّ من غلبة أحد الأخلاط والكيفيات عليه، فحرص النَّاصِح على تعديل قُوَى الشَّهْوَةِ والغضب من كلِّ وجهٍ، كحرص الطَّبَّيب على تعديل المِزَاج من كلِّ وجه، وهذا أمرٌ يتعدَّد وجوده إلا في حقِّ أفرادٍ من العالم، فلذلك

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٣٦)، والنسائي في الكبرى (٣٤٤/٦)، وأحمد (٢٣٩/٤، ٢٤٠) من حديث صفوان بن عَسَّال المرادي بهذا السياق. وإسناده حسن.

(٣) «روضة المحبين» ص (٣٧، ٣٨).

لم يذكر الله الهوى في كتابه إلا ذمّه، وكذلك في السنّة لم يجعّ إلا مذموماً، إلا ما جاء منه مُقَيِّدًا، كقوله - صلى الله عليه وسلم -: « لا يؤمن أحدكم حتّى يكون هواه تبعاً لما جئت به»<sup>(١)</sup>.

وقد قيل: الهوى كمينٌ لا يؤمن. قال الشّعبي: وسُمّي هوى؛ لأنّه يهوى بصاحبه، ومطلقه يدعو إلى اللذّة الحاضرة من غير فكرٍ في العاقبة، ويحثُّ على نيل الشّهوات عاجلاً، وإن كانت سبباً لأعظم الآلام عاجلاً وأجلاً، فللدنيا عاقبةٌ قبل عاقبة الآخرة، والهوى يُعمي صاحبه عن ملاحظتها، والمروءة، والدين، والعقل ينهى عن لذة تُعقب ألماً، وشهوة تورثُ ندمًا، فكلُّ منها يقول للنفس إذا أرادت ذلك: لا تفعلي! والطاعة لمن غلب، ألا ترى أن الطفل يُؤثر ما يهواه؛ وإن أدّاه إلى التّلف؛ لضعف ناهي العقل عنده؟! ومن لا دين له يؤثر ما يهواه؛ وإن أدّاه إلى هلاكه في الآخرة؛ لضعف ناهي الدّين، ومن لا مروءة له يؤثر ما يهواه وإن تلمّ مروءته، أو هدمها؛ لضعف ناهي المروءة، فأين هذا من قول الشافعي - رحمه الله تعالى -: لو علمتُ أن الماء البارد يثلم مروءتي لما شربته.

ولمّا امتحنَ المكلفُ بالهوى من بين سائر البهائم، وكان كل وقت يحدث عليه حوادث؛ جُعِلَ فيه حاكمان: حاكم العقل، وحاكم الدين؛ وأمر أن يرفع حوادث الهوى دائماً إلى هذين الحاكمين، وأن ينقاد لحكهما، وينبغي أن يتمرن على دفع الهوى المأمون العواقب ليستمرّ بذلك على ترك ما تؤذي عواقبه<sup>(٢)</sup>.

(١) تقدم تخريجه أنفأ ص (٢٣٨).

(٢) «روضه المحبين» ص (٦٢٩ - ٦٣١).

## حاجة البشر إلى الروح الربوي

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى :-

«الرسالة ضرورية للعباد، لا بدّ لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأبى صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال الله - تعالى :- ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وأمّا الكافر فميت القلب في الظلمات».

وبيّن - رحمه الله تعالى :- «أن الله سمّى رسالته روحاً، والروح إذا عدم فقدت الحياة، قال الله - تعالى :- ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكُتُبُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، فذكر هنا الأصيلين، وهما: الروح، والنور، فالروح الحياة، والنور النور».

وبيّن - رحمه الله تعالى :- «أن الله يضرب الأمثال للوحي الذي أنزله حياة للقلوب ونوراً لها بالماء الذي ينزله من السماء حياة للأرض، وبالنار التي يحصل بها النور، وهذا كما في قوله - تعالى :- ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهَا كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]».

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله معقبًا على الآية: «فشبه العلم بالماء المنزل من السماء لأن به حياة القلوب، كما أن بالماء حياة الأبدان، وشبه القلوب بالأودية، لأنّها محلّ العلم، كما أن الأودية محل الماء، فقلب يسع علمًا كثيرًا، وواد يسع ماءً كثيرًا، وقلب يسع علمًا قليلًا، وواد يسع ماءً قليلًا، وأخبر - تعالى - أنّه يعلو على السيل من الزبد بسبب مخالطة الماء، وأنه يذهب جفاءً، أي: يرمى به، ويخفى، والذي ينفع الناس يمكث في الأرض ويستقر، وكذلك القلوب تخالطها الشهوات والشبهات، ثم تذهب جفاءً، ويستقر فيها الإيمان والقرآن الذي ينفع صاحبه والناس»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام المحقق ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

«ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا، ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضا الله ألبتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح، الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم تُوزن الأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأبى ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٩/٩٣ - ٩٦).



وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين، فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء، ووضع في المِقلادة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل، كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحسُّ بهذا إلا قلبٌ حيٌّ

\* مع هفتض غهينغ عديلة \*

وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقةً بهدي النبي - صلى الله عليه وسلم - فيجب على كل من نصح نفسه، وأحبَّ نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرجُ به عن الجاهلين، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقلِّ، ومستكثر، ومحروم، والفضل بيد الله يؤتیه من يشاء، والله ذو فضلٍ عظيم»<sup>(١)</sup>.

وقد عقد الإمام ابن القيم - رحمه الله - في كتابه القيم «مفتاح دار السعادة» مقارنة بين فيها أن حاجة الناس إلى الشريعة أعظم من حاجتهم إلى علم الطب مع شدة حاجة الناس إليه لصلاح أبدانهم، فحاجتهم إلى الرسالة أعظم من حاجتهم إلى غيرها من العلوم، قال:

«حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية، فوق حاجتهم إلى كل شيء، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب، ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة، وأمّا أهل البدو كلهم، وأهل الكُفور<sup>(٢)</sup> كلُّهم، وعامة بني آدم فلا يحتاجون إلى طبيب، وهم أصحُّ أبداناً، وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب، ولعلَّ أعمارهم متقاربة.

(١) «زاد المعاد» (١/١٥).

(٢) الكُفور: الفُرَى الصغيرة. جمع كُفر.

وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم، واجتناب ما يضرهم، وجعل لكل قوم عادة وعرفاً في استخراج أدوية ما يهجم عليهم من الأدوية، حتى إنّ كثيراً من أصول الطب إنما أخذت من عوائد الناس، وعرفهم وتجاربهم.

وأما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضا الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية، فمبناها على الوحي المحض، والحاجة إليها أشد من الحاجة إلى التنفس فضلاً عن الطعام والشراب، لأن غاية ما يُقدَّر في عدم التنفس والطعام والشراب موتُ البدن، وتعطل الروح عنه، وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة، وهلاك الأبد، وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت.

فليس الناس قطُّ إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - والقيام به، والدعوة إليه، والصبر عليه، وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه، وليس للعالم صلاح بدون ذلك ألبتة، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسر»<sup>(١)</sup>.

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/٨٦٣، ٨٦٤)، ط. دار عالم الفوائد.

## العداوة بين الوحي والهوى

يَبِينُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّ الْهُوَى إِلَهٌ بَاطِلٌ يَعْبُدُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَيَتَحَرَّرُ الْإِنْسَانُ مِنْ اتِّبَاعِ الْهُوَى، بِاتِّبَاعِ الْوَحْيِ وَالْهُدَى.

قال - تعالى -: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ .

[الفرقان: ٤٣]

وقال - سبحانه -: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ [الجمانية: ٢٣].  
ومصدر الهدى ينحصر في الوحي الإلهي:

قال - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ وَإِنْ أَهْتَدَيْتَ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ رِيبًا ﴾ [سبأ: ٥٠].

ولذلك أمر - تعالى - باتباعه والتمسك به:

قال - سبحانه -: ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ .

[يونس: ١٠٩]

وقال - سبحانه -: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

[الزخرف: ٤٣]

وقال - تعالى -: ﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهُوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

[ص: ٢٦]

وامتثل - صلى الله عليه وسلم - أمر ربه:

قال - تعالى -: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

وقال - تعالى -: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [يونس: ١٥].

وحذره - عَزَّ وَجَلَّ - من اتباع أهوائهم:

قال - تعالى -: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال - سبحانه -: ﴿ وَلَئِن أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٤٥].

وقال - سبحانه -: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾.

[المائدة: ٤٩]

وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨].

وقال - سبحانه -: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

والهوى منبع الضلال وسبب الهلاك:

قال - سبحانه -: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١١٩].

وقال - تعالى -: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال - سبحانه -: ﴿ يٰ دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦].

وقال - تعالى -: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾

فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه: ١٥، ١٦].

وقال - سبحانه -: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ

فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾

[الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]

والوحي والهوى ضِدَّانِ لا يجتمعان:

قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ ﴾ .

[النجم: ٣، ٤]

وقال - سبحانه -: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال - سبحانه -: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ .

[البقرة: ٨٧]

وقال - تعالى -: ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ

الهُدَىٰ ﴾ [النجم: ٢٣].

# الإسلام والله

## عز الإمام بن عبودية الناج والفقار والسنن

«..وتاهت البشرية في عبودية من نوع آخر، وهي عبودية المناهج والأفكار، فالبشر في كل عصر وجيل تتفتق أذهان أذكياهم وفلاسفتهم عن مبادئ ومناهج وقوانين ونظريات، يُحكّمونها في رقاب العباد، وهي مناهج وقوانين تحاد شرع الله وحكمه، وقد شاء الله أن يكون الحكم بين العباد بيده دون سواه، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، ولم يرض الحق أن يتخذ معه شريك في حكمه ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، وقد ذمّ الله اليهود والنصارى الذين أطاعوا أحبارهم ورهبانهم عندما خالفوا الشرع الذي بأيديهم، فأحلوا وحرّموا بأرائهم، وقال فيهم ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١]، ولكن الأمر العجيب أن أكثر الناس في كل العصور يرفضون منهج الله - تعالى - وحكمه، ويرفضون قوانين البشر وأحكامهم التي تُعبّد لهم للعباد، وقوانين البشر ومبادئهم مختلفة متضاربة، وكل فريق يزعم أنه على الحق والهدى، وأن منهجه هو الذي يحرر الإنسان، ويجلب له الخير والهناء، ويقوم الصراع بين أتباع المناهج وينتهي في أغلب الأحيان بحروب تُحرق الأخضر واليابس ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكَيْدَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية. [البقرة: ١١٣]، لقد أنزل الله الكتاب في كل العصور ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، فيُحقّ الحقّ ويبطل الباطل ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً

وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا مَبَشِّرًا وَمُنذِرًا وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ  
النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ وَمَا اختلف فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا  
بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اختلفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى  
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿البقرة: ٢١٣﴾.

إن الحرية في الإسلام تقرر في صورة العبودية، إن الحرية تعني أن تُعبَدَ  
نفسك لله وحده، في توجهات قلبك وعقائده، وفي مسار فكري ونوازعه،  
وفي أقوالك وأفعالك، وفي القوانين التي تهيمن على المجتمع وتُسيِّره، وكثير  
من الحريات التي يتشدد بها العباد في هذا العصر، إنما هي العبودية في نظر  
الإسلام، ولنعتبر هذا بما يُسمى بالديمقراطية اليوم، فالبشر يرون أن تحقيق  
الديمقراطية هو قمة الحرية التي يمكن أن يُحصِّلها العباد اليوم، حيث ينتخبون  
ممثلين عنهم يشرعون للأمة ما يشاؤون، وهذا في تصور الإسلام عبودية البشر  
للبشر، وتأليه البشر للبشر، فليس من حق العباد أن يشرعوا فينا ما لم يأذن به الله،  
وليس من حقهم أن يقودوا الحياة بمجرد فكرهم، فإن فعلوا فهم أرباب من دون  
الله، وقد ذم الله اليهود والنصارى لكونهم اتخذوا علماءهم ورهبانهم أرباباً من  
دون الله، وعلمنا من تفسير الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن المراد بجعلهم  
أرباباً من دون الله هو متابعة اليهود والنصارى علماءهم ورهبانهم في تحليل ما  
حرم الله، وتحريم ما أحل الله، مع كونهم ملتزمين بشريعتهم بصورة من الصور،  
فكيف بالأمم المعاصرة عندما تعطي لممثلي الشعب الحرية المطلقة في تشريع  
ما يشاؤون، لقد أباحوا الربا والزنا واللواط والإجهاض والخمور، وكل شيء  
في مفهوم الدول الديموقراطية قابل للنظر والتغيير، إن هذا في مفهوم الإسلام  
عبودية وأي عبودية، يعبد البشر فيها البشر، والعجيب أن أكثر الأمم يرونها قمة

الحرية، إن التحرر الحقيقي يعني الخضوع لله وحده، وأخذ منهجه دون سواه، والتحاكم إلى شرعه دون بقية الشرائع والقوانين، فإن رفض البشر هذه العبودية لله الواحد الأحد فإنهم سيُعبَدون أنفسهم - لا محالة - لمخلوقات مساوية لهم وهم البشر، أو لمخلوقات أقل منهم شأنًا، وقبيح بالإنسان أن يُعبَد نفسه لمخلوقٍ مثله لا يضر ولا ينفع، بل قد لا يُبصر ولا يسمع. إن الذي يستحق العبادة هو من اتصف بصفات الألوهية الحقّة»<sup>(١)</sup>.

---

(١) «أثر الإيمان في تحرير الإنسان» ص (٢٩-٣٠) بتصرف، وانظر: «أضواء البيان» للشنقيطي (٦٢٢/٧) ط. دار عالم الفوائد، و«الشرعية الإلهية» للدكتور عمر الأشقر.



## جوهرة اللاهوت: بين التوحيد واللاهوتية؛ حيدر اللؤلؤ

لا مشكلة عند عبادة الأوهاء كالليبراليين<sup>(١)</sup> والعالميين<sup>(٢)</sup> في:

**(١) الليبرالية:** دين أرضي من صنع البشر، يتصادم مع الإسلام بالكلية، فالليبرالية الفكرية والدينية تقول: «اعبد أيَّ شيء، فلن تُسأل عن شيء».

وتدعي أن لا دين يحتكر الحقيقة المطلقة، وتعتبر التدين شأنًا يتعلق بالحرية الفردية، ويرتبط فقط بالوجدان والذوق الشخصي وليس بالأحكام.

والليبرالية الاجتماعية تقول: «لا» لقوامة الرجولة، و«لا» لرابطة العقيدة الإيمانية، و«لا» لمرجعية الشريعة الإسلامية.

والليبرالية السياسية تقول: الحكم لكل شيء إلا لله!

والليبرالية الاقتصادية تقول: اكسب من كل شيء، وأنفق في أي شيء.

ولتفصيل ذلك موضع آخر، انظر «معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية» للدكتور عبد العزيز مصطفى كامل، و«الفكر الليبرالي تحت المجهر الشرعي» للدكتور محمود الصاوي، و«حقيقة الليبرالية» للدكتور عبد الرحيم السلمي، و«نقد الليبرالية» للدكتور الطيب بو عزة، و«الليبرالية في السعودية والخليج» للأستاذ وليد الرميضان، و«نقد التسامح الليبرالي» للدكتور محمد مفتي.

**(٢) العالمية:** نسبة إلى هذا العالم المادي الدنيوي، فهي اللادينية أو الدنيوية، لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب، بل بمعنى «ما لا صلة له بالدين» أو «ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد».

جاء في «دائرة المعارف البريطانية»: «العالمانية: حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها».

وفي قاموس «أكسفورد»: «الرأي الذي يقول: إنه لا ينبغي أن يكون الدين أساسًا للأخلاق والتربية».

وفي قاموس «وبستر»: «اتجاه في الحياة أو في أي شأنٍ خاص يقوم على مبدأ أن الدين والاعتبارات الدينية يجب أن لا تتدخل في الحكومة».

إذن فالعالمانية تفصل الدين عن الحياة، وقد تقبله بشرط أن يُحبس داخل القفص الصدري أو داخل جدران المساجد، وقد تقر بوجود الإله، لكنه نفس التصور الأرسطي للإله، الذي يدّعي أنه خلق العالم، ثم حركه ثم تركه، دون أن يعلم عنه شيئًا، تمامًا مثل ملك الإنكليز يملك ولا يحكم، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

- أن يشهد العبد بأن «لا إله، والحياة مادة» لأن الإلحاد في زعمهم حق لمن شاء أن يدين به، وذلك طبقاً لمبدأ حرية الاعتقاد.

- ولا مشكلة لديهم في أن يشهد العبد أن «لا ربَّ إلا الله» لأن هذا هو توحيد الربوبية بمعنى أنه هنا يقرر بأن الله له وحده الخلق.

- وليس لديهم مشكلة كبيرة في أن تقول: «الله إله».

- وليس لديهم مشكلة في أن تقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤].

إن المعضلة الكبرى عندهم في هذه الكلمة التي تنسف الآلهة الباطلة نفساً: «لا إله إلا الله» أي: لا إله حق يستحق أن يُفرد بالعبادة إلا الله - عزَّ وجلَّ -، مشكلتهم الكبرى في (الحضْر) الذي يفيد النفي والاستثناء.

فالأديان عندهم متساوية، ولا يجوز عندهم أن نرفع شعار «الإسلام يعلو ولا يُعلَى».

ولا يجوز عندهم التفريق بسبب العقيدة بين المؤمن والكافر لأن هذا (تميز). إن المشكلة عندهم ليست في قول: «ألا له الخلق» ولكنها في قول الله - تعالى -: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٥].

ولست المشكلة في قول: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ﴾ لكنها في قوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤].

ليست المشكلة في أن تقول: «الإسلام دين» لكنها في أن تقول: الإسلام هو الدين الحق الوحيد في هذا الوجود، وما عداه باطل.

ليست المشكلة عندهم في (اتباع الهوى) لكن المشكلة كل المشكلة في (اتباع الوحي الإلهي) فيما يتعلق بقيادة سفينة المجتمع، وتوجيه مسيرته.

## الإسلام الله

### قرّر الإنسان بن عبادة مظاهر الطبيعة

هناك ألوان من العبودية يحرص العباد عليها ويستمسكون بها ويبدلون في سبيلها كل مرتخص وغال، لقد كانت العبودية في الماضي عبودية لأوهام وتصورات خاطئة، كان الإنسان الذي لا يعلم حقيقة ما حوله يرهبه الليل إذا أرخى عليه سدوله، ويزغ القمر فينير ظلمة الليل فيعظم في نفسه، وتشرق الشمس فتمحوا ظلمة الليل، وتذهب ضوء القمر والنجوم فتكبر في نفسه، ويقف بجانب الجبال الشمّ الراسيات فيتصاغر في نفسه، ويقف على شاطئ البحر اللجّي المحيط وأمواجه تثور كالجبال فيرهبه منظره، وقد كانت الرهبة والتعظيم لهذه المخلوقات تملك عليه نفسه، فتذهب به الظنون كل مذهب، فيصور له جهله أنها تستحق التقديس والخضوع، فإذا به يخر لها ساجداً، وينادي باسمها مسبحاً، ويتوجه إليها داعياً، وإذا ما رام عاقل أن يبين له الحقيقة أصمّ أذنيه، وأغلق عينيه، وأصر على باطله إصراراً، وإذا زاد الأمر جرّد سيفه، وبذل نفسه وماله مدافعاً عن عقيدة زائفة، مثلها له خيال موهوم، وأكّدتها خرافة كاذبة، وقد أرسل الله - تعالى - رسله في كل جيل من الأجيال، ليخلصوا العباد من العبودية في شتى صورها وأشكالها، وهذه واحدة من أشكال العبودية التي سيطرت على البشر حيناً من الدهر، فاتخذوا بعض مظاهر الطبيعة آلهة تُعبد من دون الله، إن هذه المظاهر - في منطق الإسلام - آيات باهرة دالة على قدرة الله، وهي مقهورة مربوبة مطيعة لله ربها، لا تعصي له أمراً، فقد خلق الحق الأرض والسماء ثم خاطبهما قائلاً: ﴿ أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١]، وهذه المخلوقات تعبد الله، فتسبح له، وتسجد له، تسيبها لا نفقهه، وسجوداً لا نعرف كيفيته، ﴿ تَسْبُحُ لَهُ

السَّمَوَاتِ السَّعْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نفَقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴿[الإسراء: ٤٤]﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿[الحج: ١٨].

ولقد أرسل الله أبا الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - إلى قوم يعبدون الكواكب والقمر والشمس، وحاور قومه فيما يعبدون، وأثبت لهم أن ما يعبدونه ليس أهلاً للعبادة، لأنه لا يملك من خصائص الألوهية شيئاً، وليس له من صفات الربوبية نصيب: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفَلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُورِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿[الأنعام: ٧٥-٨٠].

لقد شرح كل رسول لقومه شيئاً من حقيقة الكون ووظائفه كيلا يقعوا في أسار الوهم والخرافة، وكيلا يضلوا في مسيرة الحياة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿[فصلت: ٣٧].

(١) «أثر الإيمان» للأشقر ص (٧-١٠).

## الاستسلام لله

### حرر النساء بن عبادة اللواتم واللواتم

وقد تردى البشر في هاوية أخرى في مجال الوهم والخرافة عندما عبدوا الأوثان الصم البكم الجامدة، وعبدوا الأموات الذين لا يملكون ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، لقد كانوا يصنعون الأصنام بأيديهم، ثم يدعونها ويخضعون لها، ويدسون الميت في التراب بأيديهم، ثم يستغيثون به، ويقصدونه بأعمالهم ونياتهم، وأرسل الله رسله لتخليص العباد من هذه اللوثة التي عبّدتهم للأشجار والأحجار والأموات، وقد بذل الرسل في سبيل تبصير العباد جهودًا هائلة، ناظروهم وحاوروهم وجادلوهم، وضربوا لهم الأمثال، وصبروا على أذاهم: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ۗ (٧٢) أَوْ يَفْعَلُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ۗ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٧٢-٧٤]. وقال - تعالى -: ﴿ إِنَّكَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣]، فأصر أكثر العباد على هذا الباطل، أصروا على أن يبقوا عبيدًا للأصنام والأوثان والأموات، وتعاهدوا على الصبر على هذه الأباطيل: ﴿ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ ءَالِهَتِكُمْ ۗ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣]. ﴿ وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَى ءَالِهَتِكُمْ ۗ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ [ص: ٦]، وأصموا أسماعهم حتى لا يصل صوت الحق إلى قلوبهم: ﴿ وَإِنِّي

كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا  
اسْتِكْبَارًا ﴿[نوح: ٧]﴾<sup>(١)</sup>.

وقال - أيضًا - الدكتور عمر الأشقر - حفظه الله تعالى - وهو ينتقد عقائد  
الهندوس:

«هذا زعيم من زعمائهم في القرن العشرين يقول مفاخرًا: «عندما أرى البقرة  
لا أجدني أرى حيوانًا لأنني أعبد البقرة، وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع». ولقد  
قاده عقله إلى تفضيل أمه البقرة على أمه التي ولدته: «وأمي البقرة تفضل أمي  
الحقيقية من عدة وجوه، فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين، وتتطلب منا  
خدمات طول العمر نظير هذا، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائمًا ولا تطلب منا  
شيئًا مقابل ذلك سوى الطعام العادي..» ومضى عابد البقرة يقارن بين أمه البقرة  
وأمه الحقيقية موردًا الحجج والبراهين على أفضلية أمه البقرة على أمه الحقيقية إلى أن  
قال: «إن ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال، وأنا أعد نفسي واحدًا  
من هؤلاء الملايين».

وقد قرأت منذ مدة في مجلة (العربي) التي تصدر في الكويت عن معبد فخم  
مكسو بالرخام الأبيض تُرسل إليه الهدايا والألطف من شتى أنحاء الهند، بقي أن  
تعلم أن الآلهة التي تُقدم لها القرابين، وترسل لها النذور في ذلك المعبد الفخم إنما  
هي الفئران.

هذه بعض الترهات التي هدتهم إليها عقولهم التي زعموا أن فيها غنيمة عن  
الوحي الإلهي»<sup>(٢)</sup>.

(١) «نفسه» ص (١٠-١٢).

(٢) «الرسول والرسالات» ص (٣٩).

## الإنسان والله

### قررت النساء بن عبودية البشر

واتخذ البشر بشرًا مثلهم أربابًا من دون الله، فقد أحاطوا بعض البشر بهالة من الأساطير، فجعلوهم من نسل الآلهة، وزعموا أن لهم طبيعة غير طبيعة البشر، وأن الدماء الزرقاء تجري في عروقهم، بعض هؤلاء البشر كانوا ملوكًا أرادوا إخضاع العباد لأهوائهم، وبعضهم كانوا صالحين قدسهم الناس من حيث لا يريد أولئك الصالحون مثل هذا التقديس، من الفريق الأول: فرعون الذي ادعى الألوهية، فصاح فيهم منادياً: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ومن الفريق الثاني: الذين غلّوا في عيسى - عليه السلام - فزعموا أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة - تعالى الله عما يقولونه علواً كبيراً - .

وأرسل الله رسله لتخليص البشر من رق العبودية للعباد، فقد أرسل الله موسى وأخاه هارون إلى فرعون وملئه، وقال لهما: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]، وطالباه بأن يدع بني إسرائيل وشأنهم ﴿فَأَنبَأَهُ فِقُولًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَدِّ بِهِمْ﴾ [طه: ٤٧]، لقد أراد من فرعون أن يتخلى عن كبريائه ويخضع لرب العالمين، وأن يُعْتق بني إسرائيل من ذل العبودية، ويأذن لهم في الخروج من بلده.

وحدثنا قرآنا عن خبر عيسى، فأكذب ما ادعاه الداعون في أمره، وقرر أنه عبد الله ورسوله، وكلمته أوحاها إلى مريم وروح منه، مثله في ذلك مثل آدم - عليه السلام - خلقه من تراب ثم قال له كن، فكان كما شاء الله أن يكون.

إن الإسلام جاء ليحرر العباد من عبودية العباد إلى عبادة الله وحده، وقد أعلن الدعوة الأوائل هذه الحقيقة حينما كانوا يغدون إلى مقابلة عظماء الفرس والروم، فقد كانوا يسألونهم عن هدفهم الذي خرجوا من أجله من ديارهم، فيقولون: «الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة».

وقد دعا القرآن أهل الكتاب إلى عبادة الله الواحد الأحد وترك ما يعبدونه من دونه من أنداد، وبذلك يجتمع الناس على كلمة سواء: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦءَ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَمَقُولُوا۟ أَشْهَدُوا۟ بِآنَآ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] (١).

وقال الأستاذ سيد قطب - رحمه الله -:

«ولما كان الأنبياء هم مظنة أن يتجه إليهم الناس بشيء من العبادة، أو ما في معناها على وجه من الوجوه، فقد عني الإسلام بتحرير وجدان البشرية من هذه الناحية تحريراً كاملاً. قال الله - تعالى -: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِٱلْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠].

ويقول عن نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

(١) انظر: «أثر الإيمان في تحرير الإنسان» ص (١٢-١٥).



ويخاطب هذا النبي في صراحة قوية: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، كما يخاطبه في موضع آخر بما يشبه التهديد: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٤، ٧٥].

ويقول - تبارك وتعالى - في شأنه - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

ويأمره أن يجهر بحقيقة موقفه جهراً: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُحْيِرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠-٢٢]

ويتحدث عن ألوهة عيسى ابن مريم، فيصمهم بالكفر والسخف: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧].

ويقول عن المسيح في موضع آخر: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩].

ويعرض مشهداً من مشاهد يوم القيامة يستجوب فيه عيسى ابن مريم عما زعمه بعض الناس عنه من ألوهية؛ ويثبت براءة عيسى من هذا الزعم الذي لا يد له فيه، في أسلوب قوي أخاذ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ

إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدَاكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿المائدة: ١١٦-١١٨﴾.

كما يعرض صورة من تأليه العباد للعباد لا تتمثل في اعتقادهم بألوهيتهم، ولكن تتمثل في تلقي الشرائع منهم، وجعلهم بذلك أرباباً ولو لم يعتقدوا بألوهيتهم أو يقدموا لهم شيئاً من العبادة: ﴿أَتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وهكذا. وهكذا. يستمر القرآن في توكيد هذه العقيدة وتثبيتها وتوضيحها، ليصل إلى تحرير الوجدان البشري من كل شبهة شرك في ألوهية أو ربوبية، قد تضغط هذا الوجدان وتخضعه لمخلوق من عباد الله، إن يكن نبياً أو رسولاً، فإنه عبد من عباده لا إله!

فإذا انتفى أن يكون عبد بذاته أُمير عند الله من عبد بذاته، انتفت الوسائط بين الله وعباده جميعاً؛ فلا كهانة ولا وساطة، بل يتصل كل فرد صلة مباشرة بخالقه؛ يتصل شخصه الضعيف الفاني بقوة الأزل والأبد، يستمد منها القوة والعزة والشجاعة، ويشعر برحمة الله وعنايته ولطفه<sup>(١)</sup>، فيشتد إيمانه وتقوى معنويته.

والإسلام حريص كل الحرص على تقوية هذه الصلة، وإشعار الفرد أنه يملك الاستعانة بتلك القوة الكبرى آناء الليل وأطراف النهار: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ

(١) هي في الأصل: وعطفه.

بِعِبَادِهِ ﴿ [الشورى: ١٩]. ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ  
الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿ [البقرة: ١٨٦].. ﴿ وَلَا  
تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿ [يوسف: ٨٧]..  
﴿ قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ  
جَمِيعًا ﴿ [الزمر: ٥٣].

وقد شرع الإسلام خمس صلوات، يقف فيها العبد كل يوم أمام ربه، ويتصل  
فيها المخلوق بخالقه، في أوقات منظمة، غير ما يعن له هو أن يقف أمام إلهه، أو  
يتصل به في توجهه ودعائه.

وليس الغرض من الصلاة أو الدعاء ألفاظاً وحركاتٍ، بل القصد هو التوجه  
الكامل بالقلب والفكر والجسد في وقت واحد إلى الله»<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: «العدالة الاجتماعية» ص (٤٢-٤٥)، ومن الجدير بالذكر أن هذا الكتاب «العدالة  
الاجتماعية في الإسلام» هو أول مؤلفات سيد قطب في الفكر الإسلامي، ألفه قبل سفره إلى  
أمريكا عام ١٩٤٨ م.

وهو أول من أطلق مصطلح «العدالة الاجتماعية» واستعمله بعده الباحثون والكتابون بدل  
مصطلح «الاشتراكية».

وقد اتهم العلامة محمود شاكر - رحمه الله - سيداً بإساءته القول في حق الصحابة، وتهجمه  
على معاوية، ومن معه من الصحابة، وانتقاده للخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنهم  
أجمعين -.

«وقد طبع الكتاب عدة طبعات في حياة سيد، كانت آخرها الطبعة السادسة التي أصدرتها «دار  
إحياء الكتب العربية» عام ١٩٦٤ م، وهي طبعة مُنقَّحة، حيث حذف منها العبارات التي أخذها  
عليه الشيخ محمود شاكر وغيره، والمتعلقة بعثمان ومعاوية - رضي الله عنهما - اهـ. من «سيد  
قطب» للدكتور صلاح الخالدي ص (٥٤٠) بتصرف.

وأما تجلي (الحرية) الحقيقية عبر أفعال الصلاة وأقوالها، فقد تولى بيان ذلك بياناً شافياً الشيخ العلامة أبو الحسن الندوي - رحمه الله تعالى - حين قال ما ملخصه<sup>(١)</sup>:

«.. شرع افتتاح الصلاة بالتكبير، وبالكلمة الماثورة المتواترة المشروعة، لافتتاحها، وهي قول: «الله أكبر»، الكلمة البليغة الواضحة، المفهومة في كل زمان ومكان، ولكل مجتمع وبيئة وفرد، القوية المدوية المجلجلة، التي يخشع أمامها الجبابرة، ويهوي لها كل صنم، ويضطرب بها كل طاغية وطاغوت، - لو قالها المصلي بفهم ووعي، وإيمان وعقيدة، ولو فهمها الأعداء والمتزعمون، والمتسلطون على حقيقتها -، إن القدر المشترك بين الأصنام التي تُعبد، والأشخاص التي تُؤلَّه، والأشياء التي تُقدَّس، والقوى التي يُخضع لها، والرؤساء والزعماء الذين يطاعون طاعة عمياء مطلقة، هو العظمة والكبرياء، والتفوق والترفع، والاستعلاء والاستيلاء، فجاءت هذه الكلمة الموجزة المعجزة التي أمر بها في قوله: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدر: ٣]، تنفي هذه الدعاوى والدعوات، والمزاعم والإعلانات، والأوهام والخرافات، والمظاهر والسخافات، ويثور بها المصلي ثورة حاسمة عارمة، شاملة كاملة، فهو بذلك «لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها» ولا وكرًا من أوكار الفساد، ولا خلية من خلايا الطغيان، إلا أتى عليها، إنها أبلغ كلمة تفتتح بها صلاة المسلم الموحد.

وإذا آمن الإنسان بهذه الكلمة، التي يفتتح بها صلاته، فيعتقد ويشهد بعظمة الله وكبريائه، ويقول بلسان صدق وجد: «الله أكبر» وهيمنت عليه هذه العقيدة والشهادة، وتغلغلت في أحشائه، تضاءلت أمامه كل عظمة وكبرياء، يتظاهر بها الملوك والرؤساء، أو العظماء الكبراء - كما يسميهم الناس -، وزالت مهابته من

(١) انظر: «الأركان الأربعة» ص (٣٤-٣٧).

القلب، حتى تراءوا له حيوانات حقيرة، أو صورًا ودمى هزيلة، واستخفوا بمظاهر دولتهم وسطوتهم استخفافَ العماليق بسخافات الأفرام، واستخفافَ الشيوخ الكبار، بمهازل الأطفال الصغار.

إن الصلاة الخاشعة المخلصة التي يحافظ عليها المسلم بروحها وحقيقتها، وأدائها وأوقاتها، لا تتفق ولا تنسجم مع عبادة غير الله - ومن مظاهرها: الشرك، والوثنية، والخرافة - وعبودية غير الله - ومن مظاهرها: رهبة الحكام والأمراء، وأصحاب القوة والثروة، والأمر والنهي - واعتقاد النفع والضرر فيهم، والتزلف إليهم بكل وسيلة، وتملقهم، ومسايرتهم في جورهم وعدوانهم ...

فجميع أركان الصلاة، وجميع ما يقوله المصلي فيها، ويقطعه على نفسه ويعلنه ينافي ذلك أشد المنافاة، ويعارضه أشد المعارضة، وهو يعارض الكلمة التي يفتح بها صلاته، وهو قوله: «الله أكبر»، ويعارض قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فلا رب غيره ولا حمد لغيره، وهو يعارض قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فلا عبادة لغيره ولا استعانة بغيره، وهو ينافي الركوع والسجود «فلا ركوع جسديًا ومعنويًا، ولا سجود ظاهرًا وباطنًا» إلا لله - تعالى -، لذلك كان الذين تحققت فيهم هذه الصلاة، من أشجع الناس أمام الملوك والأمراء، وأجرئهم على الجهر بكلمة الحق، وأزهدهم في حُطام الدنيا، وأبعدهم عن التعاون على الإثم والعدوان»<sup>(١)</sup>.

(١) ومن أمثله الرائعة المستطرفة التي ليس عصرها بعيدًا، أن شيخًا ممن صحب السيد الإمام أحمد ابن عرفان (ت ١٢٤٦ هـ) إمام دعوة التوحيد والجهاد، ومؤسس الحكومة الشرعية في القرن الماضي في الهند، قصد مرة طبيبًا مسلمًا في بلده، وكان الشيخ قد علت سنه وأنهكه المرض، وكان المحل بعيدًا، فما وصل إلى الطبيب إلا وقد بلغ الجهد، وأعياء المشي على الأقدام، وبقي ينتظر خروج الطبيب برهة طويلة، فلما خرج الطبيب بعد انتظار شاق، أقبل على عبادة مبتدعة، فيها تعظيم لغير الله، فما كاد يقع نظر الشيخ عليه، إلا أمر تلميذه بالانصراف، وخرج من ساعته، فلما كان في الطريق، قال له، ما رأيت كالיום! أجهدت نفسك في الوصول =

قال الأستاذ إبراهيم خليل أحمد<sup>(١)</sup>:

«استوقفني كثيراً نظام التوحيد في الإسلام، وهو من أبرز معالم الإسلام. إن التوحيد يجعلني عبداً لله وحده، لست عبداً لأي إنسان، التوحيد في الإسلام يحرّر الإنسان، ويجعله غير خاضع لأي إنسان، وتلك هي الحرية الحقيقية، فلا عبودية إلا لله وحده»<sup>(٢)</sup> اهـ.

---

= إلى الطبيب، وأطلت الانتظار، فلما خرج، بادرتُ إلى الانصراف ولم تقض حاجتك منه؟ فقال له: ويحك ألم تره يعصي الله ويشرك به؟ فقال: ما لنا ولعمله، عليه ضلالتُه وسخافته، ولنا صناعته وبراعته، فقال: عجباً لأمرِك! إذا سكّتُ على ذلك، واستعنت به، فكيف أقوم في الليلة أمام ربي، وبأي لسان أقول في قنوت الوتر: «ونخلع، ونترك من يفجرِك»!؟

(١) كان قسّاً منصرّاً يحمل أعلى الشهادات اللاهوتية، وكان دؤوباً في التنفير عن الإسلام، ثم هداه الله إلى دين الحق، وأعلن إسلامه في (٢٥/١٢/١٩٥٩ م).

(٢) «رجال ونساء أسلموا» للأستاذ عرفات كامل العشي (٩٢/٤).

## شاهد من ألقابها

قال الفيلسوف الإنكليزي المعاصر ألدوس هكسلي<sup>(١)</sup>:

«إن الغرب ليس متقدماً، بل هو متقهقر منحط، وتقهقره هو نتيجة ابتعاده عن التوحيد<sup>(٢)</sup>، فإن أوربا مُنيت بوثنية جديدة، فهي تعبد الأصنام، وقد اخترعت أصناماً جديدة كالوطنية والقومية والجماهير والعقل والعلم وما إلى ذلك، فهذه هي آلهة الغرب..»

إن التقدم ليس بتقدم الآلة، التقدم بالبر والإحسان، أو بالتقوى والأخلاق، وأوربا ليس عندها أخلاق، لأنها تضطهد وتعذب البشر تعذيباً وحشياً، بل إن الغربيين لا تتحرك ضمائرهم عندما يجدون إنساناً يعذب ويمثل بإنسان آخر: بل ينظرون ويشاهدون ذلك في فيلم في السينما، فيهشون، وكأن ذلك مسلاة لهم كصراع الثيران..»

ثم يقول في فصل آخر: «ليس الإله هو إله النصراري المجسمة، بل هو الإله المنزه عن التجسم، الواحد الأحد» ويشرح هذا شرحاً مطولاً، ثم يقول: «ليس هناك إلحاد، وإنما هنالك إيمان بألهة مزيفة، الإلحاد ليس أمراً معقولاً أبداً؛ وإنما هو نتيجة لأسباب عارضة»<sup>(٣)</sup> ثم يذكر سببين كبيرين للإلحاد:

(١) وهذا الكاتب ليس بمسلم، وهذه الفقرات مختصرة من كتابه: «الغايات والوسائل» نقلاً من «النظرة الإسلامية إلى الكون والإنسان والحياة» للأستاذ محمد المبارك - رحمه الله -.

(٢) وهذه الكلمة (التوحيد) مترجمة ترجمة حرفية.

(٣) كأنه لم يبق بين الكاتب وبين سعادة الأبد سوى خطوة واحدة يخطوها إلى الأمام نحو الملة الحنيفية، بأن ينطق شهادة الحق معتقداً معناها. وتأمل - رحمك الله - شدة اقترابه من بعض حقائق عقيدة التوحيد الأساسية، كرفضه عقيدة النصراري المجسمة، وإثباته أن التوحيد هو الأصل، وأن الشرك طارئ على الفطرة البشرية السوية، ثم تأمل ربطه بين التوحيد وبين ثمرته الأخلاقية في قوله: «إن أوربا متأخرة أخلاقياً لابتعادها عن التوحيد» اهـ. فالحمد لله الذي أكمل لنا ديننا، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام ديناً.

«أولهما: الشهوات. أي الانطلاق مع الغريزة الجنسية، إذ يدفع أهلها إلى أن يشعروا وهم يمارسون فجورهم وفسقهم براحة وبألا رقابة عليهم، حينما يكونون مؤمنين بالله يشعرون بنوع من الألم والتمزق<sup>(١)</sup>، حينئذ لا يجدون سبيلاً إلى راحة ضميرهم وهم يرتكبون هذه الآثام إلا بطريقة واحدة، وهي أن يتردوا هذا الإيمان، فيكفرون بالله، ويلحدون ليستبيحوا هذه الأنواع<sup>(٢)</sup> من الفجور»<sup>(٣)</sup>.

«السبب الآخر العارض: الدكتاتورية والاستبداد، لأن هذا الرئيس المستبد يجد أن الله يشاركه في زعامته، فهو لا يريد زعيماً آخر منافساً له، فالناس حينما يؤمنون بعظمة الله وجبروته يتحررون من جبروت البشر وعبادة البشر، ويصبح الرئيس والملك والجميع عبيداً من عباد الله، وبما أن المستبدين يكرهون هذا لأنهم يريدون الانفراد بالزعامة والتأله، ولذلك فإنهم يسلكون مسلك الإلحاد»<sup>(٤)</sup> اهـ.

(١) أليس هذا مصداق قول الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم -: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» رواه الشيخان.  
وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا زنى العبد خرج منه الإيمان، فكان على رأسه كالظلة، فإذا ألقه رجع إليه» رواه أبو داود وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) فمن ثم قال دستوفيسكي: «إن الله إذالم يكن موجوداً فكل شيء مباح» تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً - وانظر: «دراسات في الفلسفة الحديثة» لعبد الرحمن بدوي ص (٢٣٢).

(٣) أليس هذا هو نفس المعنى الذي تضمنه قول الله جل وعلا -: ﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ ۗ﴾ [يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ، ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَّٰهُ أَنْ سُؤْيَ بِنَانِهِ، ﴿٤﴾ بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِفَجْرٍ أَمَامَهُ، ﴿٥﴾ يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ] [القيامة: ١-٦].

قال الفراء: «ليس من نفس محسنة أو مسيئة إلا وهي تلوم نفسها؛ فالمحسن يلوم نفسه أن لو كان ازداد إحساناً، والمسيء يلوم نفسه ألا يكون ارعوى عن إساءته»، وقال ابن عباس في تفسير ﴿بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِفَجْرٍ أَمَامَهُ﴾: «يعني الكافر يكذب بما أمامه من البعث والحساب»، وقال الضحاك: «هو الأمل، سوف أعيش، وأصيب من الدنيا، ولا يذكر الموت».

(٤) أليس هذا هو نفس ما تضمنته سورة القصص وغيرها من السور التي تشير إلى تأله فرعون القائل: ﴿مَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، والقائل: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، والقائل: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ومن ثم سمي بعضهم -اجتهاداً منه - سورة القصص سورة التحرير، تحرير الإنسان من العبودية لغير الله - عز وجل -.



## وأخيراً:

فإن مظاهر تحرير «لا إله إلا الله» للكائن الإنساني عديدة، فإلى جانب ما تقدم:

- هناك تحرير الإنسان من عبودية الشهوات واللذائذ والرغبات في منهج متوازن يلبي أشواق الفطرة، ويحفظ حرمة الناس، ويصون حرمة الله، ويعطي كل ذي حق حقه.

- وهناك تحريره من عبودية القيم الاجتماعية الظالمة قيم المال والجاه والحسب والنسب في ضوء القاعدة الإلهية العادلة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَتَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]

- وهناك تحريره من عبودية الخوف على الحياة، والقلق على الرزق، بضمان جريان القدر السابق بكتابة الرزق والأجل.

- وهناك التحرر من منة الخلق بسؤال الله وحده، وإيقاع الحاجات به دون سواه، لأن الله هو الصمد.

- وهناك تحرير الرقاب، ومنهج الإسلام الرائع في التعامل مع قضية الرق.

# الإسلامُ اللهُ

## (٢٥) منهج حياة

دللنا فيما تقدم<sup>(١)</sup> على أن «لا إله إلا الله» حياة، وهنا نسرد مقالة صاحب (المعالم) - رحمه الله - التي توضح أيضاً أن «لا إله إلا الله» منهج حياة، قال - رحمه الله -:

«العبودية لله وحده هي شطر الركن الأول في العقيدة الإسلامية المتمثل في شهادة: أن لا إله إلا الله. والتلقي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في كيفية هذه العبودية - هو شطرها الثاني، المتمثل في شهادة: أن محمداً رسول الله.

والقلب المؤمن المسلم هو الذي تتمثل فيه هذه القاعدة بشطريها، لأن كل ما بعدهما من مقومات الإيمان، وأركان الإسلام، إنما هو مقتضى لها. فالإيمان بملائكة الله وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وكذلك الصلاة والزكاة والصيام والحج، ثم الحدود والتعازير والحل والحرمة والمعاملات والتشريعات والتوجيهات الإسلامية.. إنما تقوم كلها على قاعدة العبودية لله وحده. كما أن المرجع فيها كلها هو ما بلغه لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ربه.

والمجتمع المسلم هو الذي تتمثل فيه تلك القاعدة ومقتضياتها...

ومن ثم تصبح شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، قاعدة لمنهج كامل تقوم عليه حياة الأمة المسلمة بحذافيرها، فلا تقوم هذه الحياة قبل أن تقوم

---

(١) راجع ص (١٤) وما بعدها.

هذه القاعدة، كما أنها لا تكون حياة إسلامية إذا قامت على غير هذه القاعدة، أو قامت على قاعدة أخرى معها، أو عدة قواعد أجنبية عنها:

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

## طبيعة المجتمع المسلم

إن السمة الأولى المميزة لطبيعة (المجتمع المسلم) هي أن هذا المجتمع يقوم على قاعدة العبودية لله وحده في أمره كله.. هذه العبودية التي تمثلها وتكيفها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

وتتجلى هذه العبودية في مظاهر شتى، منها عقيدة التوحيد الخالص المستلزمة لتوحيد العبادة، ومنها الشعائر الإسلامية التي تصبغ المجتمع بصبغة الله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة: ١٣٨]، ومنها الجوانب التشريعية والقضائية التي لا تستمد إلا من شرع الله - تعالى - .

- فليس عبداً لله وحده من لا يعتقد بوحداية الله - سبحانه -:

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُ الْإِنْسَانَ اتِّخَانًا إِنَّما هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَغْيَرَ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [النحل: ٥١، ٥٢].

- وليس عبداً لله وحده من يتقدم بالشعائر التعبدية لأحد غير الله - معه أو

من دونه:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وليس عبداً لله وحده من يتلقى الشرائع القانونية من أحدٍ سوى الله، عن

الطريق الذي بلَّغنا الله به، وهو رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١].

﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

هذا هو المجتمع المسلم. المجتمع الذي تتمثل العبودية لله وحده في معتقدات أفرادهِ وتصوراتهم، كما تتمثل في شعائرهم وعبادتهم، كما تتمثل في نظامهم الجماعي وتشريعاتهم...

أما تمثل العبودية لله - تعالى - وحده في المفهوم الاعتقادي، فيحسن بنا أن نقول: ما هو المفهوم والتصور الاعتقادي الإسلامي؟

إنه التصور الذي ينشأ في الإدراك البشري من تلقيه لحقائق العقيدة من مصدرها الرباني. والذي يتكيف به الإنسان في إدراكه لحقيقة ربه. ولحقيقة الكون الذي يعيش فيه - غيبه وشهوده - ولحقيقة الحياة التي ينتسب إليها - غيبها وشهودها - ولحقيقة نفسه.. أي لحقيقة الإنسان ذاته.. ثم يكيف على أساسه تعامله مع هذه الحقائق جميعاً. تعامله مع ربه تعاملًا تتمثل فيه عبوديته لله وحده، وتعامله مع الكون ونواميسه، ومع الأحياء وعوالمها، ومع أفراد النوع البشري وتشكيلاته تعاملًا يستمد أصوله من دين الله - كما بلَّغها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحقيقًا لعبوديته لله وحده في هذا التعامل.. وهو بهذه الصورة يشمل نشاط الحياة كله.

إن هذا المجتمع لا يقوم حتى يعلن أهله أن عبوديتهم الكاملة هي لله وحده، وأنهم لا يدينون بالعبودية لغير الله - تعالى -، ثم ينظموا حياتهم على أساس هذه العبودية الخالصة، وهكذا ينشأ المجتمع المسلم من انتقال أفرادهِ من العبودية لغير الله - تعالى - إلى العبودية لله وحده، لا شريك له، ثم إقامة نظام حياتهم على أساس هذه العبودية، بحيث تتمثل فيه - عملياً - قاعدة الإسلام الأولى بشرطها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

إن (الأمة) التي تقوم على هذا الأساس المتين تصبح مؤهلة لقيادة البشرية، وإخراجها من الظلمات إلى النور، ولقد وصف رسالتها إلى البشرية أدق الوصف رباعيُّ بنُ عامرٍ حين سأله رُسْتَم - قائد الفرس -: «ما جاء بكم؟»، فأجابه: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان، إلى عدل الإسلام»<sup>(١)</sup>.

أما الأمم المستهدفة بهذه الدعوة؛ فهي كل أمة لا تحقق معنى العبودية لله وحده، لا شريك له، فيدخل فيها:

### ● المجتمعات الشيوعية:

**أولاً -** بإلحادها في الله - سبحانه - وبإنكار وجوده أصلاً، ورجع الفاعلية في هذا الوجود إلى (المادة) أو (الطبيعة)، ورجع الفاعلية في حياة الإنسان وتاريخه إلى (الاقتصاد) أو (أدوات الإنتاج).

**ثانياً -** بإقامة نظام العبودية فيه للحزب - على فرض أن القيادة الجماعية في هذا النظام حقيقة واقعة! - لا لله - سبحانه -! ثم ما يترتب على ذلك التصور وهذا النظام من إهدار لخصائص (الإنسان) وذلك باعتبار أن (المطالب الأساسية) له هي فقط مطالب الحيوان، وهي: الطعام والشراب والملبس والمسكن والجنس! وحرمانه من حاجات رُوحه (الإنساني) المتميز عن الحيوان، وفي أولها: العقيدة في الله، وحرية اختيارها، وحرية التعبير عنها، وكذلك حرية التعبير عن (فرديته) وهي من أخص خصائص (إنسانيته). هذه الفردية التي تتجلى في الملكية الفردية. وفي اختيار نوع العمل والتخصص، وفي التعبير الفني عن (الذات) إلى آخر ما

(١) «البداية والنهاية» (٧/٣٩).

يميز (الإنسان) عن (الحيوان) أو عن (الآلة) إذ إن التصور الشيوعي والنظام الشيوعي سواء، كثيرًا ما يهبط بالإنسان عن مرتبة الحيوان إلى مرتبة الآلة<sup>(١)</sup>!

• ويدخل فيها المجتمعات الوثنية - وهي ما تزال قائمة في الهند واليابان والفلبين وأفريقية - تدخل فيه:

**أولاً -** بتصورها الاعتقادي القائم على تأليه غير الله - معه أو من دونه - ويدخل فيها ..

**ثانيًا -** بتقديم الشعائر التعبدية لشتى الآلهة والمعبودات التي تعتقد بألوهيتها .. كذلك تدخل فيها بإقامة أنظمة وشرائع، المرجع فيها لغير الله وشريعته. سواء استمدت هذه الأنظمة والشرائع من المعابد والكهنة والسدنة والسحرة، أو استمدتها من هيئات مدنية (علمانية) تملك سلطة التشريع دون الرجوع إلى شريعة الله .. أي أن لها الحاكمية العليا باسم (الشعب) أو باسم (الحزب) أو باسم كائن من كان .. ذلك أن الحاكمية العليا لا تكون إلا لله - سبحانه -، ولا تزاوُل إلا بالطريقة التي بَلَّغها عنه رسله.

• وتدخل فيها المجتمعات اليهودية والنصرانية في أرجاء الأرض جميعًا .. تدخل فيه هذه المجتمعات ..

**أولاً -** بتصورها الاعتقادي المحرّف، الذي لا يفرد الله - سبحانه - بالألوهية بل يجعل له شركاء في صورة من صور الشرك، سواء بالبنوة أو بالتثليث، أو اعتقاد ما لا يليق أن يوصف به - سبحانه وتعالى -، أو تصور علاقة خلقه به على غير حقيقتها:

---

(١) شاهد سلسلة: «التاريخ الدموي للشيوعية» على موقع: (www.harunyahia.tv) أو: (www.youtube.com).

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَسَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ رِيسَالٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَكُفُوا بِمَا كَفَرُوا وَتَوَّابُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٣].

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوْهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ﴾ [المائدة: ١٨].

- وتدخل فيه كذلك بشعائرها التعبدية ومراسمها وطقوسها المنبثقة من التصورات الاعتقادية المنحرفة الضالة.. ثم تدخل فيه بأنظمتها وشرائعها، وهي كلها لا تقوم على العبودية لله وحده، بالإقرار له وحده بحق الحاكمية، واستمداد السلطان من شرعه، بل تقيم هيئات من البشر، لها حق الحاكمية العليا التي لا تكون إلا لله - سبحانه -.. وقديماً وصمهم الله بالشرك لأنهم جعلوا هذا الحق للأحبار والرهبان، يشرعون لهم من عند أنفسهم فيقبلون منهم ما يشرعونه:

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْكَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].



وهم لم يكونوا يعتقدون في ألوهية الأحرار والرهبان. ولم يكونوا يتقدمون لهم بالشعائر التعبدية، إنما كانوا فقط يعترفون لهم بحق التشريع، فيقبلون منهم ما يشرعونه لهم، بما لم يأذن به الله.

وقد قال - عز وجل - : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ... ﴾ إلى أن قال - تعالى - : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٠-٦٥].

وهذه المجتمعات بعضها يعلن صراحة (علمانيته) وعدم علاقته بالدين أصلاً، وبعضها يعلن أنه (يحترم الدين)، ولكنه يُخرج الدين من نظامه الاجتماعي أصلاً، ويقول: إنه ينكر (الغيبية) ويقيم نظامه على (العلمية) باعتبار أن العلمية تناقض الغيبية! وهو زعم جاهل لا يقول به إلا الجهال<sup>(١)</sup>، وبعضها يجعل الحاكمة الفعلية لغير الله، ويُشرع ما يشاء، ثم يقول عما يشرعه من عند نفسه: هذه شريعة الله!.. وكلها سواء في أنها لا تقوم على العبودية لله وحده..

---

(١) انظر: «في ظلال القرآن» (٢/ ١١١٣-١١٢١).

## موقف الإسلام من الواقع

ما الأصل الذي ترجع إليه الحياة البشرية وتقوم عليه؟ أهو دين الله ومنهجه للحياة؟ أم هو الواقع البشري أيًّا كان؟

إن الإسلام يجيب على هذا السؤال إجابة حاسمة لا يتلعثم فيها ولا يتردد لحظة.. إن الأصل الذي يجب أن ترجع إليه الحياة البشرية بجملتها هو دين الله ومنهجه للحياة.. إن شهادة أن «لا إله إلا الله»، وأن محمدًا رسول الله» التي هي ركن الإسلام الأول، لا تقوم، ولا تُؤدَّى إلا أن يكون هذا هو الأصل.. وأن العبودية لله وحده مع التلقي في كيفية هذه العبودية عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا تتحقق إلا أن يُعترف بهذا الأصل، ثم يُتبع اتباعًا كاملاً بلا تلعثم ولا تردد:

﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

ثم إن الإسلام يسأل:

﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٠].

ويجيب:

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

والذي يعلم - والذي يخلق، ويرزق كذلك - هو الذي يحكم.. ودينه الذي هو منهجه للحياة، هو الأصل الذي ترجع إليه الحياة.. أما واقع البشر ونظرياتهم ومذاهبهم فهي تفسد وتنحرف، وتقوم على علم البشر الذين لا يعلمون، والذين لم يُؤتوا من العلم إلا قليلاً!

ودين الله ليس غامضًا، ومنهجه للحياة ليس مائعًا.. فهو محدد بشطر الشهادة الثاني: محمد رسول الله. فهو محصور فيما بلغه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، من النصوص في الأصول.. فإن كان هناك نص؛ فالنص هو الحَكَم، ولا اجتهاد مع النص. وإن لم يكن هناك نص فهنا يجيء دور الاجتهاد - وفق أصوله المقررة في منهج الله ذاته. لا وفق الأهواء والرغبات -: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

والأصول المقررة للاجتهاد والاستنباط مقررة كذلك ومعروفة وليست غامضة ولا مائعة.. فليس لأحد أن يقول لشرع يشرعه: هذا شرع الله، إلا أن تكون الحاكمة العليا لله معلنة، وأن يكون مصدر السلطات هو الله - سبحانه - لا (الشعب) ولا (الحزب) ولا أي من البشر، وأن يُرْجَعَ إلى كتاب الله وسنة رسوله لمعرفة ما يريد الله، ولا يكون هذا لكل من يريد أن يدَّعي سلطانًا باسم الله. كالذي عرفته أوروبا ذات يوم باسم (الثيوقراطية) أو (الحكم المقدس) فليس شيء من هذا في الإسلام. وما يملك أحد أن ينطق باسم الله إلا رسوله - صلى الله عليه وسلم - وإنما هنالك نصوص معينة هي التي تحدد ما شرع الله..

إن كلمة (الدين للواقع) يُساء فهمها، ويساء استخدامها كذلك.

نعم إن هذا الدين للواقع. ولكن أي واقع!

.. إنه الواقع الذي ينشئه هذا الدين نفسه، وفق منهجه، منطبقًا على الفطرة البشرية في سوائها، ومحققًا للحاجات الإنسانية الحقيقية في شمولها. هذه الحاجات التي يقررها الذي خلق، والذي يعلم من خلق: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

والدين لا يواجهه الواقع أيًّا كان ليقرَّه ويبحث له عن سند منه، وعن حكم شرعي يعلقه عليه كاللافتة المستعارة! إنما يواجهه الواقع ليزنه بميزانه، فيقر منه ما يُقر، ويُلغي منه ما يلغي، وينشئ واقعاً غيره إن كان لا يرتضيه، وواقعه الذي ينشئه هو الواقع. وهذا هو المعنى بأن الإسلام: (دين للواقع).. أو ما يجب أن تعنيه في مفهومها الصحيح!

### ولعله يُثار هنا سؤال:

أليست مصلحة البشر هي التي يجب أن تصوغ واقعهم؟! ومرة أخرى نرجع إلى السؤال الذي يطرحه الإسلام، ويجب عليه: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّٰهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]. إن مصلحة البشر متضمّنة في شرع الله، كما أنزله الله، وكما بلّغه عنه رسول الله.. فإذا بدا للبشر ذات يوم أن مصلحتهم في مخالفة ما شرع الله لهم، فهم.. (واهمون) فيما بدا لهم.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ (٢٣) أم للإنسن مَا تَمَنَّى (٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ [النجم: ٢٣-٢٥] اهـ<sup>(١)</sup>.

إن المسلم لم يُخلق ليندفع مع التيار، ويساير الركب البشري حيث اتجه وسار، بل خُلق ليوجّه العالم والمجتمع والمدنية، خُلق ليفرض على هذه البشرية التائهة اتجاهه، ويُملي عليها إرادته، لأنه صاحب رسالة «لا إله إلا الله»، وصاحب العلم اليقين بحقائق الوجود الكبرى، فهو المؤهل - بكل جدارة - لأن يكون مسئولاً عن هذا العالم وسيره واتجاهه، ولذلك فإن اللائق به لا يمكن أن يكون مقام التقليد والتبعية، إن منصبه اللائق به منصبُ الإمامة والقيادة، ومقام الإرشاد

(١) بتصرف من «معالم في الطريق» ص (٩٢-١٠٧).

والتوجيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال - تعالى - : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فإذا تنكرت له الدنيا، وعصاه الناس عن الجادة، لم يكن له أن يستسلم ويخضع ويضع أوزاره ويهادن الفتن، بل عليه أن يثور عليها، وينازلها، ويظل في صراع معها وعراكٍ حتى يقضي الله في أمره.

إن الخضوع للأحوال الخاسرة، والاستكانة للأوضاع القاهرة، والاعتذار بالقضاء والقدر - في غير محله - من شأن الضعفاء والأقزام، أما المؤمن القوي - المؤيد بروح من الله - فهو بنفسه قضاء الله الغالب، وقدره الذي لا يُرد، فبإيمانه بأن « لا إله إلا الله » يلين له الحديد، ويقرب منه البعيد، لأنها مصدر طاقته، ومنبع حركته:

نمّعه نيد عهه نق لقه وهه قهظ	عهه عهغ وفيه عيفعغ وقهغ
ههع نيد عهه نق نله عهن مقعغظ	ضدس وضعس ن نذجغ ن نذمقغ

إن ما يسمى (الأمر الواقع) سوف يظل في ميزان إسلامنا الحنيف باطلاً منقوضاً مهما طال العهد عليه، لأن تلك سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، والمعاند لها هالك لا محالة، فالحق واحد لا يتغير، ومهما يتقدم العهد على الباطل فسيظل باطلاً، وسيظل الحق هو هو - وإن حاد عنه كل الناس - مهما يجبر العمل على غير الحق، لأن الباطل زهوق لا تدوم له دولة، والحق هو ناموس الله الذي لا يتبدل:

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

## الإسلام بالله

### (٢٦) الرابطة الحقيقية بين أهل الإسلام

إن «لا إله إلا الله»، هي الرابطة الحقيقية التي اجتمع عليها أهل الإسلام،  
فبها يُحبون ويوالون، وعليها يُبغضون ويعادون، وبسببها أصبح المجتمع المسلم  
كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى،  
وأصبح كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

وبشهادة أن «لا إله إلا الله»، تنعقد آصرة الأخوة الإيمانية ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ  
إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال - صلى الله عليه وسلم -: «المسلم أخو المسلم»<sup>(١)</sup>.

وبها ينال المؤمن استغفارَ النبي - صلى الله عليه وسلم - قال - تعالى - :  
﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، واستغفارَ الملائكة:  
﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٧]، وشفاعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :  
«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»<sup>(٢)</sup>، وبها يشرفُ بمشاركة الله - تعالى - في اسمه -  
المؤمن».

وبها ينال المسلمُ أبوة إبراهيم - عليه السلام - : ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾  
[الحج: ٧٨]، وبها تصبح زوجاتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمهاتٍ له،  
قال - تعالى - : ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَفْسِهِمْ وَأَرْوَاجَهُمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

(١) رواه مسلم في «صحيحه» رقم [٢٥٨٠].

(٢) رواه الترمذي رقم [٢٥٦٦]، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢/٢٩٤).

وفي قراءة أبي: «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم»<sup>(١)</sup>.

ولهذا تفرع على هذه الأبوة أن جعلت أزواجه أمهاتهم، فإن أرواحهم وقلوبهم وُلدت به ولادة أخرى غير ولادة الأمهات، فإنه أخرج أرواحهم وقلوبهم من ظلمات الجهل والضلال والغي إلى نور العلم والإيمان وفضاء المعرفة والتوحيد، فشهدت حقائق أخر وأموراً لم يكن لها بها شعور قبله<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لهم يوماً: «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أعلمكم»<sup>(٣)</sup> الحديث.

وبها ينتسب المؤمن إلى خير أمة أخرجت للناس، فـ «عقيدة المؤمن هي وطنه، وهي قومه، وهي أهله.. ومن ثم يتجمع البشر عليها وحدها، لا على أمثال ما تتجمع عليه البهائم من كلاً ومرعى وقطيع وسياج.

والمؤمن ذو نسب عريق، ضارب في شعاب الزمان، إنه واحد من ذلك الموكب الكريم، الذي يقود خطاه ذلك الرهط الكريم: نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ويعقوب ويوسف، وموسى وعيسى ومحمد... عليهم الصلاة والسلام... ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢] <sup>(٤)</sup>.

(١) أورد هذه القراءة الطبري في «تفسيره» (٧٧ / ٢١)، والقرطبي في «تفسيره» (١٤ / ١٢٣)، وابن كثير (٣٨٢ / ٦)، وانظر ص (٣٠٠، ٣٠١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «والقراءة المشهورة تدل على ذلك: فإن نساءه - صلى الله عليه وسلم - إنما كن أمهات المؤمنين تبعاً له، فلو لا أنه كالأب لم يكن نساؤه كالأمهات» اهـ. من «منهاج السنة النبوية» (٥ / ٢٣٨).

(٢) انظر: «طريق الهجرتين» (١ / ٢٩).

(٣) رواه أبو داود رقم [٨]، وابن ماجه (١ / ١٣١)، والدارمي (١ / ١٧٢)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (١ / ١١٢).

(٤) «في ظلال القرآن» (١ / ١٢).

لقد ربط الإسلام المسلم بأخيه حتى صار كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، (فربط الإسلام لك بأخيك كربط يدك ببعصمك، ورجلك بساقك، كما جاء في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إن مثل المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»<sup>(١)</sup>)، ولذلك يكثر في القرآن العظيم إطلاق النفس، وإرادة الأخ تنيهاً على أن رابطة الإسلام تجعل أخا المسلم كنفسه، كقوله - تعالى - : ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]، أي: لا تخرجون إخوانكم، وكقوله - تعالى - : ﴿أَوَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]، أي: بإخوانهم على أصح التفسيرين، وقوله - عز وجل - : ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، الآية. أي: إخوانكم على أصح التفسيرين، وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٨]، أي: لا يأكل أحدكم مال أخيه، إلى غير ذلك من الآيات، ولذلك ثبت في الصحيح عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه»<sup>(٢)</sup>.

ومن الآيات الدالة على أن الرابطة الحقيقية هي الدين، وأن تلك الرابطة تتلاشى معها جميع الروابط النسبية والعصبية، قوله - تعالى - : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]؛ إذ لا رابطة نسبية أقرب من

(١) رواه البخاري (٤٣٨/١٠) رقم [٦٠١٢]، ومسلم رقم [٢٥٨٦]، من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنهما -.

(٢) رواه من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - البخاري (٥٦/١) رقم [١٣]، ومسلم رقم [٤٥]، والنسائي (١١٥/٨)، والترمذي رقم [٢٥١٧]، وابن ماجه رقم [٦٦].



رابطة الآباء والأبناء والإخوان والعشائر، وقوله: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١]، وقوله: ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، إلى غير ذلك من الآيات.

إن الرابطة الحقيقية التي تجمع المفترق، وتؤلف المختلف هي رابطة «لا إله إلا الله»، ألا ترى أن هذه الرابطة التي تجعل المجتمع الإسلامي كله كأنه جسد واحد، وتجعله كالبنيان يشد بعضه بعضاً؛ عطفت قلوب حملة العرش ومن حوله من الملائكة على بني آدم في الأرض مع ما بينهم من الاختلاف، قال - تعالى -: ﴿ الَّذِينَ يَجْلِسُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [غافر: ٧-٩].

فقد أشار - تعالى - إلى أن الرابطة التي ربطت بين حملة العرش ومن حوله، وبين بني آدم في الأرض حتى دَعَوْا الله لهم هذا الدعاء الصالح العظيم؛ إنما هي الإيمان بالله - جل وعلا -، لأنه قال عن الملائكة: ﴿ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [غافر: ٧]، فوصفهم بالإيمان، وقال عن بني آدم في استغفار الملائكة لهم: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [غافر: ٧]، فوصفهم أيضاً بالإيمان، فدل ذلك على أن الرابطة بينهم هي الإيمان، وهو أعظم رابطة.

ومما يوضح ذلك قوله - تعالى - في أبي لهب عم النبي - صلى الله عليه وسلم -: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ [المسد: ٣]، ويُقابل ذلك بما لسلمان الفارسي - رضي الله عنه - من الفضل والمكانة عند النبي - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين، ولقد أجاد من قال:

لهين غغن وو عذ نيه ن هه هه  
 ون ف وت عهن نقة عه ايذ طذع هه هه

وقد أجمع العلماء على أن الرجل إن مات، وليس له من الأقرباء إلا ابن كافر؛ أن إرثه يكون للمسلمين بأخوة الإسلام، ولا يكون لولده لصلبه الذي هو كافر، والميراث دليل القرابة، فدل ذلك على أن الأخوة الدينية أقرب من البنوة النسبية<sup>(١)</sup>.

واعتبر ذلك أيضًا بقول الله - تعالى - مخاطبًا نوحًا - عليه السلام - في شأن ابنه الكافر: ﴿ قَالَ يَنْفُخُ فِيهِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ [هود: ٤٦]، لأن مدار الأهلية هو القرابة الدينية، كما قال أمير المؤمنين عليّ - رضي الله عنه -: «ألا وإن وليّ محمدٍ من أطاع الله، وإن بُعدت لُحمتُهُ، ألا وإن عدو محمد من عصى الله، وإن قربت لُحمتُهُ»<sup>(٢)</sup>.

كان الحافظ ابن حجر - رحمه الله - يقرأ أجزاء على شيخه إبراهيم بن داود الأمدي برهان الدين، فقال في قراءته عليه تأدبًا: «أخبركم - رضي الله عنكم وعن والديكم -»، فنظر إليه الأمدي منكّرًا، وقال: «ما كان على الإسلام»<sup>(٣)</sup>.

(١) بتصرف من «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٣/٤٠١-٤٠٨).

(٢) انظر: «محاسن التأويل» للقاسمي (٩/٣٤٤٨، ٣٤٤٩).

(٣) لأن أباه مات على النصرانية وهو صغير، فحمله وصيه الشيخ عبد الله الدمشقي إلى مجلس شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -، فأسلم عليه.

لقد علمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه يجب موالاته كل مسلم بحسب موالاته لله ورسوله والمؤمنين، وأنه يُحب، ويوالى بقدر نصرته للمؤمنين، ونكايته في أعداء الدين:

قال - عز وجل -: ﴿ إِنهَا وَلِيكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

وقال - تبارك وتعالى -: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١].

وعن أبي بَرزَةَ الأسلمي - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان في مَغزَى<sup>(١)</sup> له، فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: «هل تفقدون من أحد؟»، قالوا: نعم، فلاناً، وفلاناً، وفلاناً، ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟»، قالوا: نعم، فلاناً، وفلاناً، وفلاناً، ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟»، قالوا: لا، قال: «لكني أفقد جَلِيبياً<sup>(٢)</sup>، فاطلبوه»، فطُلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فوقف عليه، فقال: «قتل سبعة، ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه<sup>(٣)</sup>»، قال: فوضعه على ساعديه، ليس له سرير إلا ساعدا النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: فحُفِر له، ووُضِع<sup>(٤)</sup> في قبره، ولم يذكر غُسلًا<sup>(٥)</sup>.<sup>(٦)</sup>

(١) أي: في سفر غزوه له، أي: وفيمن معه جليبي.

(٢) جليبي: تصغير جلاب.

(٣) ومعناه: المبالغة في اتحاد طريقتهم، واتفاقهما في طاعة الله - تعالى -، عكس قوله - صلى الله عليه وسلم -: «من رغب عن سنتي فليس مني».

(٤) وفي رواية: ثم وضعه في قبره.

(٥) لأن الشهيد لا يُغسَل، ولا يصلّى عليه.

(٦) رواه الإمام أحمد (٤ / ٤٢١)، ومسلم رقم [٢٤٧٢].

وعن ثابت البُناني عن أنس - رضي الله عنه - قال: «خطب النبي - صلى الله عليه وسلم - على جلييب امرأة من الأنصار، فقال<sup>(١)</sup>: «حتى أستأمر أمها»، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «فنعلم إذا»، فانطلق الرجل إلى امرأته، فذكر ذلك لها، فقالت: «لاها الله<sup>(٢)</sup> إذا ما وجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا جلييباً<sup>(٣)</sup>، وقد منعناها من فلان وفلان؟!»، قال: «والجارية في سترها تستمع، قال: فانطلق الرجل يريد أن يخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك، فقالت الجارية: «أتريدون أن تردوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمره<sup>(٤)</sup>؟ إن كان قد رضي لكم؛ فأنكحوه»، فكأنها جلت<sup>(٥)</sup> عن أبيها، وقالوا: «صدقت»، فذهب أبوها إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: «إن كنت قد رضيته؛ فقد رضيها»، قال: «فإني قد رضيته»، فزوجها، ثم فرغ<sup>(٦)</sup> أهل المدينة، فركب جلييب، فوجدوه قد قُتل، وحواله ناس من المشركين قد قتلهم، قال أنس: «فلقد رأيتهما، وإنما لمن أنفق<sup>(٧)</sup> بيت في المدينة».

(١) أي: أبوها.

(٢) أي: هذا يميني، و«لا» لنفي كلام الرجل، و«ها» بالمد والقصر بمعنى واو القسم، ولفظ الجلالة مجرور بها.

(٣) «إذا ما وجد..»، إلخ هو جواب القسم، قالت ذلك؛ لأن جلييباً كان في وجهه دمامة.

(٤) وفي رواية: «ادفعوني إليه، فإنه لم يضيغي».

(٥) جلت: كشفت وأوضحت أمراً خفي عليهما، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - ﴿أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِن نَفْسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، ولقوله - تعالى -: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقوله - عز وجل -: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

(٦) أي: أخافهم العدو.

(٧) أنفق: من التفاق، بفتح النون المشددة، وهو ضد الكساد، والمعنى أنها كانت أعظم امرأة أيم في بيوت المدينة يتسابق إليها الخطاب بعد قتل جلييب، وذلك ببركة كونها رضيت بنكاح جلييب الذي كان ينفر منه الناس، وبركة دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لها.

وفي رواية قال ثابت: «فما كان في الأنصار أيّمْ أنفقُ منها»<sup>(١)</sup>، وحدث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ثابتًا قال: هل تعلم ما دعا لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: قال: «اللهم صُبَّ عليها الخير صَبًّا، ولا تجعل عيشها كدًّا»<sup>(٢)</sup>، قال: «فما كان في الأنصار أيّمْ أنفقُ منها».

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الأشعريين إذا أرملوا<sup>(٤)</sup> في الغزو، أو قَلَّ طعامُ عيالهم في المدينة؛ جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني<sup>(٥)</sup>، وأنا منهم»<sup>(٦)</sup>.

هكذا لقّن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمته هذا المعيار الدقيق للولاء والانتماء، وفي الجانب المقابل لقنهم معيار البراء في مثل قوله - صلى الله عليه وسلم -: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»<sup>(٧)</sup>، وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى»<sup>(٨)</sup>. الحديث.

(١) رواه الإمام أحمد (٤/٤٢٢).

(٢) الكد: الشدة والضيقة.

(٣) الأيم: المرأة التي ليس لها زوج بكرًا كانت أو ثيبًا.

(٤) أرمِل القوم: إذا فني زادهم ونَفَدَ، وأصله من الرمل، كأنهم لصقوا بالرمل من القلة، كما قيل في ﴿ذَامَرِيَّةٌ﴾ [البلد: ١٦]، اهـ. من «فتح الباري» (٥/١٣٠).

(٥) أي: هم متصلون بي، وتسمي «من» هذه الاتصالية، كقوله: «لست من دِدٍ»، انظر: «السلسلة الضعيفة»، رقم [٢٤٥٣]، والدُّدُّ: اللهو واللعب.

(٦) رواه البخاري (٥/١٢٨)، رقم [٢٤٨٦]، ومسلم رقم [٢٥٠٠].

(٧) أخرجه أبو داود رقم [٥١٢١]، من حديث جبير بن مطعم - رضي الله عنه -، وإسناده ضعيف، ويشهد له ما رواه مسلم برقمي [١٨٤٨]، [١٨٥٠].

(٨) رواه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده الترمذي رقم [٢٦٩٦]، وقال الحافظ في «الفتح»: في «سنده ضعف».

وكان أولى الناس بالتزام هذا المعيار العلماء الذين هم ورثته - صلى الله عليه وسلم -، فكانوا يزنون الأشخاص، ويحددون أقدارهم تبعاً لمقدار نفعهم للإسلام وأهله، ونكايتهم لأعداء الإسلام وأهله، وكانت رقعة محبتهم للشخص تتسع بقدر محبته لله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، فإن من أحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحب خُدَّامه وأصحابه، وأحب حملة العلم والقرآن.

حكى ابن كثير في (تاريخه): «أن أبا محمد البربهاري الحنبلي - العالم الزاهد الفقيه - عطس يوماً وهو يعظ، فشتمته الحاضرون، ثم شمته من سمعهم، حتى شمته أهل بغداد، فانتهت الضجة إلى دار الخلافة»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو حاتم الرازي: «ما رأيت أحداً أعظم قدراً من أبي مُسَهِرٍ، كنتُ أراه إذا خرج إلى المسجد، اصطفَّ الناسُ يسلمون عليه، ويقبلون يده»<sup>(٢)</sup>.

وقال المرزوقي: «قدم رجل من طرسوس، فقال: كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هدأ الليل؛ رفعوا أصواتهم بالدعاء: «ادعوا لأبي عبد الله»<sup>(٣)</sup>، يعني الإمام أحمد ابن حنبل - رحمه الله -».

واعتادت أم الشيخ (محمد رشيد رضا) - رحمه الله - أن تراه مهتماً لأحوال المسلمين إذا ألمت بهم أو بأحد منهم نائبة، ورأته ذات يوم على هذه الحال، فقالت له: «مالك؟ هل مات مسلم بالصين؟»

(١) «البداية والنهاية» (١١ / ٢٠١).

(٢) «الجرح والتعديل» (٦ / ٢٩).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١ / ٢١٠).



لقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»<sup>(١)</sup>، فكم تساوي نسبة (الوطن) من جناح البعوضة؟!

- أما في الدنيا، فأحب الأوطان إلى المؤمن مكة المكرمة، والمدينة النبوية، وبيت المقدس، وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن محبته مكة المكرمة مبنية على أنها: «أحب بلاد الله إلى الله»، فمحبتنا لهذه البقاع التي اختارها الله، وباركها، وأحبها فوق محبتنا لمسقط الرأس، ومحضن الطفولة، ومرتع الشباب.

- وأما ما عدا هذه البلاد المقدسة فإن الإسلام هو وطننا وأهلنا وعشيرتنا، وحيث تكون شريعة الإسلام حاكمة وكلمة الله ظاهرة فثَمَّ وطننا الحبيب الذي نغديه بالنفس والنفيس، ونذود عنه بالدم والولد والمال.

وهقغ ظفقيقووعطق ههيوكيع  
عهاة نيه ووعفد عههيه قبيعه  
لففغ ظقفغظهههه غغظوكعدي  
وضيغع قنة عقة عئ نيد غهف

أما الوطنية بمعناها المحصور في قطعة أرض رسم حدودها أعداؤها، أو عرق، أو لون، أو جنس، فهذا مفهوم دخيل لم يعرفه السلف ولا الخلف، وإنما طرأ علينا ضمن ركام المفاهيم المخربة التي زرعا الغربيون وأذناهم لمزاحمة الانتماء الإسلامي، وتوهين الهوية المسلمة، التي ذوبت قوميات الأمم التي فتحتها في قومية واحدة هي (القومية الإسلامية) ودمجتها في (أمة التوحيد)، وهاك شهادة (شاهد من أهلها) هو المؤرخ اليهودي (برنارد لويس) الذي قال: «كل باحث في التاريخ الإسلامي يعرف قصة الإسلام الرائعة في

(١) رواه من حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه - الترمذي [٢٣٢٠]، وقال: «حديث صحيح غريب من هذا الوجه»، وصححه الألباني لشواهدة في «الصحيحة» رقم [٦٨٦].



محاربتة لعبادة الأوثان منذ بدء دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وكيف انتصر النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحبه، وأقاموا عبادة الإله الواحد التي حلت محل الديانات الوثنية لعرب الجاهلية، وفي أيامنا هذه تقوم معركة مماثلة أخرى، ولكنها ليست ضد اللات والعزى وبقية آلهة الجاهليين، بل ضد مجموعة جديدة من الأصنام اسمها: الدولة، والعنصر، والقومية.

وفي هذه المرة يظهر أن النصر حتى الآن هو حليف الأصنام، فإدخال هرطقة القومية العالمية، أو عبادة الذات الجماعية كان أرسخ المظالم التي أوقعها الغرب على الشرق الأوسط، ولكنها مع كل ذلك كانت أقل المظالم ذكراً وإعلاناً..» اهـ.

ويقرر نفس المؤرخ حقيقة ناصعة، فيقول: «فالليبرالية، والفاشية، والوطنية، والقومية، والشيوعية، والاشتراكية، كلها أوروبية الأصل مهما أفلّمها وعدّلها أتباعها في الشرق الأوسط، والمنظمات الإسلامية هي الوحيدة التي تنبع من تراب المنطقة، وتعبّر عن مشاعر الكتل الجماهيرية المسحوقة، وبالرغم من أن كل الحركات الإسلامية قد هُزمت حتى الآن غير أنها لم تقل بعد كلماتها الأخيرة» اهـ.

وقال أحد المستشرقين: «إننا في كل بلد إسلامي دخلناه نبشنا الأرض لاستخراج حضارات ما قبل الإسلام، ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد المسلم إلى عقائد ما قبل الإسلام ولكن يكفيننا تذبذبٌ ولائه بين الإسلام وبين تلك الحضارات»<sup>(١)</sup> اهـ.

---

(١) انظر: «كيف نكتب التاريخ الإسلامي؟» للأستاذ محمد قطب ص (٢٨).

وحين يتعلق الأمر بالمسلمين، فإن الغرب يكيل لنا بمكيال واحد لا بمكيالين، والمكيال الواحد هو مكيال التعصب الأعمى، والحقّد الأسود، والظلم الصارخ للمسلمين، فبينما يقوم بإلغاء الحدود بين بلاده، ويوحد عملته، ويوطد وحدته، إذا به يمزقنا إربًا إربًا.

- والعقيدة الإسلامية هي المنظار الذي يرى المؤمن من خلاله القيم والأفكار والمبادئ، ويحكم على الأشخاص، وينزلهم منازلهم، وهي (المرشّح المهيمن) الذي يقوم بترشيح (التراث التاريخي) ليحدد ما يُقبل منه وما يُرفض:

- ففرعون وملؤه كانوا مصريين لكنهم كانوا كفارًا وثنيين، وكان موسى - عليه السلام - وأتباعه على الإسلام مؤمنين، فواجب المؤمن أن يعادي أعداء الله، ويبرأ منهم، ولو كانوا من جلدته، ويتكلمون بلسانه، ويوالي حزّب الله وأولياءه، من كانوا، وأين كانوا، ومتى كانوا، قال - تعالى -: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال - سبحانه -: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال - سبحانه -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [الآية [المائدة: ٥١].

وقال - تعالى - في الملاء المؤمنين من بني إسرائيل: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٥٠﴾ فهكزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت ﴿الآية [البقرة: ٢٥٠، ٢٥١]، فنحن - المسلمون - نعد هذا نصرًا لعقيدتنا الإسلامية على هؤلاء الكافرين وإن كانوا (فلسطينيين).

- وأوضح من هذا وأصرح أن نقول: لو قَدَّر أن الله بعث داود وسليمان - عليهما السلام - إلى الحياة من جديد فإنهما حتماً سيكونان متبعين لشريعة محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، مصداق قول الله - تعالى -: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

ومصداقه في قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إنه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حلَّ له إلا أن يتبعني»<sup>(١)</sup>. فنحن أولى بموسى من اليهود، ونحن على دين موسى دونهم، ولو بُعث موسى وداود وسليمان لواجهوا اليهود، والنصارى، والعالميين، وسائر الملحدين، ولعبدوا الله في المسجد الأقصى على شريعة الإسلام كما كانوا يعبدونه وحده فيه قبل نسخ شريعتهم، ولرفعوا راية الجهاد في سبيل تطهير فلسطين من قتلة الأنبياء، الملحونين على لسان الأنبياء.

وحين تقرأ القرآن الكريم وهو يسرد عليك قصة موسى - عليه السلام - وفرعون؛ إلى أين تتجه عاطفتك: إلى بني جلدتك المصريين أم إلى موسى وحزب الله المؤمنين؟ إلى بني جنسك المصريين أم إلى سحرة فرعون عندما واجهوه وتحذَّوه؟ فتحبهم لإيمانهم، وإذا قرأت قوله - تعالى -: ﴿هَٰذَا مِنْ شِعْرِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَذُوبِهِ﴾ [القصص: ١٥]، فإنك تنحاز - بلا تردد - إلى موسى وشيعته المسلمين ضد أعدائهم ولو كانوا من بني جلدتك.

(١) رواه الدارمي والإمام أحمد وغيرهما، وحسنه الألباني في «تخريج منار السبيل» رقم [١٥٨٩]، وانظر: «فتح الباري» (١٣/ ٣٣٤).

ومصداق ذلك أيضًا أن المسيح - عليه السلام - حين ينزل آخر الزمان يحكم بالإسلام، ويصلي أول نزوله مأمومًا وراء المهدي، ويقاتل اليهود، ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، وقال - صلى الله عليه وسلم -: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبي، والأنبياء أولادُ عَلاتٍ؛ أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»<sup>(١)</sup>.

فنحن - المسلمون - أولياء المسيح وأحباؤه، ونحن أتباعه على الإسلام الذي دعا إليه، المقصودون بقوله - تعالى - : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وهكذا فإن شعيرة الولاء والبراء هي الترجمة الفعلية لأصل الدين المشترك بين الرسالات السماوية، الذي يتلخص في كلمة واحدة هي: «لا إله إلا الله».

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٤٧٧ - ٤٧٨)، ومسلم [٢٣٦٥]، وأبو داود [٤٦٧٥].

## الإسلام بالله

### (٢٧) سَعَاءُ اللَّهِ لِمَنْ الْبَايَعُوا بَعْدَ انْدِرَاسِ الشَّرَائِعِ

كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» هي آخر ما يبقى من الإسلام في الأرض بعد اندراس الشرائع، ورفع القرآن الكريم.

فعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه -، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «يُدْرُسُ الإسلامُ كما يُدْرَسُ<sup>(١)</sup> وَشِي الثوب<sup>(٢)</sup>، حتى لا يُدْرَى ما صِيامٌ، ولا صلاةٌ، ولا نُسْكٌ، ولا صدقةٌ، ولا يُسْرَى على كتاب الله - عزَّ وجلَّ - في ليلةٍ، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائفٌ من الناس: الشيخ الكبير والعجوزُ، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة (لا إله إلا الله)، فنحن نقولها»، وزاد الحاكم في روايته: قال صلَّةُ بنُ زُفرٍ لحذيفة: ما تُغني عنهم: (لا إله إلا الله)، وهم لا يدرون ما صلاةٌ، ولا صيامٌ، ولا نُسْكٌ، ولا صدقةٌ؟، فأعرض عنه حذيفة، ثم رَدَّها عليه ثلاثاً، كل ذلك يُعْرِضُ عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: «يا صلَّة! تنجيهم من النار - ثلاثاً»<sup>(٣)</sup>.

(١) يُدْرَسُ: من درس الرسم دروساً، إذا عفا وهلك.

(٢) وَشِي الثوب: نقشه.

(٣) أخرجه ابن ماجة [٤٠٤٩]، والحاكم (٤/٤٧٣)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، ثم الألباني «الصحيحة» [٨٧]، وقال البوصيري في «الزوائد»: «إسناده صحيح، رجاله ثقات» اهـ. (٣/٢٥٤).

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في شرحه:

«وهذا دال على أن العلم قد يُرفع من الناس في آخر الزمان، حتى القرآن يَسْرَى عليه النسيان في المصاحف والصدور، ويبقى الناس بلا علم، وإنما الشيخ الكبير، والعجوز المسنة، يُخبران بأنهم أدركوا الناس، وهم يقولون: «لا إله إلا الله»، فهم يقولونها على وجه التقرب إلى الله - عزَّ وجلَّ -، فهي نافعة لهم، وإن لم يكن عندهم من العمل الصالح والعلم النافع غيرها.

وقوله: «تنجيهم من النار» يحتمل أن يكون المراد أنها تدفع عنهم دخول النار بالكلية، ويكون فرضهم القول المجرد لعدم تكليفهم بالأفعال التي لم يُخاطبوا بها، والله - تعالى - أعلم.

ويُحتمل أن يكون المعنى أنها تُنجيهم من النار بعد دخولها، وعلى هذا؛ فيُحتمل أن يكونوا من المراد بقوله - تعالى - في الحديث القدسي: «وعزَّتي وجلالي لأُخرجَنَّ من النار من قال يوماً من الدهر: لا إله إلا الله». ويُحتمل أن يكون أولئك قومًا آخرين، والله أعلم.

**والمقصود:** أن العلم يُرفع في آخر الزمان، ويكثر الجهل<sup>(١)</sup> .

---

(١) «نهاية البداية والنهاية» (١/ ٣١، ٣٢)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٠٨).

# الإسلام بالله

(٢٨) **مِلَّةُ مُحَمَّدٍ**

«أشعر كأني وُلِدْتُ من جديد»

عبارة مألوفة تجري على ألسنة المهتمين إلى الإسلام بعد أن ينطقوا بشهادة التوحيد، وينضموا إلى موكب الموحدين.

ومن الطريف أن يُسأل كبار السن منهم عن عمرهم في بعض المجالس فيجيب أحدهم بأن عمره مثلاً سبع سنوات أو أقل أو أكثر، فيحسبهم الجاهل بحالهم يمزحون، وما هي بمزحة ولكنها الحقيقة: إنه يعني أنه وُلد من جديد، ووهبه الله الحياة الحقيقية في اليوم الذي أشرق فيه قلبه بنور «لا إله إلا الله»، ودبت في جسده الميت بالكفر روح «لا إله إلا الله»، وذاق حلاوة الإيمان، وعاش الحياة الطيبة حين نطق «لا إله إلا الله».

عن العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ذاق طعمَ الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً»<sup>(١)</sup>.

لقد أجمع العلماء على أن توبة الكافر بأن يُسلم مقطوع بقبولها إذا وقعت قبل الغرغرة، وقبل طلوع الشمس من مغربها، وأجمعوا على أنه ليس على الكافر الأصلي إذا تاب أن يقضي ما فاته من الفرائض منذ بلوغه حتى إسلامه مهما طال الزمن، ودليل ذلك:

قوله - تعالى - : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعَفَّرْ لَهُمْ مَا قَدَّ سَلَفَ ﴾ [الأَنْفَال: ٣٨].

(١) رواه مسلم [٣٤].

قوله - تعالى - : ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ قال القرطبي: يريد عن الكفر. قال ابن عطية: ولا بد؛ والحامل على ذلك جواب الشرط ﴿يُغْفَرَ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ومغفرة ما قد سلف لا تكون إلا لمُنتَهٍ عن الكفر<sup>(١)</sup>. ولقد أحسن القائل أبو سعيد أحمد بن محمد الزبيري:

يقغوفغعهلنوعهنغوعقععلغقند غهعهغمولمهعظنغعهوعنغقند  
هنوههقغضعههنيدهههلغقند<sup>ة</sup>عهيهغوعيلنقههمههعنغقهنه<sup>(٢)</sup>

وأخرج ابن أبي حاتم عن مالك بن أنس - رضي الله عنه - قال: لا يؤخذ كافر بشيء صنع في كفره إذا أسلم، وذلك أن الله - تعالى - يقول: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: لما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلت: ابسط يمينك فلأبأبعك. فبسط يمينه فقبضت يدي، قال: «مالك؟» قلت: أردت أن أشرط. قال: «تشرط بماذا؟».

(١) قال ابن العربي - رحمه الله -: «قال علماؤنا: هذه لطيفة من الله - سبحانه - من بها على الخليفة؛ وذلك أن الكفار يقتحمون الكفر والجرائم، ويرتكبون المعاصي، ويرتكبون المآثم؛ فلو كان ذلك يُوجب مؤاخذتهم لما استدركوا أبداً توبة، ولا نالتهم مغفرة؛ فيسر الله - تعالى - عليهم قبول التوبة عند الإنابة، وبذل المغفرة بالإسلام، وهدم جميع ما تقدم؛ ليكون ذلك أقرب إلى دخولهم في الدين، وأدعى إلى قبولهم كلمة الإسلام، وتأليفاً على الملة، وترغيباً في الشريعة؛ فإنهم لو علموا أنهم يؤاخذون لما أنابوا ولا أسلموا.

فقد روى مسلم أن رجلاً فيمن كان قبلكم قتل تسعة وتسعين نفساً، سأل: هل له توبة؟ فجاء عابداً فسأله، فقال: لا توبة لك، فقتله، وكمل به مائة؛ الحديث.

فانظروا إلى قول العابد له: لا توبة له؛ فلما علم أنه قد آسأه قتله؛ فعَلَّ اليأس من الرحمة. والتنفيرُ مفسدة للخليفة، والتيسيرُ مصلحة لهم» اهـ. من «أحكام القرآن» له (٢/٨٥٢، ٨٥٣).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/٤٠٢).

(٣) «الدر المنثور» (٧/١٢٢).



قلت: أن يُغفرَ لي. قال: «أما علمتَ أن الإسلامَ يهدم ما كان قبله<sup>(١)</sup>، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحجَّ<sup>(٢)</sup> يهدم ما كان قبله؟»<sup>(٣)</sup>.

(١) أي: من الكفر، والمعاصي إذا تاب منها.

(٢) وهذا المعنى يوضحه ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كهيئته يوم ولدته أمه» رواه الإمام أحمد (٢/٢٢٩)، وفي لفظ: «خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»، وفي لفظ: «كما خرج من بطن أمه» رواه الإمام أحمد (٢/٤٨٤)، وهذه إشارة إلى الميلاد الجديد بالتوبة من المعاصي وبالتوبة من الكفر إلى الإسلام من باب أولى، ولهذا نظائر تبشر بهذا الميلاد الجديد: مثل قوله - صلى الله عليه وسلم -: «من أتى بيت المقدس لا يَنْهَرُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ خَرَجَ مِنْ خَطِيئَتِهِ مِثْلَ مَنْ يَوْمَ وُلِدَتْهُ أُمُّهُ» رواه الإمام أحمد [٦٦٤٤]، وقال محققوه: «إسناده صحيح». وَيَنْهَرُهُ: يُخْرِجُهُ.

وعن عمرو بن عبسة، قال: يا رسول الله، كيف الوضوء؟ قال: «أما الوضوء، فإنك إذا توضأت، فغسلت كفيك، فأنتيهمما، خرجت خطاياك من بين أظفارك وأناملك، فإذا مضمضت، واستنشقت مَنَحَرَيْكَ، وغسلت وجهك، ويديك إلى المرفقين، ومسحت رأسك، وغسلت رجليك إلى الكعبين، اغتسلت من عامَّة خطاياك، فإن أنت وضعت وجهك لله - عزَّ وجلَّ - خرجت من خطاياك كيوم ولدتك أمك». «صحيح سنن النسائي» (٣٣، ٣٢ / ١) [١٤٣].

وفي حديث كعب بن مالك - رضي الله عنه - في قصة تخلفه عن غزوة تبوك، حين بشره النبي - صلى الله عليه وسلم - بتوبة الله عليه قال: فانطلقت إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون، وهو يستنير كاستنارة القمر، وكان إذا سُرَّ بالأمر استنار، فجئت جلست بين يديه، فقال: «أبشر يا كعبُ بن مالك بخير يوم أتى عليك منذ ولدتك أمك». «صحيح أبي داود» [١٩١٢]، و«صحيح سنن الترمذي» رقم [٢٤٧٨].

وفي تشبيهه من أتى بهذه الأفعال برجوعه طاهرًا من الخطايا كيوم خرج من بطن أمه؛ ما فيه من محاسن الإسلام خلافًا للعقيدة النصرانية الفاسدة التي تزعم أن الطفل يولد يوم يخرج من بطن أمه ملوثًا بخطيئة الأبوين آدم وحواء - عليهما السلام - المزعومة، ويعتبرون أن قضية (الخطيئة الأصلية الموروثة) هذه أساس عقيدتهم، رغم أن الله - تعالى - تاب على الأبوين ومحا عنهما أثر المخالفة قبل إهباطهما إلى الأرض، وقد قال - تعالى -: ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ لَنَا فِي صُحُفٍ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [النجم: ٣٦-٣٨].

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٩/٣٦٠) [١٧٨٢٧]، ومسلم [١٢١].

فكما أن الحج يهدم ما قبله من الذنوب، فيعود المرء طاهرًا من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فكذلك الإسلام يهدم ما قبله من الكفر والمعاصي فيعود طاهرًا منها كحاله يوم ولدته أمه.

إن شهادة أن لا إله إلا الله هي شهادة ميلاد جديد، وإعلان عن نشأة أخرى، وحياة ثانية هي الحياة (الطيبة) التي قال الله - سبحانه - فيها: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال - عز وجل - : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وسبب هذه الولادة الثانية هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولذلك كان - صلى الله عليه وسلم - أبًا للمؤمنين كما في قراءة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ «وهو أب لهم»<sup>(١)</sup> «أي في الدين؛ فإن كل نبي أب لأُمَّته من حيث إنه أصل فيما به الحياة الأبدية؛ ولذلك صار المؤمنون إخوة، وأزواجه أمهاتهم، منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم»<sup>(٢)</sup>، قال - تعالى - : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ أَعْلَمُكُمْ..» الحديث<sup>(٣)</sup>، «فهي الأبوة الأولى للصحابة

(١) روى الطبري بسنده عن مجاهد: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾. قال: «هو أب لهم» «جامع البيان» (١٥/١٩).

(٢) «تفسير البيضاوي» (٤/٣٦٤).

(٣) رواه النسائي (٣٨/١)، وابن خزيمة (٨٠)، وابن حبان [١٤٤٠]، والإمام أحمد في «مسنده» رقمًا [٧٣٦٨، ٧٤٠٩]، وقال محققوه: «إسناده قوي».

- رضوان الله عليهم -، فهم جزء من نوره - صلى الله عليه وسلم -، ومنه انتقلت بذرة الحياة إليهم، ومنهم إلى التابعين وتابع التابعين؛ لأن الولد هو جزء من الوالد وبضع منه؛ قال - سبحانه - <sup>(١)</sup>: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ [الزخرف: ١٥]، يعني ولدًا، فالولد من جنس الوالد ونظير له، كما يكون وجود الوالد شرطًا في وجود الولد، فهو نسل ونَسَبٌ رُوحِي متصل لا ينقطع إلى يوم القيامة <sup>(٢)</sup> اهـ.

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله -:

«إن من لم تُولد رُوحُه وقلبه، ويخرج من مشيمة نفسه، ويتخلص من ظلمات طبعه وهواه وإرادته فهو كالجنين في بطن أمه الذي لم ير الدنيا وما فيها. فهكذا هذا الذي هو بعدُ في مشيمة النفس، والظلماتُ الثلاث التي هي: ظلمة النفس، وظلمة الطبع، وظلمة الهوى.

فلا بد من الولادة مرتين كما قال المسيح - عليه السلام - للحواريين: «إنكم لن تَلِجُوا ملكوتَ السماء حتى تُولَدوا مرتين».

ولذلك كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أبًا للمؤمنين كما في قراءة أبي <sup>(٣)</sup>: ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم ﴾، ولهذا تفرَّع على هذه الأبوة أن جعلت أزواجه أمهاتهم، فإن أرواحهم وقلوبهم وُلدت به ولادة أخرى غير ولادة الأمهات، فإنه أخرج أرواحهم وقلوبهم من ظلمات الجهل والضلال

(١) في سياق الإنكار على من افتري عليه الكذب، وأدعى أن له ولدًا.

(٢) «مفهوم الحياة في القرآن والحديث» للدكتور محمد الأحمد ص (٢٧٣).

(٣) نسب الطبري هذه القراءة إلى الحسن، وهي قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف الشريف، وانظر: «جامع البيان» (١٩/١٦).

والغبي إلى نور العلم والإيمان وفضاء المعرفة والتوحيد، فشاهدت حقائق أُخر وأمرًا لم يكن لها بها شعور قبله، قال - تعالى - : ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ١]؛ وقال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

### والمقصود أن القلوب في هذه الولادة ثلاثية:

١- قلب لم يولد، ولم يأن له، بل هو جنين في بطن الشهوات والغبي والجهل والضلال.

٢- وقلب قد وُلِدَ وخرج إلى فضاء التوحيد والمعرفة، وتخلص من مشيمة الطباع وظلمات النفس والهوى، فقررت عينه بالله، وقررت عيون به وقلوب، وأنست بقربه الأرواح، وذكّرت رؤيته بالله، فاطمأن بالله، وسكن إليه، وعكف بهمته عليه، وسافرت هممه وعزائمه إلى الرفيق الأعلى. لا يقرب بشيء غير الله، ولا يسكن إلى شيء سواه، ولا يطمئن بغيره. يجد من كل شيء سوى الله عوضًا، ولا يجد من الله عوضًا أبدًا، فذكره حياة قلبه، ورضاه نهاية مطلبه، ومحبته قوته، ومعرفته أنيسه، عدوه من جذب قلبه عن الله، وإن كان القريب المصافيا، ووليّه من رده إلى الله، وجمع قلبه عليه، وإن كان البعيد المناويا. فهذان قلبان متباينان غاية التباين.

٣- وقلب ثالث في البرزخ ينتظر الولادة صباحًا ومساءً، قد أشرف على فضاء التجريد، وأنس من خلال الديار أشعة التوحيد، تأبى غلبات الحب والشوق إلا

تقرباً إلى مَنْ السعادةُ كلها بقربه، والحظ كل الحظ في طاعته وحبه، وتأبى غلباتِ الطباع إلا جذبته وإيقافه وتعويقه، فهو بين الداعيين تارة وتارة قد قطع عقباتِ وآفات، وبقي عليه مفاوِزُ وفلوات» اهـ<sup>(١)</sup>.

إن شهادة أن «لا إله إلا الله» شهادة ميلاد رُوحِي ونفسي ووجداني وفكري وسلوكي ومنهجي جديد، وبنطقها لا تتبدل فقط خانة الديانة في بطاقة الهوية، لكن يصاغ به الإنسان صياغة جديدة، ويعاد ترتيب دولاب حياته من جديد.

وبشهادة أن «لا إله إلا الله» تتبدل المشاعر من أقصى طرف البغض والعداوة إلى أعلى درجات الحب والولاء.

وما أكثر الذين تحقق فيهم هذا التحول المدهش من لدن عصر الرعيل الأول حتى يومنا هذا!

لقد حدث هذا على مستوى الأمم حيث أسملت أمم بكاملها لله - تعالى -، وما حديث أمة (التتار) عنا ببعيد، إذ هي أمة غالبية قاهرة تُخضعها ديانة الأمة المغلوبة فتعتنق عقيدتها، وترفع رايتها، وتولد من جديد.

وحدث على مستوى الأفراد، بحيث صار من الأخبار المألوفة منذ قرون حتى اليوم أن شخصاً يُشار إليه بالبنان في محاربتة للإسلام وصدده عن سبيل الله بكل ما أوتي من قوة يتحول بقدرة الله - عزَّ وجلَّ - واصطفائه إلى جندي مجاهد، وداعية مجالد، يذب عن دين الله آناء الليل وأطراف النهار، وكأنه يكفرُّ عما اقترف من تشويه للدين ومحاربة للتوحيد.

---

(١) «طريق الهجرتين» (١/ ٢٨ - ٣١) طبعة دار علم الفوائد.

تقول (ديبورا بوتتر)<sup>(١)</sup>:

«إن الناس في أوروبا وأمريكا يقبلون على اعتناق الإسلام بأعداد كبيرة.. لكن دون إجبار من أحد، بل لأنهم متعطشون للراحة النفسية والاطمئنان الروحي الذي يقدمه لهم الإسلام، حتى أن كثيرًا من المستشرقين والمبشرين النصراري الذين بدؤوا حملتهم مصممين على القضاء على الإسلام وإظهار عيوبه المزعومة، أصبحوا هم أنفسهم مسلمين، وما ذلك إلا لأن الحق حجته دامغة، لا سبيل إلى إنكارها»<sup>(٢)</sup>.

إن قصص هداية - من أرادوا قهر الإسلام فقهرهم الإسلام بنوره ومنحهم هدايته فولدوا به ولادةً جديدة - تحوي كثيرًا من الفصول المشرقة، قال الأستاذ عرفات العشي: «سبحان الله! كم من خصم لدودٍ للإسلام يناصبه العداء ويتآمر ضده ويكيد له أعظم الكيد، ثم يتحول بإرادة ربانية سماوية إلى داعية مخلص للإسلام، ولا يقتصر ذلك على زماننا، فبدأً بعمر بن الخطاب الذي كان ألد أعداء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والذي كان يريد قتل هذا النبي، ثم أسلم فأصبح الفاروق عمر الذي ملأ الدنيا عدلاً وسعادة، ومرورًا بآل أبي سفيان وزوجه هند آكلة الأكباد والتي دفعت ثمنًا باهظًا لقتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، والتي كانت تقول للرسول بعد أن أسلمت: والله ما كان هناك بيت أبغض إلينا من بيتك، وها نحن الآن والله ما من بيت أحب إلينا من بيتك، وعلى مر العصور يحول الله من

---

(١) فتاة أمريكية من مدينة «ترافيرز» بولاية متشجن، ومتخصصة في «الصحافة»، وقد تزوجت الداعية الإسلامي الفلسطيني الأستاذ محمد الحانوتي المتفرغ للدعوة الإسلامية في أمريكا، ثم اعتنقت الإسلام بعد الزواج في عام (١٩٨٠م)، انظر قصة إسلامها مفصلة في كتاب: «رجال ونساء أسلموا» للأستاذ عرفات كامل العشي (٨/٩٦ - ١١٦).

(٢) «رجال ونساء أسلموا» (٨/١١٤).

شاء من عباده من المحاولة لهدم هذا الدين والإجهاز عليه إلى التضحية بالروح والنفس والنفيس للذود عنه» اهـ<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة هذه (الولادة الجديدة) التي يتبدل بسببها الأفكار والوجدان والمشاعر قصة ذلك الرجل الهندوسي (شايف برازاد) الذي كان قد كُلف بقيادة وتدريب أربعة آلاف رجل لهدم المسجد البابري في الهند، وقد حدث ذلك فعلياً في ٢١ من جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ (الموافق ١٦ من ديسمبر ١٩٩٢ م)، وهو الحادث الذي تزلزل له العالم الإسلامي كله.

لقد قام (شايف برازاد) مع المجموعة الهائجة التي تسلمت مئذنة المسجد المهيبة وهدمتها، وأخذ يصيح: «رام، رام»<sup>(٢)</sup>..

وبعد مرور سبع سنوات على هذه الجريمة أحس بأنه قام بعمل فظيع، وأخذ يلتمس من الله الغفران.

ثم انتقل إلى الشارقة بحثاً عن عمل، وبالفعل التحق بعمل مناسب لكن القلق لم يفارقه، وعانى من تأنيب الضمير، وبقي منطوياً على نفسه حزيناً.

و ذات مرة كان يمر بمسجدٍ ينطلق منه صوتُ خطبة باللغة الهندية، فشعر بأنها شيء جديد متميز، فأصغى بسمعه إليها، وظل يواظب على استماع تلك الخطب، حتى انتهى الأمر باعتناقه الإسلام، واختفى من وجوه أفراد أسرته، وتلقى تهديدات من قبل الحزب الهندوسي، وهو الآن يطمح أن يصبح داعياً مؤهلاً للدعوة إلى الإسلام، وقد جاء في آخر ترجمته ما يُشعر بأنه قال: «إن اليد التي هدمت المسجد البابري هي نفسها التي ستعيد بناءه من جديد»<sup>(٣)</sup>.

(١) «نفسه» ص (٧٨).

(٢) و«رام» هو اسم إلههم المزعوم، الذي ادَّعوا أن المسجد قد بُني في موضع ولادته!!

(٣) «لماذا يُسلمون؟» للأستاذ محمد خير يوسف ص (٥٢، ٥٣).

## الْإِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

### (٢٩) وَحِيسَةُ لِلذَّنْبِيَاءِ حِيزُ التَّوْحِيدِ

قال الله - تعالى - في شأن خليله إبراهيم - عليه السلام - : ﴿ وَإِذْ قَالَ  
إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴾  
[الزخرف: ٢٦، ٢٧]، وهذا معنى: لا إله إلا الله، ولهذا قال بعدها: ﴿ وَجَعَلَهَا ﴾ أي:  
لا إله إلا الله ﴿ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٨].

وقال - عز وجل - : ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَنْبِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى  
لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ  
أَلْمُوتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ  
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢، ١٣٣].

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - مرفوعاً: «إن نوحاً - عليه  
السلام - قاله لابنه عند موته: أمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع  
لو وُضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن  
السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمه لفصمتهن لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>.

(١) انظر تخريجه ص (٣٣١).



## الإسلام بالله

### (٣٠) لا يُشْبَهُ بِهَا عِزُّ الْمَوْلَى - لا يَفِيحُ بِعِلْمَاتِ مَخَائِمَةِ السَّعَاوَةِ

عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:  
«من كان آخرَ كلامه لا إلهَ إلا اللهُ<sup>(١)</sup> وجبت له الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم -  
وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيتهُ وقد استيقظ، فقال: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا  
اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» قلت: «وإن زنى وإن سرق؟» قال: «وإن زنى وإن  
سرق»، قلت: «وإن زنى وإن سرق»، قال: «وإن زنى وإن سرق» قلت: «وإن زنى وإن  
سرق؟» قال: «وإن زنى وإن سرق على رَغمِ أنْفِ أَبِي ذَرٍّ»<sup>(٤)</sup>.

(١) علّقَ الحافظ ابن حجر على هذا الحديث فقال - رحمه الله -: «والمراد بقوله «لا إله إلا الله» في  
هذا الحديث وغيره كلمتا الشهادة، فلا يرد إشكال ترك ذكر الرسالة. قال الزين بن المنير: قول  
لا إله إلا الله لقب جرى على النطق بالشهادتين شرعاً» اهـ. من «فتح الباري» (٣/٦٧٦) ط. دار  
طيبة - الرياض.

(٢) رواه الإمام أحمد (٥/٢٩٦)، رقم [٢٢٠٢٩]، (٥/٣١١)، رقم [٢٢١٢٣]، والحاكم (١/٣٥١، ٥٠٠)،  
وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وحسّن الألباني إسناده في «أحكام الجنائز»  
ص (٤٨).

(٣) رواه مسلم [٢٢٦].

(٤) رواه البخاري [٥٨٢٧]، ومسلم [٩٤].

قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله -: «معناه: أن الزنى والسرقه لا يمنعان دخول الجنة مع التوحيد، وهذا حق لا مرية فيه، ليس فيه أنه لا يُعَدَّبُ عليهما مع التوحيد»<sup>(١)</sup>.

وعنه - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أتاني جبريلُ، فقال: بشرُ أمتك أنه من مات لا يُشركُ بالله شيئاً دخل الجنة، فقلتُ: يا جبريلُ! وإن سرقَ وإن زنى؟»<sup>(٢)</sup> قال: نعم، قلتُ: وإن سرقَ وإن سرقَ وإن زنى؟ قال: نعم، قلتُ: وإن سرقَ وإن زنى؟ قال: نعم، وإن شربَ الخمر»<sup>(٣)</sup>.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «يا بن آدم، لو أتيتني بقراب<sup>(٤)</sup> الأَرْضِ خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة»<sup>(٥)</sup>.

وفي صحيح مسلم في قصة غزوة تبوك حين أصابتهم مجاعة: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبداً غير شاكٍّ فيُحجب عن الجنة»<sup>(٦)</sup>.

(١) «تحقيق كلمة الإخلاص» ضمن «مجموع رسائل ابن رجب» (٢/٣٦٢)، وانظر: «شرح النووي لصحيح مسلم» (٢/٩٦).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: «وكأن أبا ذر استحضر قوله - صلى الله عليه وسلم -: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» لأن ظاهره معارض لظاهر هذا الخبر، لكن الجمع بينهما على قواعد أهل السنة يحمل هذا على الإيمان الكامل، وبحمل حديث الباب على عدم التخليد في النار» اهـ. من «فتح الباري» ط. دار طيبة (٣/٦٧٨).

(٣) رواه البخاري [١٢٣٧]، وفي «الأدب المفرد» [٨٠٣]، ومسلم (٣/٧٦)، والترمذي (٣/٢٦٩)، وقال: «حديث حسن صحيح»، والإمام أحمد (٥/١٥٢).

(٤) قُرَاب الأَرْضِ: ما يقارب ملاءها.

(٥) رواه الترمذي رقم [٣٥٤٠]، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٣٣٨].

(٦) انظر تخريجه ص (٣٥٢).

وعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه فيموت على ذلك إلا حرمه الله على النار: لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>.

وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، يرجع ذلك إلى قلب مؤقنين، إلا غفر الله لها»<sup>(٢)</sup>.

وعن رفاعة الجهني - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صدقاً من قلبه ثم يسدّد إلا سلك في الجنة»<sup>(٣)</sup> الحديث.

وعن حذيفة - رضي الله عنه - قال: أسندت النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى صدري، فقال: «من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن صام يوماً ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة»<sup>(٤)</sup>.

وعن ابن شهاب قال: أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه، أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوجد عنده

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦٣/١)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٣٤/١-إحسان)، والحاكم (٧٢/١)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الشيخ شعيب: «إسناده صحيح».

(٢) أخرجه ابن ماجة (٤١٩/٢)، وابن حبان [٥]، والإمام أحمد (٢٢٩/٥)، وحسنه الألباني في «الصحيح» رقم [٢٢٧٨].

(٣) رواه الإمام أحمد (١٦/٤)، والطيالسي رقم [١٢٩١]، والبزار كما في «كشف الأستار» [٣٥٤٣].

(٤) رواه الإمام أحمد رقم [٢٣٣٢٤]، وقال محققوه: «صحيح لغيره»، وصححه الألباني في «الصحيح» [١٦٤٥].

أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبي طالب: «يَا عَمَّ! قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»<sup>(١)</sup> فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب! أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخَرَ ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فأنزل الله - تعالى -: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: وأنزل الله - عزَّ وجلَّ - في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦].

وعن الأغر أبي مسلم، أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد - رضي الله عنهما - أنهما شهدا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ اللَّهُ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِي الْمُلْكُ وَلِي الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ:

(١) وفي رواية: «أَيُّ عَمَّ! قُلْ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ».

(٢) رواه البخاري [١٣٦٠]، ومسلم [٢٥].

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي»، قال أبو إسحاق: ثم قال الأغر شيئاً لم أفهمه، قال: فقلت لأبي جعفر: ما قال؟ قال: «مَنْ رَزَقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ»<sup>(١)</sup>.

وعن شداد بن أوس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: «سيد الاستغفار أن يقول: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي اغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمِيسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

وعن سعدى المريّة قالت: مرَّ عمرٌ بطلحة بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: ما لك كئيبي؟ أساءتْكِ إمرة ابن عمك؟ قال: لا، ولكن سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إني لأعلمُ كلمةً لا يقولها أحدٌ عند موتِهِ إلا كانت نوراً لصحيفته، وإنَّ جسدهُ وروحهُ ليجدان لها روحاً عند الموت». فلم أسألهُ حتى تُوفِّي، قال: أنا أعلمُها، هي التي أراد عمُّه عليها، ولو عَلِمَ أَنَّ شيئاً أنجى له منها لأمره<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية الإمام أحمد<sup>(٤)</sup>: سمعته يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبدٌ عند موته إلا أشرق لها لوئنه، ونفَّس الله عنه كربته» قال: فقال عمر: إني لأعلم

(١) أخرجه الترمذي [٣٤٣٠]، وابن ماجه [٣٧٩٤]، وابن حبان [٨٥٢]، وصححه الألباني إسناده في «الصحيحه» [١٣٩٠].

(٢) رواه البخاري [٦٣٠٦] [١٤/٢٨٠] ط. دار طيبة.

(٣) رواه النسائي في «الكبرى» رقم [١٠٨٧٤]، وابن ماجه رقم [٣٧٩٥]، وابن حبان [٢٠٥]، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» رقم [٣٠٦٢].

(٤) «المسند» (١/١٦١).

ما هي، قال: وما هي؟ قال: تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت: «لا إله إلا الله»، قال طلحة: صدقت، هي والله هي.

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى -:

«لشهادة أن لا إله إلا الله عند الموت تأثير عظيم في تكفير السيئات وإحباطها؛ لأنها شهادة من عبد موقنٍ بها عارفٍ بمضمونها، قد ماتت منه الشهوات، ولانت نفسه المتمردة، وانقادت بعد إباطها واستعصائها، وأقبلت بعد إعراضها، وذلت بعد عزها، وخرج منها حرصها على الدنيا وفضولها، واستخذت بين يدي ربها وفاطرها ومولاها الحقُّ أذلَّ ما كانت له، وأرجى ما كانت لعفوه ومغفرته ورحمته، وتجرد منها التوحيد بانقطاع أسباب الشرك وتحقق بطلانه، فزالت منها تلك المنازعات التي كانت مشغولةً بها، واجتمع همُّها على من أيقنت بالقدوم عليه والمصير إليه، فوجه العبد وجهه بكليته إليه، وأقبل بقلبه وروحه وهمه عليه، فاستسلم له وحده ظاهراً وباطناً، واستوى سرُّه وعلانيته، فقال: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه، وقد تخلَّص قلبه من التعلق بغيره والالتفات إلى ما سواه، قد خرجت الدنيا كلها من قلبه، وشارف القدم على ربه، وخدمت نيران شهوته، وامتلاء قلبه من الآخرة، فصارت نُصبَ عينيه، وصارت الدنيا وراء ظهره، فكانت تلك الشهادة الخالصة خاتمة عمله فطهرته من ذنوبه، وأدخلته على ربه؛ لأنه لقي ربه بشهادة صادقة خالصة، وافق ظاهرها باطنها، وسرُّها علانيته.

فلو حصلت له الشهادة على هذا الوجه في أيام الصحة لاستوحش من الدنيا وأهلها، وفرَّ إلى الله من الناس، وأنس به دون ما سواه، لكنه شهد بقلب مشحونٍ بالشهوات وحب الحياة وأسبابها، ونفس مملوءة بطلب الحظوظ والالتفات إلى غير الله؛ فلو تجردت كتجردها عند الموت لكان لها نيباً آخر وعيشٌ آخر سوى عيشها البهيميِّ، والله المستعان»<sup>(١)</sup>.

(١) «الفوائد» ص (٧٧، ٧٨) ط. دار عالم الفوائد - ١٤٢٩.

## بِقَوْلِهِمُ اللَّهُمَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ

قال الله - تعالى - : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

ودعا يوسف - عليه السلام - ربه : ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

ومن دعاء المؤمنين : ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «من مات على شيء بعثه الله عليه»<sup>(١)</sup>.

وعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : «إن العبد ليعمل عمل أهل النار، وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة، وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم»<sup>(٢)</sup>.

وعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إنما الأعمال بالخواتيم»<sup>(٣)</sup>.

وعن أمير المؤمنين معاوية - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : «إنما الأعمال بخواتيمها، كالوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله، وإذا خبث أعلاه خبث أسفله»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٤/٣١٣)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والألباني في «الصحيحة» [٢٨٣].

(٢) رواه البخاري [٦٦٠٧] (١١/٤٩٩ - فتح).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» رقم [٣٤٠ - إحسان].

(٤) أخرجه ابن ماجه [٤١٩٩]، وابن حبان رقم [٣٣٩]، وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

فالعبرة بالحال التي يلقي عليها الإنسانُ ربَّه، ولو صلى رجل صلاة خاشعة أطال قراءتها وركوعها وسجودها، ثم انتقض وضوؤه قبل التسليم بطلت صلاته كلها، أو صام يوماً طويلاً شديداً حرَّه، ثم أفطر قبيل غروب الشمس، بطل صوم اليوم كله.

قال الإمام أحمد: سمعت شعيب بن حرب يقول لرجل: «إن دخلت القبر ومعك الإسلام فأبشر»<sup>(١)</sup>.

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً يستعمله»، قيل: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: «يوفقه لعملٍ صالحٍ قبل الموت»<sup>(٢)</sup>.

وعن عمرو بن الحَمِق الخزاعي قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً عَسَلَهُ قبل موته»، قيل: وما عَسَلُهُ؟ قال: «يُفتح له عملٌ صالح بين يَدَي موته حتى يرضى عنه»<sup>(٣)</sup>.

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: «يا وليَّ الإسلامِ وأهله، تَبَّتْني به حتى ألقاك»<sup>(٤)</sup>، وفي لفظ: «يا وليَّ الإسلامِ وأهله مَسَّكني الإسلام حتى ألقاك عليه»<sup>(٥)</sup>.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٩٢/١٢).

(٢) أخرجه الترمذي [٤١٤٢]، والحاكم (٤/٣٤٠)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وابن حبان رقم [٣٤١] وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» رقم [٣٤٣] وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح» اهـ. من «الإحسان» (٥٥/٢).

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» [٦٥٣]، وأورده الألباني في «الصحيحه» رقم [١٨٢٣].

(٥) حسَّنه الألباني في «الصحيحه» رقم [١٤٧٦].



وكان - صلى الله عليه وسلم - كثيرًا ما يدعو ربه: «يا مُقَلَّبَ القلوبِ بَبِّتْ قلبي على دينِكَ»<sup>(١)</sup>.

وعن نافع مولى ابن عمر، أنه سمع ابن عمر - رضي الله عنهما - يدعو على الصفا، يقول: «اللهم إنك قلت: ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٨]، وإنك لا تُخَلِّفُ الميعادَ، وإني أسألك كما هديتني للإسلام: أن لا تنزعه مني، حتى تتوفاني وأنا مسلم»<sup>(٢)</sup>.

وكان - صلى الله عليه وسلم - يدعو إذا سافر: «اللهم إني أعوذ بك من الحَوْرِ<sup>(٣)</sup> بعد الكَوْنِ<sup>(٤)</sup>، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في الأهل والمال»<sup>(٥)</sup>.

وكان - صلى الله عليه وسلم - إذا ودَّع مسافرًا قال: «أستودعُ اللهَ دينَكَ، وأمانتَكَ<sup>(٦)</sup>، وخواتيمَ عَمَلِكَ»<sup>(٧)</sup>.

---

(١) رواه الإمام أحمد [١٢١٠٧]، وقال محققوه: «إسناده قوي على شرط مسلم».

(٢) رواه مالك في «الموطأ»، وقال النووي: «وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم» اهـ. من «المجموع» (٨/ ٩٢).

(٣) الحَوْر: النقصان والرجوع.

(٤) وفي رواية: «الكَوْر»، والكَوْن: هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية، أي الرجوع من شيء إلى شيء من الشر، أو الرجوع من الاستقامة أو الزيادة إلى النقص، ومن رواه بالراء فهي الزيادة، مأخوذ من تكوير العمامة، وهو لفها وجمعها. فالمعنى: التعوذ من الانتقاص بعد الزيادة والاستكمال، ورواية الكون معناها مأخوذ من الاستقرار والثبات، فالمراد التعوذ من النقصان والتغيير بعد الثبات والاستقرار، وانظر: «الأذكار النووية» ص (٢٨٥).

(٥) رواه مسلم [٤٢٦]، والترمذي [٣٤٣٩]، وقال: «حديث حسن صحيح»، والنسائي في «العمل» [٥٠٣]، وابن ماجه [٣٨٨٨].

(٦) الأمانة هنا: أهله ومن يخلفه وماله الذي عند أمينه، وذكر الدين هنا لأن السفر مظنة المشقة، فربما كان ذلك سببًا لإهمال بعض أمور الدين، والخواتيم: جمع خاتمة، وهو ما يُختم به العمل، أي يكون آخره، ودعا له بذلك لأن الأعمال بخواتيمها، كما تدل عليه الأحاديث.

(٧) رواه الترمذي [٣٤٤٣]، وقال: «حديث حسن صحيح غريب».

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: مات سفيان الثوري عندي، فلما اشتد به جعل يبكي، فقال له رجل: يا أبا عبد الله، أراك كثير الذنوب؟ فرفع شيئاً من الأرض، فقال: «والله لذنوبي أهونٌ عندي من ذا، إني أخاف أن أُسَلَبَ الإيمانَ عند الموت».

وكان - رحمه الله - يقول: «بكيننا على الذنوب زماناً، ونحن الآن نبكي على الإسلام».

ولما احتُضِرَ - رحمه الله - جعل يبكي، فقيل له: يا أبا عبد الله، عليك بالرجاء؛ فإن عفو الله أعظم من ذنوبك، فقال: «أوَ على ذنوبي أبكي؟! لو علمتُ أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا».

## ذِكْرُ طَرَفِ بْنِ قِصَصِ الْتَوَفِّيَنِ إِلَى النَّظَرِ بِالشَّهَادَةِ مِنْ حَضْرَةِ الْمَوْتِ

- عن محمد بن علي بن أبي طالب أن عليًّا - رضي الله عنه - لما ضُرب أوصى بنيه، ثم لم ينطق إلا بـ «لا إله إلا الله» حتى قبضه الله»<sup>(١)</sup>.

- وعن أنس بن سيرين قال: شهدت أنس بن مالك - رضي الله عنه - وحضره الممات، فجعل يقول: لقنوني «لا إله إلا الله»، فلم يزل يقولها حتى قُبِضَ<sup>(٢)</sup>.

- وقيل: إنه دُخل على حكيم بن حزام - رضي الله عنه - عند الموت، وهو يقول: «لا إله إلا الله»، قد كنت أخشاك، وأنا اليوم أرجوك»<sup>(٣)</sup>.

- وعن ليث بن أبي رقية كاتب عمر بن عبد العزيز أن عمر بن عبد العزيز قال: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: «أنا الذي أمرتني فقصرتُ، ونهيتني فعصيتُ»، ثلاثًا، «ولكن: لا إله إلا الله»، ثم أحدَّ النظر، وقال: «إني لأرى حَضْرَةَ ما هم بإنس ولا جن»، ثم قُبِضَ<sup>(٤)</sup>.

- وعن أبي معشر زياد بن كليب قال: دخلنا على إبراهيم النَّخَعِيِّ حين ثقل، فجعل يقول: «لا إله إلا الله» وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير».

(١) «كتاب المحتضرين» ص (٦١).

(٢) «الثبات عند الممات» ص (١٣٣).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٤٤ / ٣).

(٤) «نفسه» (١٤١ / ٥).

قال: فلما زاد ثقلاً جعل ينقص حتى قال: «لا إله إلا الله وحده، لا إله إلا الله»  
ثم قضى (١).

- وقال جعفر بن محمد الصائغ: بصُرْتُ عيناى - وإلا فعميتا - وَسَمِعْتُ  
أذناى - وإلا فَصَمَّتَا - أحمد بن نصر الخزاعي حيث ضُربت عنقه يقول رأسه:  
«لا إله إلا الله» (٢).

- وقال أحمد بن عبد الله العجلي: حدثني أبي قال: لما احتضِرَ ابنُ المبارك،  
جعل رجل يُلقنه، قل: لا إله إلا الله، فأكثر عليه، فقال له: «لست تُحسِنُ، وأخافُ  
أن تُؤذِيَ مسلماً بعدي، إذا لقتني، فقلتُ: لا إله إلا الله، ثم لم أُحَدِثْ كلاماً  
بعدها، فدعني، فإذا أُحَدِثْتُ كلاماً، فَلَقَّنِي حتى تكونَ آخرَ كلامي» (٣).

- وقال علقمة بن قيس النخعي لمن حضروا احتضاره: «وإن استطعتم أن  
يكون آخر كلامي لا إله إلا الله فافعلوا» (٤).

- وعن عمر بن محمد بن إسحق قال: سمعتُ ابنَ وَاَرَةَ يقولُ: حضرتُ أنا  
وأبو حاتم عند وفاة أبي زُرعة (٥)، فقلنا: كيف تُلَقِّن مثلَ أبي زُرعة (٦)؟ فقلتُ: حدثنا  
أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد بن جعفر. وقال أبو حاتم: حدثنا بُندارُ في آخرين،  
حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد، ففتح عينه، وقال: حدثنا بُندار، حدثنا  
أبو عاصم، أخبرنا عبد الحميد، حدثنا صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مُرَّة،

(١) «كتاب المحتضرين» ص (١٢١).

(٢) «تاريخ بغداد» (٥/١٧٧).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٨/٤١٨)، وانظر: «صفة الصفوة» (٤/١٢١، ١٢٢).

(٤) «حلية الأولياء» (٢/١٠١).

(٥) هو الإمام، سيد الحفاظ أبو زُرعة الرازي، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٣/٦٥-٨٥).

(٦) وفي رواية: «أنهم استحيوا من أبي زُرعة أن يلقنوه، فقالوا: تعالوا نذكر الحديث».

عن مُعَاذٍ، قال: قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وخرج روحه معه<sup>(١)</sup>.

- وكان العالم النحوي محمد بن محمد باكثير الحضرمي جالسًا في مجلسِ الدرس، يقرأ عليه القارئ في (الجامع الصغير) للسيوطي، فلما بلغ حديث: «لَقِنُوا مَوْتَكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» نطق بها، ومات لِتَوَّه<sup>(٢)</sup>.

- وقال رجاء بن حيوة: دخلت على سليمان<sup>(٣)</sup> فإذا هو يموت، فجعلتُ إذا أَخَذَتْهُ سَكْرَةٌ مِنْ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ حَرَفْتُهُ إِلَى الْقِبْلَةِ، فيقول حين يفيق: «لَمْ يَأْنِ بَعْدَ»، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثًا، فلما كانت الثالثة قال: «من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئًا، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله». فحرفته، فمات<sup>(٤)</sup>.

- وقال الخليفة أبو جعفر المنصور عند موته: «اللهم إن كنت تعلم أنني قد ارتكبتُ الأمورَ العظامَ جرأةً مني عليك، فإنك تعلم أنني قد أطعتك في أحبِّ الأشياءِ إليك: شهادة أن لا إله إلا أنت، منَّا منك لا منَّا عليك»<sup>(٥)</sup>.

- وقال أبو عليّ المَقْدِسِيُّ: لما حَضَرَتْ آدَمَ بنَ أَبِي إِيَّاسٍ الْوَفَاةَ خَتَمَ الْقُرْآنَ وهو مسجى، ثم قال: بحبِّي لك إلا رفقتَ بي في هذا المصراع، كنتُ أوْ مَلِكٌ لهذا اليوم، كنت أرجوك. ثم قال: لا إله إلا الله. ثم قضى<sup>(٦)</sup>.

(١) «تاريخ بغداد» (١٠/٣٣٥)، و«تقدمة الجرح والتعديل» ص (٣٤٥، ٣٤٦).

(٢) «لحظات قبل الموت» ص (٢٨٤، ٢٨٥).

(٣) الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك الذي ختم أيامه بتولية عمر بن عبد العزيز خليفة للمسلمين.

(٤) «الكامل في التاريخ» (٤/٣١٣).

(٥) «عيون الأخبار» (٢/٣١١).

(٦) «صفة الصفوة» (٤/٣٠٨)، و«مرآة الجنان» (٢/٨٠).

- ولما حضرت الوفاة رئيسَ القضاة عز الدين أبا المفاجر محمد بن عبد القادر الأنصاري المعروف بابن الصائغ، جمع أهله وتوضأ وصلّى بهم، ثم قال: «هَلَّلُوا معي، وبقي يهَلِّلُ بهم إلى أن توفي، مع قول: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. ذكره البرزالي (١).

- وقال شهاب الدين بن مري: لما احتُضر -أي: قاضي طرابلس أحمد ابن أبي بكر الإسكندري - اجتمعنا حوله، فأظهر فرحًا واستبشارًا، وكَرَّرَ كلمتي الشهادة، وقال: ساعدوني وآنسوني، فإن للنفس انزعاجًا عند الفراق، وإذا رأيتموني متُّ مسلمًا فاشكروا ربكم على الهداية لهذا الدين العظيم.

ثم كَرَّرَ الشهادة نحو ثلاثين مرة، ومات (٢).

- وأعدَّ ملك حماة ومؤرخها وعالمها أبو الفداء إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢) قبره بنفسه منذ سنة (٧٢٧)، ودام مرضه اثني عشر يومًا قبل أن يموت، ففرَّق كثيرًا من كتبه، ووقف بعضَها، وفي ليلة الخميس التي توفي في سَحَرِها، قال لغلامه الملازم خدمته: «هلل، واذكر الله». فما زال الغلام يذكر الله ويهلِّل، وهو معه يهلل، ويذكر الله - تعالى -، حتى فارق. رحمه الله (٣).

- وعبد الله بن علي بن أبي المعالي البهاء الكازروني، رئيس المؤذنين بمكة المكرمة، وناب بالحسبة فيها. مات سنة ٨٠٨ هـ. صحَّ عمَّن حضره وقت الاحتضار أنه سمعه وهو في النزاع يقول: أما أعرفك يا شيطان؟ أو: أنت شيطان، أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، ثم فاضت روحه.

(١) «شذرات الذهب» (٥ / ٣٨٤).

(٢) «الدرر الكامنة» (١ / ١٣٠).

(٣) «لحظات قبل الموت» ص (٢٤٠).

قال الإمام السخاوي: ولعل ذلك ثمرة ذكره لله في الأسحار<sup>(١)</sup>.

- سلام بن سليمان المَزَنِي، أبو المنذر، القارئ النحوي الكوفي، كان شديدًا على القدرية (ت ١٧١هـ) قال حماد بن زيد: دخلتُ على سلام أبي المنذر وهو في النَّزْع، فجعل يُلقِّن، فأبطأ عنه، فغممني ذلك، فأذَّن مؤذِّنٌ على المنارة، فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، الذي لا يكونُ في السماء والأرض إلا ما شاء». ثم مات<sup>(٢)</sup>.

- الشيخ أحمد بن عبد اللطيف التونسي كان عالمًا متفوقًا بارعًا محققًا، نزل دمشق، وبها مات سنة ١١٢٦هـ، وعند احتضاره أشهد على نفسه لولده الأديب محمد وللشيخ عبد اللطيف العمري أنه تارك الدنيا مقبل على الأخرى، يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن ما جاء به رسول الله حق، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور...

ثم ابتدأ في قراءة ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران: ١٨]، إلى آخر الآية، وسلَّم الروح إلى بارئها<sup>(٣)</sup>.

- قال الباطرقاني: وكنتُ مع أبي عبد الله في الليلة التي تُوفي فيها، ففي آخر نَفْسِه قال واحد منا: لا إله إلا الله - يريد تلقينه - فأشار بيده إليه دفعتين ثلاثة. أي: اسكت يُقال لي مثل هذا؟!<sup>(٤)</sup>.

(١) «الضوء اللامع» (٣٤ / ٥).

(٢) «تهذيب الكمال» (٢٩٠ / ١٢).

(٣) «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» للمراي (١٣١ / ١).

(٤) انظر: «الذيل» (٢٨٤ / ٢).

- وقال سهيل بن عمار: رأيت يزيد بن هارون في المنام بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: أتاني في قبري ملكان فظَّانِ غليظان، فقالا: ما دينك ومن ربك ومن نبيك؟ فأخذتُ بلحيتي البيضاء وقلت: أَلِمِثْلِي يُقال هذا وقد عَلَّمْتُ النَّاسَ جوابكما ثمانين سَنَةً؟! (١).

- وعن العدل محب الدين قال: رأيت ابن الوجوهي بعد موته، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: نزل عليّ، وأجلساني، وسألاني، فقلت: أَلِمِثْلِ ابن الوجوهي يُقال ذلك؟! فأضجعاني ومضياً (٢).

- والعلامة تاج الدين الفاكهاني لما حضرته الوفاة جعل بعض أقاربه يتشهد بين يديه ليذكره، ففتح عينيه وأنشد:

ولفع يقنقه يد لموفيع غع هضهو      وهغو هق قيع ع هلاهف فغو ظقن قع  
ثم تشهّد، وقضى نجبه (٣).

- وروى أبو طاهر السِّلَفي في (معجمه): أنه كانت في دار بني الأبرقي عجوز رومية نصرانية تذهب كل أحد إلى البيعة، وأبغض مَنْ إليها الذي يُعَرِّضُ لها بالدخول في الإسلام! وكانت مجتهدة في النصرانية عدة سنين. فلما حضرَتْها الوفاة قالت لمواليها: أحضروا لي الجيران. فأحضروا نفرًا منهم، فأشهدتهم على إسلامها، وتشهّدت وماتت عَقِيْبَ ذلك!.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٩/٣٦٣).

(٢) «الذيل» (٢/٢٨٤).

(٣) «الديباج المُدَّهَّب» (١/١٨٧).



فجاء النصارى ليدفنوها في مقابرهم، فشهد المسلمون بإسلامها، فغُسلت وكُفِّنت وصُلِّيَ عليها، ودُفنت في مقابر المسلمين، ولم تركعُ لله قطُّ ركعةً واحدة<sup>(١)</sup>.

- ورؤي عن الحسن البصري - رحمه الله - أنه قال: دخلت على بعض المجوس وهو يجود بنفسه عند الموت، وكان منزله بإزاء منزلي وكان حسنَ الجوار، حسنَ السيرة، حسنَ الأخلاق، فرجوتُ أن الله يوفقه عند الموت، ويُميته على الإسلام، فقلت له: ما تجد، وكيف حالك؟ فقال: لي قلب عليل ولا صحَّة لي، وبدنٌ سقيمٌ ولا قوَّة لي، وقبرٌ موحشٌ ولا أنيسَ لي، وسفرٌ بعيد ولا زاد لي، وصراطٌ دقيقٌ ولا جواز لي، ونارٌ حاميةٌ ولا بدنٌ لي، وجنةٌ عالية ولا نصيب لي، وربُّ عادل ولا حجة لي.

قال الحسن: فرجوتُ الله أن يوفِّقه، فأقبلتُ عليه، وقلت له: لم لا تُسلم حتى تُسلمَ؟ قال: يا شيخُ، إنَّ المفتاح بيدَ الفتَّاح، والقفلُ ها هنا، وأشار إلى صدره، وغُشيَ عليه.

قال الحسن: فقلت: إلهي وسيدي ومولاي، إن كان سبق لهذا المجوسي عندك حسنة فعجِّل بها إليه قبل فراق روحه من الدنيا وانقطاع الأمل.

فأفاق من غشيته وفتح عينيه، ثم أقبل وقال: يا شيخُ، إن الفتَّاح أرسل المفتاح، امددْ يَمناكَ فأنا أشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وأشهد أن محمداً رسول الله. ثم خرجت روحه<sup>(٢)</sup>.

(١) «لحظات قبل الموت» ص (٢١١).

(٢) «بحر الدموع» لابن الجوزي ص (٢٨).

- وذكر أحد أبناء الشيخ عبد العزيز بن باز (ت ١٤٢٠ هـ) - رحمه الله - عن اللحظات الأخيرة التي عاشها أبوه فقال: عندما نقلناه إلى المستشفى في الطائف كان هناك مُمرّض نصراني بجوار والدي - رحمه الله -، وكنا أنا وإخواني نحيط به، فكان أكثر ما يحثُّ وينصح ذلك الممرّض النصرانيّ باعتناق الإسلام، ودعاه بشدة على أن لا يموتَ على النصرانية.. هذا الحديث من والدي للممرض كان قبل ساعتين من وفاته - رحمه الله -.

وحول الكلمات الأخيرة التي كان يرددها قبل وفاته قال ابنه أحمد: سمعته يردد ما نصه: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله»، ثم تبسّم لنا - رحمه الله -، ثم أغمضت عيناه قبل ساعة من وفاته<sup>(١)</sup>.

- (عائشة) أمّ من باكستان.. توفيت في مكة سنة ١٤١٢ هـ، ودفنت في مقبرة المعلاة بالقرب من قبر والدتها، وذلك بعد ستة أشهر من مرضها بالكلّي.. وطلب ابنها «محمد إسحاق» أن توصيهم فقالت بصوت رفيع، وقد ساءت حالتها: أوصيكم بقول لا إله إلا الله، محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفهمها، والعمل بمقتضاها، فهي أكبر مُلكٍ وثروةٍ في الدنيا والآخرة، أدّوا حقّها، واقدروها حقّ قدرها ما دتمم أحياء، احيوا عليها وموتوا عليها، واختاروا الأولياء والأصدقاء الصالحين من المصلّين فإنهم يساعدونكم في الحسنات<sup>(٢)</sup>.

---

(١) «لحظات قبل الموت» ص (٣٢٥).

(٢) «نفسه» ص (٣١٢).

## ذَكَرَ بَعْضُ الْخَبَرِ مَنْ خَانَ قَلْبَهُ وَلسَانَهُ عِنْدَ حُضُورِ الْمَوْتِ فَخِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ - حِيفًا بِاللَّهِ - بِنُورِ الْخَائِمَةِ

- السلطان عضد الدولة البويهى الذي تملك بفارس ثم كثرت بلاده واتسعت ممالكه، كان بطلاً شجاعاً، أديباً نحوياً، جباراً عسوقاً، يقول الشعر، بينها أبيات كفرية، وكان شيعياً جَلَدًا، أقام شعار الرفض. كان حساب ممالكه في العام أزيد من (٣٠٠, ٠٠٠, ٠٠٠) درهم. . وكان يتطلع إلى أن يصير مليون درهم في اليوم!

مات بعلة الصَّرْع سنة (٣٧٢هـ)، ونُقل أنه لما احتضِرَ ما انطلق لسانه إلا بقوله - تعالى - : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ۖ ۞ هَلَاكٌ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩] <sup>(١)</sup>.

- الشاعر الحَمِيرِي إِسْمَاعِيلُ بن محمد شاعر شيعي معروف، أفرط في النيل من بعض الصحابة وأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم -، وكان يتعصب لبني هاشم تعصباً شديداً، وأكثر شعره في مدحهم وذم غيرهم.

ذكر صاحب (الأغاني): أن أبا داود وإسماعيل بن الساحر حضراه عند وفاته بواسط سنة (١٧٣هـ)، وقد أصابه كرب شديد، فجلس ثم قال: اللهم أهكذا جزائي في حُبِّ آلِ محمد؟! <sup>(٢)</sup>.

وقال أبو ريحانة: كان السيد لما حضرته الوفاة جاءنا وليُّه فقال: «هذا وإن كان مُخْلِطًا فهو من أهل التوحيد، وهو جاركم، فادخلوا عليه فلَقَّنوه الشهادة» قال: فدخلنا إليه وهو يوجد بنفسه، فقلنا له: قل: لا إله إلا الله.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٦/٢٤٩).

(٢) انظر: «الأغاني» (٧/٢٩٦).

قال: فاسودَّ وجهه، وفتح عينيه ثم قال: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [سبأ: ٥٤] فخرجنا، ومات من ساعته<sup>(١)</sup>.

- قال الحافظ ابن رجب الحنبلي - رحمه الله -: قال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلاً عند الموت يُلقنُ الشهادة: **لا إله إلا الله**، فقال في آخر ما قال: «هو كافر بما تقول»، ومات على ذلك. قال: فسألت عنه، فإذا هو مدمن خمر. وكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب فإنها هي التي أوقعته<sup>(٢)</sup>.

- وقيل لبعض المحتضرين: قل: **لا إله إلا الله**، فقال: آه! آه! لا أستطيع أن أقولها.

- وقيل لآخر ذلك فقال: وما ينفعني ما تقول، ولم أدع معصية إلا ركبته، ثم قضى، ولم يقلها.

- وقيل لآخر ذلك، فقال: وما يغني عني، وما أعرف أنني صليتُ لله صلاةً، ولم يقلها.

- وقيل لآخر ذلك، فقال: هو كافر بما يقول، وقضى.

- وقيل لآخر ذلك، فقال: كلما أردتُ أن أقولها فلساني يُمسكُ عنها.

- ولقن رجل من الصالحين شخصاً يُحتضر شهادة أن **لا إله إلا الله**، قال: فكان الرجل يحرك رأسه يميناً وشمالاً وهو لا يتكلم وكأنه يقول له: لا لن أقولها.

(١) «الوافي بالوفيات» (١٢٢/٩).

(٢) «جامع العلوم والحكم» ص (٥٠).

- وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فقال:

يع قضي نعتني يوهع ونف غلغغ نيند عهكقين هوه فوهع هه فغغ<sup>(١)</sup>  
ثم قضى.

- قال محمد بن داود بن الجراح في أخبار مطيع بن إياس الكناني: إنه كان يُرمى بالزندقة. وروي أنه لما حضرته الوفاة أحاط به أهل بيته، فأقبلوا يقولون له: قل يا مطيع، قل لا إله إلا الله. فلا يقول، حتى إذا صارت نفسه في ثغرتَه كَرَّ يتنفس، ثم أهوى إلى الكلام، فقالوا له: قل لا إله إلا الله. فتكلم كلامًا ضعيفًا، فتسمعوا له، فإذا هو يقول:

همد منقيد لهو عهقعه ونيد ظي  
فيه فعض عهقغيا وعقغن غه عهكين  
قهعه فمغه ية عاقهعه  
نث وكغ عهكظ وعهقيضعه

- ومرَّ أبو علي الروذباري ببادية فرأى حدّثًا يجود بروحه، فقال له:  
قل: لا إله إلا الله. فأنشأ يقول:

ظيع هه هيق هيهه وعه لقعغيد غف  
ويع هه هه عه هه ن هغديه ع هه هه فغغ هه هه فغغ

- قال عبد الحق: وقيل لآخر ممن أعرفه: قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول:  
«الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا، والبستان الفلاني افعلوا فيه كذا».

وقال ابن القيم: «وأخبرني بعض التجّار عن قرابة له أنه احتضر، وهو عنده، فجعلوا يلقّنونه: لا إله إلا الله، وهو يقول: هذه القطعة رخيصة، هذه مشتري جيد، هذه كذا، حتى قضى».

(١) ولهذا البيت قصة انظرها في «الجواب الكافي» ص (٣٨٧، ٣٨٨) طبعة دار عالم الفوائد.

- وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فجعل يهذي بالغناء ويقول: تاننا تنتنا، حتى قضى.

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فقال: «شاه، رُخ، غلبتُك». ثم قضى.  
وأخبرني من حضر بعض الشحّاذين عند موته، فجعل يقول: لله فُلس، لله فُلس، حتى قضى»<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: «الجواب الكافي» ص (٢١٧).

## الاستِئذانُ بالله

(٣١) لا يُقبلُ نبيٌّ في الميزانِ

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشرُ عليه تسعةً وتسعين سجلاً، كل سجلاً مثل مدِّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عُذْر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: «بلى، إن لك عندنا حسنةً، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضِرْ وزنك، فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: فإنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كِفَّةٍ، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله - تعالى - شيء»<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

هموع غنقغ نيد قهوغيد فينغ لهو ن هغيد عغغعغغ  
هنهه يهكسيد ههيدغيد غغغغ هع فعظ نيد عهغكعغه

ولا ريب أن هذا قد قام بقلبه من الإيمان ما جعل بطاقته التي فيها لا إله إلا الله تطيش بتلك السجلات، إذ الناس متفاضلون في الأعمال بحسب ما يقوم بقلوبهم من الإيمان، وإلا فكم من قائل لا إله إلا الله لا يحصل له مثل هذا لضعف إيمانه بها في قلبه، فقد ورد في الصحيحين من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «يخرج من النار من

(١) رواه الإمام أحمد (٢/٢١٣)، والترمذي رقم [٢٦٣٩] وحسنه، وابن ماجه رقم [٤٣٠٠]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٨٠٩٥].

قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن بُرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير<sup>(١)</sup>، فدل ذلك على أن أهل لا إله إلا الله متفاوتون فيها بحسب ما قام في قلوبهم من إيمان.

وعن عبد الله بن عمرو، قال: كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيجان مزرورة بالدجاج فقال: ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس، قال: يريد أن يضع كل فارس ابن فارس، ويرفع كل راع ابن راع، قال: فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمجامع جبهته وقال: «ألا أرى عليك لباس من لا يعقل؟!» ثم قال: «إن نبي الله نوحًا لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية أمرك بأثنتين، وأنهاك عن اثنتين: أمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة<sup>(٢)</sup> قصمتهن<sup>(٣)</sup> لا إله إلا الله وسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك والكبر» قال: قلت - أو قيل -: يا رسول الله، هذا الشرك عرفنا، فما الكبر؟ قال: أيكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان؟ قال: «لا» قال: أيكون لأحدنا حلة يلبسها؟ قال: «لا»، قال: الكبر هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها؟

(١) رواه البخاري [٤٤] ومسلم [١٩٣].

(٢) مبهمة: المبهم من الأجسام: المصمت.

(٣) قصمتهن: وفي رواية: فصمتهن بالفاء، والقصم: كسر الشيء وإباتته، وبالفاء: كسره من غير إباتته.



قال: «لا»، قال: أفهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: «لا» قيل:  
يا رسول الله! فما الكبر؟ قال: «سَفَهُ الحَقِّ وِغْمَصُ (١) النَّاسِ» (٢).

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «قال موسى: يارب، علمني شيئاً أذكرك به، وأدعوك به. قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله. قال: يارب، كل عبادك يقول هذا. قال: قل: لا إله إلا الله. قال: إنما أريد شيئاً تخصني به، قال: يا موسى، لو أن أهل السماوات السبع والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهم لا إله إلا الله» (٣).

وعن أبي سلمى راعي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم: «بخِ بخٍ» (٤) - وأشار بيده لخمس - ما أثقلهن في الميزان! سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه» (٥).

(١) غَمَصُ النَّاسِ: احتقارهم.

(٢) رواه الإمام أحمد (١٦٩/٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» [٥٤٨]، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٦٦]، وقال الهيثمي: «ورجال أحمد ثقات» اه. من «مجمع الزوائد» (٤/٢٢٠)، وقال الألباني: «سنده صحيح» كما في «السلسلة الصحيحة» رقم [١٣٤].

(٣) أخرجه النسائي في «اليوم والليلة» [٨٣٤]، [١١٤١]، وابن حبان في «صحيحه» رقم [٦٢١٨]، والحاكم (١/٥٢٨)، وصححه، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الحافظ في «الفتح» (١١/٢٠٨)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف» اه. من «تحقيق الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١٤/١٠٢).

(٤) بخِ بخٍ: هي كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء، وتُكرَّر للمبالغة، وهي مبنية على السكون، فإن وَصَلَتْ جَرَرَتْ وَنَوْنَتْ فَقُلْتَ: بَخٍ بَخٍ، وربما شُدِّدَتْ. وَبَخِبَخْتَ الرَّجُلَ، إِذَا قُلْتَ لَهُ ذَلِكَ. ومعناها: تعظيم الأمر وتفخيمه.

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٧/٤٣٣)، وابن حبان [٢٣٢٨]، وصححه الألباني في «الصحيح» رقم [١٢٠٤].

## الإسلام بالله

### (٣٢) بجاة بن النشار

عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لمعاذ - وهو رديفه على الرَّحْل - : «يا معاذ»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قالها ثلاثاً، قال: «ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله - صدقاً من قلبه - إلا حَرَّمَهُ اللهُ - تعالى - على النار»، قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «إِذَنْ يَتَكَلَّمُوا»، فأخبر بها معاذٌ عند موته تأثماً<sup>(١)</sup>.

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: أخبرني من شهد معاذ بن جبل حين حضرته الوفاة قال: اكشفوا عني سجف القبة، حتى أخبركم بحديث سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه لم تمسه النار»<sup>(٢)</sup>.

وعن عتبان بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إن الله حرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية عنه - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لن يُؤافيَ عبْدُ يومِ القيامةِ يُقُولُ: لا إله إلا الله يبتغي به وجه الله؛ إلا حرم الله عليه النار»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري (٤١ / ١)، ومسلم رقم [٣٢].

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٣٦ / ٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٠٠ / ١)، وابن نعيم في «الحلية» (٣١٢ / ٧).

(٣) رواه البخاري (٥١٨ / ١١)، ومسلم (٤٥٦ / ١ ح ٢٦٤).

(٤) رواه الإمام أحمد [١٦٥٢٩]، والبخاري [٦٤٢٣].

وعنه - رضي الله عنه - مرفوعاً: «لا يشهد أحد أنه لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فيدخل النار، أو تطعمه»<sup>(١)</sup>.

وعن جابر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «المُوجبتان: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يُشرك بالله شيئاً دخل النار»<sup>(٢)</sup>.

وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - مرفوعاً: «يُدْرُسُ الإسلامُ كما يُدْرَسُ وشي الثوب، حتى لا يُدْرَى ما صيامٌ، ولا صلاةٌ، ولا نُسْكُ، ولا صدقةٌ، وليُسرَى على كتاب الله - عزَّ وجلَّ - في ليلةٍ، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائفُ من الناس: الشيخ الكبيرُ والعجوزُ، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة (لا إله إلا الله)، فنحن نقولها».

قال صلة بن زفر لحذيفة: «ما تغني عنهم لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟»

فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثاً، كل ذلك يُعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: «يا صلة! تنجيهم من النار». . ثلاثاً<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة وأبي سعيد - رضي الله عنهما -، أنهما شهدا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا قال العبد: لا إله إلا الله، والله أكبر، قال الله - عزَّ وجلَّ -: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، وأنا أكبر، وإذا قال العبد: لا إله إلا الله وحده، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلا الله

(١) رواه الإمام أحمد (٤٤٩/٥)، ومسلم (٤٥/١).

(٢) رواه مسلم [٩٣] [١٥١].

(٣) انظر تخريجه ص (٢٩٥).

لا شريك له، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، ولا شريك لي، وإذا قال: **لا إله إلا الله**، له الملك، وله الحمد، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، لي الملك، ولي الحمد، وإذا قال: **لا إله إلا الله**، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، ولا حول ولا قوة إلا بي، من رزقهنَّ عند موته لم تمسه النار»<sup>(١)</sup>.

وعن عمر - رضي الله عنه -، قال: كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزاة، فقلنا: يا رسول الله! إن العدو قد حضر وهم شباع، والناس جياع؟! فقالت الأنصار: ألا ننحر نواضحنا فنطعمها الناس؟! فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «من كان معه فضل طعام، فليجيء به». فجعل يجيء بالمُدِّ والصاع، وأكثر وأقل، فكان جميع ما في الجيش بضعاً وعشرين صاعاً، فجلس النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى جنبه، ودعا بالبركة، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - «خذوا، ولا تنتهبوا». فجعل الرجل يأخذ في جرابه وفي غرارته وأخذوا في أوعيتهم؛ حتى إن الرجل ليربط كُمَّ قميصه فيملاؤه، ففرغوا والطعام كما هو! ثم قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يأتي بهما عبْدٌ مُحِقٌّ إلا وقاه الله حرَّ النار»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - مرفوعاً: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرَّم الله عليه النار»<sup>(٣)</sup>.

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُغيّر إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان؛ فإن سمع أمسك، وإلا أغار. فسمع

(١) انظر تخريجه ص (٣١١).

(٢) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١/١٩٩، ٢٠٠)، (١/٢٣٠)، وقوَّاه الألباني بشواهده في «السلسلة الصحيحة» رقم [٣٢٢١].

(٣) رواه مسلم [٢٩].

رجلاً يقول: «الله أكبر، الله أكبر»، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «على الفطرة»، ثم قال: «أشهد أن لا إله إلا الله»، أشهد أن لا إله إلا الله»، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «خرجت من النار»، فنظر، فإذا هو راعي غنم (١).

وعنه - رضي الله عنه - قال: كان غلام يهودي يخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - فمرض فأتاه النبي - صلى الله عليه وسلم - فمروه فمعه عند رأسه فقال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم - صلى الله عليه وسلم - فأسلم، فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار» (٢).

عَه هُو ظَنَّهُ ظَفَاهُ كَغُنْدِكَ عِغْنِ  
وَعَهُهُ يَثْبُهِ هَيْ ظَهَهُ نَفِ نِغْنِ  
نَعَهُهُ يَظْكَهُ نِي قَضَهْنِ  
ظَنْذَنْذَانِ نِي وَفِيغْنِ

- اللهم إنا أطعناك في أحبِّ الأشياءِ إليك أن تُطَاعَ فيه: الإيمانِ بك والإقرارِ بك، ولم نعصِكَ في أبغضِ الأشياءِ أن تُعصى فيه: الكفر والجحْد بك، اللهم فاغفر لنا ما بينهما، وأنت قلت: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨]، ونحن نقسمُ بالله جهدَ أيماننا لتبعثنَّ من يموتُ، أفتراك تجمعُ بين أهلِ القسَمَيْنِ في دارٍ واحدة؟!

نَهْنَفِ لَهْغِ غُظْهِ لِنُونِ ظِلَالِهِ  
نَهْهِ عَهْقِيهِ يِفَالُو وَيَقْفُو عَهْفَقْهِ  
نَعْقَعِ قَفْفِغِ نَهْهِ قَعِ يَقْفِهِ  
وَفَهِيهِ لِنُونِ غَهْهِ عَهْقِيهِ  
يَعْقِ عَهْقِهِ لَهْغِ قَهْوَغِي نَغْقِي  
عَهْ نَعَهْ ﴿يَقْفُونِ عَهْقِيهِ﴾ هَفْقِيهِ  
ظَفَالُونِ يَعْقِي نَهْهِ ظَهْقِغِ يَغْغِ  
يَعْ هَيْ عَهْنِ وَقِيغِي عَهْقَفِ

(١) رواه مسلم [٣٨٢].

(٢) رواه البخاري [١٣٥٦].

**فائدة: قال العلامة الألباني - رحمه الله :-**

«هذا وقد اختلفوا في تأويل حديث الباب<sup>(١)</sup> وما في معناه من تحريم النار على من قال **لا إله إلا الله**، على أقوال كثيرة، ذكر بعضها المنذري في (الترغيب) (٢/ ٢٣٨)، وترى سائرهما في (الفتح). والذي تطمئن إليه النفس وينشرح له الصدر، وبه تجتمع الأدلة، ولا تتعارض أن تُحمَل على أحوال ثلاثة:

**الأولى -** من قام بلوازم الشهادتين من التزام الفرائض والابتعاد عن الحرمات، فالحديث حينئذٍ على ظاهره فهو يدخل الجنة وتحرم عليه النار مطلقاً.

**الثانية -** أن يموت عليها، وقد قام بالأركان الخمسة، ولكنه ربما تهاون ببعض الواجبات، وارتكب بعض المحرمات، فهذا ممن يدخل في مشيئة الله ويغفر له كما في الحديث الآتي بعد هذا<sup>(٢)</sup> وغيره من الأحاديث المكفّرات المعروفة.

**الثالثة -** كالذي قبله، ولكنه لم يقم بحقها، ولم تحجزه عن محارم الله كما في حديث أبي ذر المتفق عليه: «وإن زني وإن سرق...» الحديث، ثم هو إلى ذلك لم يعمل من الأعمال ما يستحق به مغفرة الله، فهذا إنما تحرم عليه النار التي وجبت على الكفار، فهو وإن دخلها، فلا يخلد معهم فيها، بل يخرج منها بالشفاعة أو غيرها ثم يدخل الجنة ولا بد، وهذا صريح في قوله - صلى الله عليه وسلم -: «من قال **لا إله إلا الله** نفعته يوماً من دهره، يصيبه قبل ذلك ما أصابه». وهو حديث صحيح... والله - سبحانه وتعالى - أعلم<sup>(٣)</sup> اهـ.

(١) وهو حديث أبي موسى - رضي الله عنه - مرفوعاً: «أبشروا، وبشّروا من وراءكم، أنه من شهد أن **لا إله إلا الله** صادقاً دخل الجنة»، وهو في «السلسلة الصحيحة» رقم [٧١٢].

(٢) ونصه: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً، يصلي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان غفر له» وهو في «الصحيحة» برقم [١٣١٥].

(٣) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٣/ ٢٩٩، ٣٠٠).

**فائدة: الإيمان المطلق يمنع دخول النار، ومطلق الإيمان يمنع الخلود فيها:**

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

«الإيمان المطلق لا يُطَلَّق إلا على الكامل الكمال المأمور به، ومطلق

الإيمان يُطلق على الناقص والكامل»<sup>(١)</sup> اهـ.

---

(١) انظر شرحه في «بدائع الفوائد» (٤/١٣٢٣-١٣٢٧).

## الاستِئذانُ

### (٣٣) نِجَاةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي النَّارِ

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:  
«من قال: لا إله إلا الله، أنجته يومًا من دهره، أصابه قبل ذلك ما أصابه»<sup>(١)</sup>.

والموحدون - وإن أدخلوا النار بذنوبهم التي ماتوا ولم يتوبوا منها - لكنهم لا يخلدون فيها، ويخرجون منها إلى الجنة.

قال الإمام الطحاوي - رحمه الله -: «وأهل الكبائر من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - في النار لا يخلدون إذا ما ماتوا وهم مؤحدون، وإن كانوا غير تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضلهم كما ذكر - عز وجل - في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته، الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وفي حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - في الشفاعة في آخره قال صلى الله عليه وسلم: «... ثُمَّ أَعُوذُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامِدِ ثُمَّ أَخْرُطُهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: وَعَزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظْمَتِي لِأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لا إله إلا الله»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٤٦/٥)، والبيهقي في «الشعب» (٥٦/١)، وصححه الألباني في «الصحيح» رقم [١٩٣٢].

(٢) «شرح الطحاوية» ص (٣٧٠).

(٣) رواه البخاري رقم [٧٥١٠]، ومسلم [١٩٣].



وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «... ويضربُ الصراطُ بينَ ظهريَ جهنم فأكونُ أنا وأمتي أولَ من يُجيزها ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذٍ: اللهم سلِّم سلِّم، وفي جهنم كلابٌ مثلُ شوكِ السَّعدانِ. هل رأيتم السَّعدانَ؟ قالوا: نعم يا رسول الله! قال: فإنها مثلُ شوكِ السَّعدانِ غير أنه لا يعلم ما قَدْرُ عَظْمِها إلا اللهُ تَخَطَّفُ النَّاسَ بأعمالهم فمنهم الموثَّقُ بعمله، أو الموثَّقُ بعمله، ومنهم المُخرَدلُ أو المُجازَى أو نحوه ثم يتجلى حتى إذا فرغ اللهُ من القضاء بين العباد وأراد أن يُخرجَ برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يُخرِجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد اللهُ أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا اللهُ فيعرفونهم في النار بأثر السجود تأكلُ النارُ ابنَ آدم إلا أثرَ السجود، حرَّم اللهُ على النار أن تأكل أثرَ السجود، فيخرجون من النار قد امتُّحِنوا فَيَصَّبُ عليهم ماءُ الحياة فينبُتون تحته كما تَنبُتُ الحَبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ»<sup>(١)</sup>.

وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «يُخرج من النار من قال لا إله إلا اللهُ وفي قلبه وزن شعيرة من خيرٍ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا اللهُ وفي قلبه وزن بُرَّةٍ من خيرٍ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا اللهُ وفي قلبه وزن ذرَّةٍ من خيرٍ»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «يوضَعُ الصراطُ بينَ ظهريَ جهنم عليه حَسَكٌ كحسكِ السَّعدانِ، ثم يَسْتَجِيزُ النَّاسُ فَناجٍ مُسَلِّمٌ، ومَجْرُوحٌ به، ثم ناجٍ ومُحْتَبَسٌ به، فَمَنكُوسٌ فيها، فإذا فرغ اللهُ - عزَّ وجلَّ - من القضاء بين العباد، يفقد المؤمنون رجالاً كانوا معهم في الدنيا

(١) رواه البخاري رقم [٧٤٣٧]، ومسلم [١٨٢].

(٢) رواه البخاري [٤٤]، ومسلم [١٩٣].

يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِمْ، وَيُزَكُّونَ بِزَكَاتِهِمْ، وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ، وَيَحْجُونَ حَجَّهُمْ، وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ، فَيَقُولُونَ: أَيُّ رَبَّنَا عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِي الدُّنْيَا يَصَلُّونَ صَلَاتَنَا، وَيَزَكُّونَ زَكَاتَنَا، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا، وَيَحْجُونَ حَجَّنَا، وَيَغْزُونَ غَزْوَنَا لَا نَرَاهُمْ، فَيَقُولُ: أَذْهَبُوا إِلَى النَّارِ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْهُمْ فَأَخْرِجُوهُ، قَالَ: فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ أَخَذَتْهُمُ النَّارُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى قَدَمِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى رِجْلِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ مِنْ أَرْزَلَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى ثَدْيِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى عُنُقِهِ، وَلَمْ تَغْشَ الْوَجُوهَ، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، فَيُطْرَحُونَ فِي مَاءِ الْحَيَاةِ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا الْحَيَاةُ؟ قَالَ: «غُسْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الزَّرْعَةِ» - وَقَالَ مَرَّةً فِيهِ: كَمَا تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ - فِي غُثَاءِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا، فَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، قَالَ: ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَيَّ مِنْ فِيهَا، فَمَا يَتْرِكُ فِيهَا عَبْدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا»<sup>(١)</sup>.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: حدثني نبي الله - صلى الله عليه وسلم -: «إني لقائمٌ أنتظرُ أمتي تعبر على الصراط، إذ جاءني عيسى، فقال: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمدُ يشتكون - أو قال: يجتمعون إليك - ويدعون الله - عزَّ وجلَّ - أن يفرِّقَ جَمَعَ الْأُمَمِ إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ اللَّهُ لِعَمِّ مَا هُمْ فِيهِ، فَالْخَلْقُ مُلْجَمُونَ فِي الْعَرَقِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَهُوَ عَلَيْهِ كَالزُّكْمَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَتَغَشَاهُ الْمَوْتُ» قال: قال: «عيسى! انتظر حتى أرجع إليك، قال: فذهب نبي الله - صلى الله عليه وسلم - حتى قام تحت العرش، فلقي ما لم يلق مَلِكٌ مُصْطَفًى وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، فَأَوْحَى اللَّهُ - عزَّ وجلَّ - إِلَى جَبْرِيْلَ: أَنْ أَذْهَبَ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلِّ تَعْطَى، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، قَالَ: فَشَفَعْتُ فِي أُمَّتِي: أَنْ أَخْرِجَ مِنْ كُلِّ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا،

(١) رواه الإمام أحمد [١١٠٨١]، وغيره، وقال محققو «المسند»: «إسناده حسن» اهـ. (١٧/١٤٣).

واحدًا، قال: فما زلت أترددُ على ربي - عزَّ وجلَّ - فلا أقومُ مقامًا إلا شَفَعْتُ، حتى أعطاني الله - عزَّ وجلَّ - من ذلك أن قال: يا محمدُ! أدخل من أمتك من خلق الله - عزَّ وجلَّ - من شهد أنه لا إله إلا الله يومًا واحدًا مخلصًا، ومات على ذلك»<sup>(١)</sup>.

وعنه - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «يقول الله - عزَّ وجلَّ -: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي، لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن ناسًا من أمتي يُعذبون بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يُعَيَّرُهُم أهل الشرك، فيقولون: ما نرى ما كنتم فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم، فلا يبقى مَوْحِدٌ إلا أخرجه الله»، ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى. قالوا: فما أغنى عنكم الإسلام! فقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها. فسمع الله ما قالوا، فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك من بقى من الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا». قال: ثم قرأ

(١) رواه الإمام أحمد [١٢٨٢٤]، وقال محققوه: «رجاله رجال الصحيح، وفي متن هذا الحديث غرابة» اهـ. (٢٠/٢٠٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٦١٦، ٦١٧).

(٢) رواه البخاري (٨/٢٠٠-٢٠٢)، ومسلم (١/١٨٤) [١٩٣].

(٣) قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح، غير بسام الصيرفي، وهو ثقة» اهـ. من «مجمع الزوائد» (١٠/٣٧٩).

رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿الرَّتَّلَكَ  
 آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبِّمَا يُوذُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١﴾ .

يع	هه	يفعق	ة	هنمه	ني	ن	فقعن
ظقن	قه	ي	ع	طع	ة	وهن	هه
عه	هو	ظنه	ظف	هكغ	ني	ك	عغن
وعه	ع	ينننننن	ة	هي	ظه	ه	ي
و	غ	كهغ	ة	عهنق	في	هو	كعغن
ك	فوع	ة	غع	بحع	ه	ني	قضعن
نع	ه	ي	ظك	ه	ني	قضعن	
ن	ف	ننن	ة	ظنن	ان	ني	وضعن

(١) رواه الحاكم (٢/٢٤٢)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/٤٠٥) رقم [٨٤٣]، وصححه الألباني.

# الاستغفار بالله

## (٣٤) مغفرة الذنوب، وكفارة الخطايا

قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال - تبارك وتعالى -: ﴿ قُلِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقال - سبحانه -: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ٥٨].

«عن قتادة والحسن في قوله: ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ أي: احططْ عنا خطايانا»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ قال: مغفرة.

وعنه - رضي الله عنهما -: ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ قال: لا إله إلا الله.

وعن عكرمة: ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ قال: قولوا: «لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن شماسة أن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: لما ألقى الله - عزَّ وجلَّ - في قلبي الإسلام، قال: أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - لبياعيني، فبسط يده إليّ، فقلت: لا أبايعك يا رسول الله حتى تغفر لي ما تقدم من ذنبي. قال: فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يا عمرو، أما علمت أن الهجرة تجبُّ ما قبلها من الذنوب، يا عمرو، أما علمت أن الإسلام يجبُّ ما كان قبله من الذنوب؟»<sup>(٣)</sup>.

(١) الحِطَّةُ: إنزال الشيء من علوِّه، والمعنى: حُطَّ عنا ذنوبنا، انظر: «المفردات» للأصبهاني ص (٢٤٢).

(٢) انظر: «الدر المنثور» (١/ ٣٧٧-٣٧٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» رقم [١٧٨٢٧]، وقال محققوه: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

وعن عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - شيخٌ كبير يدعى<sup>(١)</sup> على عصا له، فقال: يا رسول الله، إن لي غدراتٍ وفجراتٍ فهل يُغفر لي؟ قال: «ألست تشهد<sup>(٢)</sup> أن لا إله إلا الله؟» قال: بلى، وأشهد أنك رسول الله، قال: «قد غُفِرَ لك غدراتُك وفجراتُك»<sup>(٣)</sup>.

ويشهد لهذا الحديث ما رواه ثابت عن أنس - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: ما تركتُ من حاجة ولا داجة<sup>(٤)</sup> إلا أتيتُ، قال: «أليس تشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله؟» قالها ثلاث مرات. قال: نعم. قال: «فإن ذلك يأتي على ذلك»<sup>(٥)</sup>.

ويشهد له أيضًا ما رواه أبو طویل شطب الممدود - رضي الله عنه -، أنه أتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: أرأيتَ رجلًا عمل الذنوبَ كلَّها، فلم يترك منها شيئًا، وهو مع ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها، فهل لذلك من توبة؟ قال: «أليس قد أسلمت؟» قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده

(١) يدعى: يتكى.

(٢) أي: أما أسلمت بعد ذلك؟

(٣) رواه الإمام أحمد رقم [١٩٤٣٢]، وقال محققوه: «حديث صحيح بشواهده».

(٤) قال الحافظ: قوله: من حاجة ولا داجة، حكى فيها الخطابي وجهين، فأما التخفيف؛ فالحاجة ظاهرة، والداجة إتباع فيما يظهر، وأما التشديد، فروى البغوي من طريق مبشر بن عبيد قال: الحاجة: الذي يقطع الطريق على الحاج إذا ذهبوا، والداجة: الذي يقطع عليهم الطريق إذا رجعوا. قال الحافظ: ورواية التشديد لائقة بالحديث الثاني دون الأول، والله أعلم. انتهى. من «الأمالى المطلقة» ص (١٤٤).

(٥) رواه أبو يعلى [٣٤٣٣]، وابن خزيمة في «التوحيد» [٣٤٢]، والطبراني في «الصغير» [١٠٢٥]، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» اه. من «المجمع» (٨٦/١٠)، وصححه محقق «المطالب العالية» (٢٧١/١٢).

لا شريك له، وأن محمدًا رسول الله. قال: «نعم، تفعل الخيرات، وتترك السيئات، فيجعلهنَّ الله لك حسناتٍ كلَّهنَّ». قال: وغدرااتي وفجرااتي؟! قال: «نعم»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «من لقيَ الله وهو لا يُشركُ به شيئاً دخل الجنة، ولم تُضِرَّهُ معه خطيئة»<sup>(٢)</sup>، كما لو لقيه وهو مشركٌ به دخل النار، ولم تنفعه معه حسنة»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يومٍ مائة مرة كانت له عدلٌ عشرِ رقابٍ، وكُتِبَ له مائةُ حسنةٍ، ومُحِيتُ عنه مائةُ سيئةٍ، وكانت له حِرْزًا من الشيطان يومه ذلك، حتى يُمسيَ ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاء إلا رجلٌ عملَ أكثرَ منه»<sup>(٤)</sup>.

وعنه - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من سبح الله في دُبُر كل صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبّر الله ثلاثًا

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «الأحاديث والمثنوي» [٢٧١٨]، والبزار [٣٢٤٤] في «الزوائد»، والطبراني في «الكبير» [٧٢٣٥]، وقال الهيثمي في «المجمع»: «رجال البزار رجال الصحيح غير محمد بن هارون وهو ثقة» اهـ. (٨٦/١٠)، وقال الحافظ في «الأمالي المطلقة» ص (١٤٤): «هذا حديث حسن صحيح غريب».

(٢) قوله: «ولم تضره خطيئة» معناه: أن الخطايا لا تحول بينه وبين دخول الجنة، وإن مسّه العذاب بسببها قبل ذلك، يوضحه حديثُ أبي هريرة مرفوعًا عند ابن حبان [٣٠٠٤]، والبزار [٣]: «لَقِّنُوا موتاكم لا إله إلا الله، فإن من كان آخر كلمته لا إله إلا الله عند الموت، دخل الجنة يومًا من الدهر، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه». - لفظ ابن حبان -، وهو حديث صحيح. اهـ. من «تحقيق المسند» (١٥٧/١١).

(٣) رواه الإمام أحمد [٥٦٨٦]، وقال محققوه: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٤) رواه البخاري [٦٤٠٣]، ومسلم [٢٦٩١].

وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون. وقال تمام المائة: **لا إله إلا الله** وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غُفِرَتْ خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر»<sup>(١)</sup>.  
وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من قال حين يسمع المؤذن: **لا إله إلا الله** وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، رضيتُ بالله رباً وبمحمدٍ رسولاً وبالإسلام ديناً غُفِرَ له ذنبه»<sup>(٢)</sup>.

وعن شداد بن أوس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقنٌ بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»<sup>(٣)</sup>.

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ عُصْناً فنفضه فلم يتنفض، ثم نفضه فلم يتنفض، ثم نفضه فانتفض، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن سبحان الله والحمد لله **ولا إله إلا الله** والله أكبر تنفض الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم [٢٦٩١].

(٢) رواه مسلم [٣٨٦].

(٣) رواه البخاري [٦٣٠٦].

(٤) رواه الإمام أحمد (٣/١٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» [٦٢٤]، والطبراني في «الدعاء» [١٦٨٨]، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧/٥٠١، ٥٠٢).



وَرُوِيَ عَنْ يَعْلَى بْنِ شَدَادٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي شَدَادُ بْنُ أَوْسٍ - وَعِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ حَاضِرٌ يُصَدِّقُهُ - قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَالَ: «هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟» يَعْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ. فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَمَرَ بِغَلْقِ الْبَابِ، وَقَالَ: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ، وَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فَرَفَعْنَا أَيْدِينَا سَاعَةً، ثُمَّ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ بَعَثْنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّةَ، وَإِنَّكَ لَا تُخَلْفُ الْمِيعَادَ» ثُمَّ قَالَ: «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ غَفَرَ لَكُمْ»<sup>(١)</sup>.

وَرُوِيَ عَنْ أُمِّ هَانِئٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -؛ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ، وَلَا تَتْرُكُ ذَنْبًا»<sup>(٢)</sup>.

وَرُوِيَ بَعْضُ السَّلَفِ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الْمَنَامِ، فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ، فَقَالَ: «مَا أَبْقَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَيْئًا»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) رواه الإمام أحمد [١٧١٢١]، وقال محققوه: «إسناده ضعيف» (٣٤٨/٢٨)، وحسن إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤١٥/٢).

(٢) «ضعيف ابن ماجة» رقم [٨٢٧]، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٣/٣٠٣).

(٣) «الكلام المنتقى» لابن حجي ص (٧١).

## الإسلام بالله

### (٣٥) سَبَبَاتُ الشَّفَاعَةِ الشَّفَاعَةِ

إن التوحيد المتضمن إخلاصَ العبادة لله - تعالى - هو أعظم سبب تُنال به الشفاعة يوم القيامة:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قيل: يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك لما رأيتُ من حرصك على الحديث: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: **لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو من نفسه**»<sup>(١)</sup>.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام غزوة تبوك قام من الليل يصلي، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه، حتى إذا صلى وانصرف إليهم، فقال لهم: «لقد أُعْطِيتُ الليلةَ خمساً ما أُعْطِيتُهنَّ أحدٌ قبلي» الحديث، وفيه: «والخامسة هي ما هي، قيل لي: سل، فإن كلَّ نبيٍّ قد سأل، فأخّرتُ مسألتني إلى يوم القيامة، فهي لكم ولمن شهد أن **لا إله إلا الله**»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لكل نبيٍّ دعوة مستجابة، فتعجل كل نبيٍّ دعوته، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري [٩٩].

(٢) رواه الإمام أحمد رقم [٧٠٦٨]، وصححه المنذري في «الترغيب» (٤/٤٣٢)، وقال الهيثمي في «المجمع»: «رواه أحمد، ورجاله ثقات» (١٠/٣٦٧)، وحسنه محققو «المسند» (٦٣٩/١١).

(٣) رواه مسلم [١٩٩] (١/١٨٩)، والإمام أحمد (٢/٤٢٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «بل الشفاعة: سببها توحيد الله، وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له، فكل مَنْ كان أعظم إخلاصًا كان أحق بالشفاعة، كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة، فإن الشفاعة: من الله مبدؤها، وعلى الله تمامها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه، وهو الذي يأذن للشافع، وهو الذي يقبل شفاعته في المشفوع له، وإنما الشفاعة سبب من الأسباب التي يرحم الله بها مَنْ يرحم من عباده، وأحق الناس برحمته: هم أهل التوحيد والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص «لا إله إلا الله» علمًا وعقيدة، وعملاً وبراءةً، وموالاتةً ومعاداةً: كان أحق بالرحمة»<sup>(١)</sup>.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤١٤ / ١٤).

## الإسلام بالله

### (٣٦) سَبَبُ وَهْمِ الْبُيُوتِ

عن عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: أنا من شهد معاذًا حين حضرته الوفاة يقول: اكشفوا عني سَجْفَ<sup>(١)</sup> القبة أحدثكم حديثًا سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال مرّة: أخبركم بشيء سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يمنعني أن أحدثكموه إلا أن تتكلموا، سمعته يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه، أو يقينًا من قلبه لم يدخل النار، أو: دخل الجنة، وقال مرّة: دخل الجنة، ولم تَمَسَّهُ النار»<sup>(٢)</sup>.

وعن جابر - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «المُوجِبَتَانِ: من مات لا يُشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أبشروا وبشّروا الناس: من قال: لا إله إلا الله صادقًا بها دخل الجنة»، فخرجوا يبشرون الناس فلقبهم عمر - رضي الله تعالى عنه - فبشّروه، فردّهم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ رَدَّكُمْ؟» قالوا: عمر، قال: «لِمَ رَدَدْتَهُمْ يا عمر؟» قال: «إِذْنِ يَتَكَلَّمُ النَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) السَّجْفُ أو السَّجْفُ: أحد السَّتْرَيْنِ المقرونين، بينهما فُرْجَةٌ، يقال: سَجَفَ البيت سَجْفًا: أرسل عليه السَّجْفَ.

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٣٦/٥)، والحميدي [٣٦٩]، والطبراني (٦٣/٢٠)، وابن حبان [٢٠٠].

(٣) رواه مسلم [٩٣]، [١٥١].

(٤) رواه الإمام أحمد (٤١١/٤)، وصححه الألباني على شرط مسلم في «الصحيحة» رقم [٧١٢].

وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «بَشِّرِ النَّاسَ أَنَّهُ مِنْ قَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كنا قُعودًا حولَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معنا أبو بكر وعمر في نفر. فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخَشِينَا أَن يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وَفَزَعْنَا فَمَمْنَا فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزَعُ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَارِ، فَذُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ أَبًا، فَلَمْ أَجِدْ، فِإِذَا رِبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بئرٍ خَارِجَةٍ - وَالرَّبِيعُ الْجَدُولُ - فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: «أَبُو هَرِيرَةَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قُلْتُ: كُنْتُ بَيْنَ أَظْهَرِنَا فَحَمَمْتُ فَأَبْطَأَتْ عَلَيْنَا فَخَشِينَا أَن تُقْتَطَعَ دُونَنَا فَفَزَعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزَعُ، فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وَهُوَ لَاءِ النَّاسِ وَرَائِي، فَقَالَ: «يَا أَبَا هَرِيرَةَ!» وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، قَالَ: «إِذْهَبْ بِنَعْلَيْ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقَيْتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنَّ **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقَيْتُ عَمْرًا، فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هَرِيرَةَ؟ فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعْثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقَيْتُ يَشْهَدُ أَنَّ **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، بِشَرْتِهِ بِالْجَنَّةِ، فَضْرَبَ عَمْرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْي فَخَرَرْتُ لِاسْتِي، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هَرِيرَةَ، فَارْجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : فَأَجْهَشْتُ بِكَاءٍ وَرَكِبَنِي عَمْرُ، فِإِذَا هُوَ عَلَى أَثْرِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «مَا لَكَ يَا أَبَا هَرِيرَةَ؟» قُلْتُ: لَقَيْتُ عَمْرًا فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعْثَنِي بِهِ فَضْرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيْي ضَرْبَةً خَرَرْتُ لِاسْتِي قَالَ:

(١) رواه النسائي في «الكبرى» [١٠٩٥١].

ارجع، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يا عُمَرُ! ما حملك على ما فعلت؟» قال: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك، من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: «نعم» قال: فلا تفعل، فإنني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلَّهم يعملون، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «فخلَّهم»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي صالح عن أبي هريرة - أو عن أبي سعيد شك الأعمش - قال: لما كان غزوة تبوك، أصاب الناس مجاعةً. قالوا: يا رسول الله! لو أذنت لنا فنحرننا نواضحنا فأكلنا وادَّهنا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «افعلوا»، قال: فجاء عمر، فقال: يا رسول الله! إن فعلت قلَّ الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة. لعل الله أن يجعل في ذلك. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «نعم» قال: فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، قال: ويجيء الآخر بكف تمر، قال: ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، قال: فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه بالبركة. ثم قال: «خذوا في أوعيتكم» قال: فأخذوا في أوعيتهم، حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملاًوه. قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيحجب عن الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا قال المؤمن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمداً

(١) رواه مسلم [٣١].

(٢) رواه مسلم [٢٧].

رسول الله، قال: أشهد أن محمداً رسول الله، ثم قال: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قال: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ من قلبه دخل الجنة»<sup>(١)</sup>.

وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من شهد أن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدُ الله ورسولُه، وكلمته ألقاها إلى مريمَ ورُوِّحَ منه، والجنةُ حقٌّ والنارُ حقٌّ أدخله الله الجنةَ على ما كان من العمل»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: «أدخله الله الجنةَ من أي أبواب الجنة الثمانية شاء».

وعن العرباض بن سارية - رضي الله عنه - أنهم حين نزلوا خيبر، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «يا بنَ عوف! اركبْ فرسَكَ، ثم نادِ: إن الجنةَ لا تحلُّ إلا لمؤمن»<sup>(٣)</sup> الحديث.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - في قصة الذي قتل نفسه في الغزو - وفيها أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «يا بلالُ! قُمْ فَأَدِّنْ: لا يدخلُ الجنةَ إلا مؤمناً، وإن الله ليؤيِّد هذا الدينَ بالرجلِ الفاجر»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) رواه مسلم [٣٨٥].

(٢) رواه البخاري [٣٤٣٥]، ومسلم [٢٨].

(٣) أخرجه أبو داود (٢/٤٥)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم [٨٨٢].

(٤) رواه البخاري (١١/٤٣٦)، ومسلم [١١١].

## الإسلام بالله

### (٣٧) مفاتيح الجنة

إن شهادة أن «لا إله إلا الله» هي عنوان دخول المرء في دين الإسلام، وهي - بمقتضياتها وتوابعها ولوازمها - مفتاح الجنة في الآخرة.

رُوي عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مفاتيح الجنة: شهادة أن لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيبلغ - أو: فيسبغ - الوضوء، ثم يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله)، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، وأن الله يبعث من في القبور، فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء»<sup>(٣)</sup>.

ورُوي في حديث عبد الرحمن بن سمرة - رضي الله عنه - في قصة منامه الطويل أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: «ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب

(١) رواه الإمام أحمد [٢٢١٠٢]، ورواه البزار في «مسنده» [٢٦٦٠]، والطبراني في «الدعاء» [١٤٧٩]، وابن عدي في «الكامل» (٤/١٣٥٦)، وقال محققو «المسند»: «إسناده ضعيف».

(٢) رواه مسلم (١/٢١٠)، وهو في «صحيح سنن النسائي» (١/٣٣)، و«صحيح سنن ابن ماجه» (١/٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦/٣٤٢)، ومسلم [٢٨].



الجنة فأغلقت الأبوابِ دونَه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله فَتَحَتْ له الأبوابِ، وأدخلته الجنة»<sup>(١)</sup>.

قد يغفل بعض الناس عن حقيقة التوحيد وشرط النجاة، ويغترُّ بكلمة يديرها على لسانه، دون أن يفقه معناها، يظنُّها مفتاحًا للجنة، بمجرد نطقها باللسان، غافلاً عن شروطها التي ينبغي أن تتحقق، ومقتضياتها التي ينبغي أن يعمل بها، لتكون مفتاحًا صالحًا لفتح أبواب الجنة الثمانية.

وشهادة التوحيد هذه، سببٌ لدخول الجنة، والنجاة من النار، ومقتضى لذلك، ولكن المقتضى لا يعملُ عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفواتِ شرطٍ من شروطه، أو لوجود مانعٍ من الموانع؛ وهذا قول الحسن البصري ووهب بن منبه، رحمهما الله.

- قال الحسن البصري - رحمه الله - للفرزدق وهو يدفن امرأته: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة، قال الحسن: «نعم العدة! إن لا إله إلا الله» شروطاً، فإياك وقذف المحصنات»، ورؤي أنه قال للفرزدق «هذا العمودُ فأين الطنب»<sup>(٢)</sup>.

الشاهد في قول الحسن (إن لا إله إلا الله شروطاً) مما يدل على أن عبارة (شروط لا إله إلا الله) عبارة سلفية سنية، وليست خلفية بدعية.

---

(١) عزاه السيوطي إلى الحكيم الترمذي والطبراني، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم [٢٠٨٥].

(٢) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في «المصنف» رقم [٣٦٧٤٣]، وابن سعد في «الطبقات»، والطنب: جبل يُشد به الخباء والسرادق ونحوهما.

- قيل للحسن البصري: إن ناسًا يقولون: من قال **لا إله إلا الله** دخل الجنة قال: «من قال: **لا إله إلا الله** فأدى حقها وفرضها دخل الجنة»<sup>(١)</sup>.

وحقها وفرضها هي شروط **لا إله إلا الله** والشروط من حقها وفرضها.

- قال وهب بن منبه لمن سأله: أليس **لا إله إلا الله** مفتاح الجنة؟ قال: «بلى ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك»<sup>(٢)</sup>.

والأسنان والشروط بمعنى واحد.

وقال ابن القيم - رحمه الله - في قصيدته النونية، مشيرًا إلى أسنان هذا المفتاح، الذي تُفتح به أبواب الجنة، وهي العمل بشرائع الإسلام، وتحقيق شروطها:

هقعنخونغفغعغهيغ غههنه	غهنغفغ عفو ظقهعه
هنغفغه غجغفغ عطفغ كوعهغو	فيفنخ غهن جعغفغ عطيهعه
ظقهعه عالهعهنخوهيعلتعهذ	هقغهنخ وعههنغفغ غعاقعهه
غهلبيه هقع عههغو غهنه غه	ههفههعشعهي هقيعههلقنعه <sup>مخبر مح</sup>

وقد نظم الشيخ حافظ حكيمي - رحمه الله - شروط **«لا إله إلا الله»** في «سُلم الوصول»، فقال:

وغفناؤوك قغلغ ن ف نيفغ <sup>ن ي</sup>  
ونيد هكوك عهوفيد فن ع وقفغ <sup>الأ</sup>

(١) «كلمة الإخلاص وتحقيق معناها» لابن رجب ص (٣٦٤).

(٢) رواه البخاري تعليقًا في «الجنائز» (٤١٧/١)، ووصله في «تاريخه الكبير» (٩٥/١) رقم [٢٦١]، وأبو نعيم في «الحلية» (٦٦/٤).

(٣) «الكافية الشافية» (٩٢٥/٣) ط. دار عالم الفوائد - مكة المكرمة.

نعده هه يهغند نع اقدنته  
 عهلهه وعهينيه وعهن غوه  
 وعهكفن وعطف وعههغه  
 - ونظمها أحدهم بقوله:

لهه ينيه وعطف وكفن هه  
 - كما نظمها أحدهم في نظم قال فيه:

ندائك هه عهنهغي غهعهيه  
 عهن نقه عهكعلوغ نع فذ ليع  
 غه عهينيه هه عهغيع هه هه  
 نع من يعف لع عهق وعهكعه  
 نع هكفن هه نع عهغه عهنهغ  
 يهيه عطف ليه عني عهكذ ان ع  
 نعغه وضعي ظههه نع  
 هه يكغه هه هه هه هه هه  
 نع هه كن نع فغ يع غهغه  
 غل عهق ليه هه هه نع فظف هه  
 هه هه اع هه غي يف هه ل ف هه  
 هه هه هه هه هه هه هه هه

(١) «معارج القبول» (٢/ ٤١٨، ٤١٩) ط. دار ابن القيم - الدمام.  
 (٢) انظر: «شرح شروط لا إله إلا الله» للشيخ خالد الغامدي ص (٣٠-٣٢).



# أَسْمَاءُ كَلِمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

إِنَّ كَلِمَتَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةٌ مُبَارَكَةٌ  
تَوَعَّتْ نَوَاحِيهَا، وَكَثُرَتْ مَعَانِيهَا، وَلِذَلِكَ تَعَدَّدَتْ أَسْمَاءُهَا  
وَفِي هَذَا الْقِسْمِ نَحْوُلُ تَتَبَعُ مَا أُطْلِقَ عَلَيْهَا مِنْ أَسْمَاءٍ  
شَرِيفَةٍ مُسْتَمَدَّةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ <sup>(١)</sup> تَعَالَى - وَهُوَ الْأَغْلَبُ -،  
أَوْ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

(١) علمًا بأنني لم أقصد استيعاب كل ما جاء في تفسير الآيات من أقوال، ولكنني في الغالب اقتصر على ذكر قول من ذهب إلى أن المقصود من عبارة «كذا» هو كلمة «لا إله إلا الله» أو معناها، لأن هذا هو الملائم لمقصود هذا القسم.

مع أن اختلاف أئمة التفسير في هذا إنما هو اختلاف تنوع، وليس اختلاف تضاد، وكيف يكون اختلاف تضاد و«لا إله إلا الله» أعلى وأفضل وأشرف أركان الإسلام وشعب الإيمان، بل هي شرط في صحة سائر الشعب والأركان؟!!



# إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

## (١) الطَّيِّبُ مِنَ الْقَوْلِ

قال الله - تعالى - في شأن المؤمنين: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤]

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ﴿وَهُدُوا﴾ أَلْهِمُوا.  
قال ابن جرير: «وقوله: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾. يقول - تعالى - ذكره: وهدهم ربهم في الدنيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله.  
كما حدثنني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾. قال: هُدُوا إِلَى الْكَلَامِ الطَّيِّبِ؛ لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، قال الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]»<sup>(١)</sup>.

وقال الرازي: «وأي كلمة توجد أظهر وأطيب من هذه الكلمة؟! وقد قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]. ثم إن النجاسة الحاصلة بسبب كفر سبعين سنة تزول بسبب ذكر هذه الكلمة مرة واحدة.

..... والطيب المطلق هو: معرفة ألا إله إلا الله، وذكر لا إله إلا الله، والاستغراق في أنوار جلال لا إله إلا الله، فلهذا السبب قال - تعالى -: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾. والمراد منه: كلمة لا إله إلا الله.

(١) «تفسير الطبري» (١٦/٥٠٢) ط. دار هجر.

والألف واللام في لفظة «الطيب» للاستغراق كأنه - تعالى - ينبه إلى أنه لا  
لذيذ ولا طيب إلا هذا، وذلك هو الحر لا لالاق، لأننا بيننا أن أطيب المحسوسات  
بالنسبة إلى طيب هذه الحالة<sup>(١)</sup> عدم محض، فلذلك بيّن بحرف الاستغراق أن  
كل طيب ليس إلا ذلك»<sup>(٢)</sup>.

وقال السعدي: «وهدوا إلى الطيب من القول الذي أفضله وأطيبه كلمة  
الإخلاص، ثم سائر الأقوال الطيبة التي فيها ذكر الله، أو إحسان إلى عباد الله»<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) أي حالة إدراك القوى العقلية لما يلائمها من جلال الله وقدسسه وعظمته وعزته، وهو إدراك  
يفوق إدراك القوى الحساسة للمُحَسَّنَات.
- (٢) «عجائب القرآن» ص (٨٠، ٨١).
- (٣) «تفسير السعدي» ص (٤٨٥).



# الإسلام بالله

## (٢) القول الثابت

قال - عز وجل -: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال الطبري - رحمه الله -: «يعني - تعالى - ذكره بقوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: يحقق الله أعمالهم وإيمانهم ﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾. يقول: بالقول الحق، وهو فيما قيل: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»<sup>(١)</sup>.

وعن طاوس، عن أبيه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال: لا إله إلا الله، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾: المسألة في القبر<sup>(٢)</sup>.

وعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ آتٍ ثُمَّ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: شهدت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جنازة فقال: «يا أيها الناس، إن هذه الأمة تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَإِذَا الْإِنْسَانُ دُفِنَ فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، جَاءَهُ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ فَأَقْعَدَهُ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

(١) «جامع البيان» (١٣/٦٥٧).

(٢) «نفسه» (١٣/٦٦٦).

(٣) رواه البخاري (١٣٦٩، ٤٦٩٩)، ومسلم [٢٨٧١].

فيقول: صدقت. ثم يُفْتَحُ له بابٌ إلى النارِ، فيقول: هذا كان منزلك لو كفرتَ برّبِّكَ، فأما إذ آمنْتَ فهذا منزلك. فيُفْتَحُ له بابٌ إلى الجنةِ، فيريدُ أن ينهَضَ إليه، فيقولُ له: اسْكُنْ. ويُفَسِّحُ له في قبره، وإن كان كافراً أو مُنافقاً، يقولُ له: ما تقولُ في هذا الرجلِ؟ فيقولُ: لا أدري، سَمِعْتُ الناسَ يقولون شيئاً. فيقولُ: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ <sup>(١)</sup> ولا اهْتَدَيْتَ. ثم يُفْتَحُ له بابٌ إلى الجنةِ، فيقولُ: هذا منزلك لو آمنْتَ برّبِّكَ، فأما إذ كَفَرْتَ به، فإن اللهَ - عزَّ وجلَّ - أبدلكَ به هذا. ويُفْتَحُ له بابٌ إلى النارِ، ثم يَقْمَعُهُ قَمْعَةً بِالْمِطْرَاقِ، يَسْمَعُهَا خَلْقُ اللهِ كُلُّهُمْ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ». فقال بعضُ القومِ: يا رسولَ اللهِ، ما أحدٌ يقومُ عليه مَلَكٌ في يده مِطْرَاقٌ إلا هِيلَ <sup>(٢)</sup> عندَ ذلك. فقال رسولُ اللهِ - صلى اللهُ عليه وسلم -: «﴿ يَثْبُتُ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾» <sup>(٣)</sup>.

وعن عكرمة، عن ابنِ عباسٍ في قوله: ﴿ يَثْبُتُ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾. قال: الشهادة؛ يُسألون عنها في قبورهم بعد موتهم. قيل لعكرمة: ما هو؟ قال: يُسألون عن إيمانٍ بمحمدٍ - صلى اللهُ عليه وسلم - وأمرِ التوحيدِ. قال: ﴿ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ ﴾. قال: عن تلك الشهادة، فلا يَهْتَدُونَ أبداً <sup>(٤)</sup>.

(١) «لا دَرَيْتَ ولا ائْتَلَيْتَ» قال ابن الأثير: أي: ولا استطعت أن تدري، يقال: ما آلوه، أي: ما أستطيعه، وهو افتعلت منه، والمحدثون يروونه: «لا دريت ولا تليت»، والصواب الأول اهـ. من «النهاية» (٦٢/١، ٦٣)، وانظره: (١٩٥/١).

(٢) هيل: رأى تهويل ففزع منها. «اللسان» (هـ ل).

(٣) أحمد (٣٢/١٧ - ٣٤ - [١١٠٠٠])، وابن أبي عاصم [٨٦٥]، والبخاري [٨٧٢ - كشف]، وابن جرير (١٣/٦٥٩، ٦٦٠)، والبيهقي [٤١]. وقال محققو المسند: «حديث صحيح، وهذا إسناد حسن».

(٤) رواه البيهقي في «عذاب القبر» [١٤].

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «وتحت هذه الآية كنز عظيم، من وُفق لمظنته وأحسن استخراجِه واقتناءه وأنفق منه، فقد غنم، ومن حُرِمه فقد حُرِم.

وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين، فإن لم يثبتته، وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما، وقد قال - تعالى - لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَفَدَدْتَ تَرَكَّنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]، وقال - تعالى - لأكرم خلقه: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢]، وقال - تعالى - لرسوله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

فالخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت.

ومادة التثبيت أصله ومنشؤه من القول الثابت، وفعل ما أمر به العبد، فبهما يثبت الله عبده، فكل من كان أثبت قولاً وأحسن فعلاً كان أعظم تثبيتاً، قال - تعالى -: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيَّتًا﴾ [النساء: ٦٦].

فأثبت الناس قلباً: أثبتهم قولاً.

**والقول الثابت:** هو القول الحق والصدق، وهو ضد القول الباطل الكذب.

فالقول نوعان: ثابت له حقيقة، وباطل لا حقيقة له.

وأثبت القول: كلمة التوحيد ولو ازماها، فهي أعظم ما يثبت الله بها عبده في الدنيا والآخرة؛ ولهذا ترى الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلباً، والكاذب من أمهن الناس وأخبثهم وأكثرهم تلوناً، وأقلهم ثباتاً، وأهل الفراسة يعرفون صدق الصادق من ثبات قلبه وقت الاختبار وشجاعته ومهابته، ويعرفون كذب الكاذب بضد ذلك، ولا يخفى ذلك إلا على ضعيف البصيرة.

وسئل بعضهم عن كلام سمعه من متكلم به، فقال: (والله ما فهمت منه شيئاً، إلا أنني رأيت لكلامه صولة ليست بصولة مُبْطَل).

فما مُنح العبدُ منحةً أفضلَ من منحه القولَ الثابت، ويجد أهل القول الثابت ثمرته أحوج ما يكونون إليه في قبورهم، ويوم معادهم، كما في صحيح مسلم من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إن هذه الآية نزلت في عذاب القبر»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال الرازي: «وعلة التسمية من وجوه:

**الأول-** أن المذكور المعلوم ثابت واجب الثبوت لذاته، ممتنع العدم لذاته. والقول والاعتقاد يتبعان المقول والمعتقد، فلما كان المقول والمعتقد واجب الثبوت لذاته، كان القول والاعتقاد كذلك، فلهذا سماه الله بالقول الثابت.

**الثاني-** أن هذا القول ثابت لا يؤثر الذنب فيه، بل هو مؤثر في إزالة الذنب، لأن الموحد وإن عظمت ذنوبه، إلا أنه ترحى له المغفرة، قال الله - تعالى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]. والكافر وإن عظم كفره إذا رجع من الكفر إلى التوحيد هَدَمَ التوحيدُ كفره.

**الثالث-** أن هذه الكلمة ثابتة في الآخرة، لا ترتفع عن العبيد، وذلك لأن أهل الجنة يشغلون في الجنة بذكر التوحيد. ألا ترى أن الله أخبر عنهم بقوله: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ [فاطر: ٣٤]. ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَدَّهُ ﴾ [الزمر: ٧٤]. ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ [الأعراف: ٤٣].

---

(١) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (١/ ٢٣٠، ٢٣١).

**الرابع-** أنها ثابتة لأن أصلها محكم، وذلك لأن أول من شهد هذه الشهادة هو الله - تعالى - ، بدليل قوله - تعالى - : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران: ١٨]. فشهادة جميع الشاهدين بتوحيد الله - تعالى - فرع على شهادة الله، وشهادة الله هي الأصل، فكل شهادة أصلها شهادة الله فهي ثابتة في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup> اهـ.

---

(١) «عجائب القرآن» ص (٨٣- ٨٥) بتصرف.

# إِلَّا إِلَهَ اللَّهِ

## (٣) الْقَوْلُ الصَّوَابُ

قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: ٣٨].

عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾. يقول: إلا من أذن له الربُّ بشهادة ألا إله إلا الله، وهي مُنتَهَى الصواب<sup>(١)</sup>.

وعن أبي صالح، وعكرمة: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ قال: «لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن كثير: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾، أي: حقًا، ومن الحق: «لا إله إلا الله»<sup>(٣)</sup>.

(١) «جامع البيان» (٥١/٢٤).

(٢) «نفسه» (٥٢/٢٤).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٢٨٢/٨).

## الْإِسْمَاءُ لِلَّهِ

### (٤) الْقَوْلُ السَّيِّدُ

قال - سبحانه -: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

[الأحزاب: ٧٠]

روى الطبري بسنده عن عكرمة في قول الله: ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ قولوا: «لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>.

وأخرج البيهقي في «الأسماء والصفات»، من طريق عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾. قال: قول: «لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>.

وقال الرازي: «قيل في تفسيره: الفاعل قد يكون بمعنى الفاعل، كالسميع بمعنى السامع، وقد يكون بمعنى المفعول، كالقتيل بمعنى المقتول، والجريح بمعنى المجروح، فإذا جعلته بمعنى الفاعل كان معناه: أنه يسد على صاحبه أبواب جهنم، وإذا حملته على معنى المفعول كان معناه: أنه يسد عن أن يضيره شيء من الذنوب.

وأيضاً فإن ذا القرنين بنى السد دفعاً لضرر يأجوج ومأجوج، والله - تعالى - جعل الإيمان سداً لضرر الشياطين من الجن والإنس»<sup>(٣)</sup>.

(١) «جامع البيان» (١٩٦/١٩).

(٢) «الأسماء والصفات» ص (٢٠٥)، وضعف المحققون سنده.

(٣) «عجائب القرآن» ص (٩٥، ٩٦).

# الإسلام بالله

## (٥) كلمة التوحيد

تدور مادة (وحد) على الانفراد والاختصاص، فتوحيد الله - تعالى - معناه: إفراده بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «التوحيد هو العلم بأن الله واحد»<sup>(٢)</sup>. ومعنى العلم بأنه - تعالى - واحد: أنه المنفرد الذي لا يشبهه شيء، ولا نظير له، ولا مثيل.

والتوحيد شامل لانفراد الله - تعالى - بالأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا يماثله فيها مخلوق أبداً، وبأفعاله المتعدية كالخلق والرزق والتدبير، وباستحقاقه للعبادة وحده دون من سواه<sup>(٣)</sup>.

---

(١) وذكر بعض العلماء أن التوحيد هو جعل الشيء واحداً، وهذا لا يصح أن يقال في توحيد الله - تعالى -، لأن وحدانية الله - سبحانه - ذاتية ليست بجعل جاعل.

وقال السفاريني - رحمه الله -: «والتوحيد: تفعيل للنسبة كالتصديق والتكذيب لا للجعل، فمعنى وحدتُ الله: نسبتُ إليه الوجدانية، وليس: جعلته واحداً، فإن وحدانية الله - تعالى - ذاتية له، ليست بجعل جاعل» اهـ. من «لوامع الأنوار البهية» ص (٥٦، ٥٧).

(٢) «فتح الباري» (١٣/٣٤٥).

(٣) وقد جمع الأنواع الثلاثة من التوحيد قوله - تعالى -: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

واعلم أن أقسام التوحيد الثلاثة مأخوذة من استقراء نصوص القرآن الكريم، فهذا التقسيم حقيقة شرعية مستمدة من كتاب الله - تعالى -، وليس أمراً اصطلاحياً أنشأه بعض العلماء.

قال الشيخ العلامة بكر أبو زيد - رحمه الله -: «هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن منده وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرره شيخ الإسلام ابن تيمية =



وهذه المعاني إذا نظرنا إليها من جهة فعل العبد، نجد أن منها ما يتعلق باعتقاده القلبي، ومنها ما يتعلق بأعمال الجوارح، فالأول: علمي خبري اعتقادي، والثاني: عملي قصدي طلبي، وهذه المعاني متفق على حقيقتها عند أهل السنة والجماعة، وأدلتها مستفيضة في القرآن والسنة وحياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - العملية.

وقد عبّر عن هذه المعاني أهل السنة والجماعة بذكرهم لأقسام التوحيد، وقد اختلف تقسيمهم لهذه المعاني لا لاختلافهم في التوحيد نفسه.

وهذه التعبيرات المختلفة ليست متباينة بل هي متوافقة، وهي كما يعبر الصادقون عن المعنى الحقيقي الصحيح حيث تختلف عباراتهم، وتتفق معانيها.

والمشهور عند أهل العلم أنهم يقسمون التوحيد إلى ثلاثة أقسام وهي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات<sup>(١)</sup> أو إلى قسمين وهما: توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد القصد والطلب.

---

= وابن القيم، وقرّره الزبيدي في «تاج العروس»، وشيخنا الشنقيطي في «أضواء البيان» في آخرين، رحم الله الجميع، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تُفَّه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء» اهـ. من «التحذير من مختصرات الصابوني» ص (٣٠).

(١) فإن قال قائل: إن كلمة «لا إله إلا الله» لا وجود فيها للفظ (رب)، فكيف تدل على توحيد الربوبية؟ والجواب: هو أن عبارة «لا إله إلا الله» تستلزم عقلاً سبقت الإيمان بأنه لا رب إلا الله، فعبارة «لا إله إلا الله» تتضمّن بالضرورة الفكري الإعلان بأنه لا رب إلا الله، وهذا نظير من أعلن أنه ابن فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإن كلامه هذا يتضمّن الإعلان بأنه حفيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، إن هذا يفهم بالضرورة العقلي حتماً، فلا حاجة =

وهذا التقسيم صحيح بنوعيه ولا خلاف بينهما، فإن الناظر إلى التوحيد من جهة ما يتعلق بالله - تعالى - يقسمه إلى ثلاثة أقسام: (ربوبية الله، وألوهيته، وأسمائه وصفاته)، أما من جهة ما يتعلق بالعبد فيقسمه إلى: (المعرفة والإثبات، والقصد والطلب).

إن إعلان المرء شهادته بأنه «لا إله إلا الله» تعبير عن إيمانه:

١ - بالله رَبًّا لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، إِذْ لَا رَبَّ فِي الْوُجُودِ غَيْرُ اللَّهِ - جَلَّ جَلَّالُهُ -، لَا عَلَى سَبِيلِ الْإِنْفِرَادِ، وَلَا عَلَى سَبِيلِ الْمَشَارَكَةِ.  
فالإيمان بأنَّ الرَّبَّ فِي الْوُجُودِ وَاحِدٌ هُوَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -، اعْتِرَافٌ بِالْحَقِّ، وَإِذْعَانٌ لَهُ.

وإِسْنَادُ الرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا أَوْ جُزْءٍ مِنْهَا إِلَى غَيْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَمْرٌ بَاطِلٌ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ كُفْرٌ بِاللَّهِ، وَمِنْ هَذَا الْكُفْرِ اعْتِقَادُ تَأْثِيرِ الْأَسْبَابِ تَأْثِيرًا ذَاتِيًّا فِي مُسَبِّبَاتِهَا، مِنْ دُونِ خَلْقِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.

= إلى التصريح به، والتصريح به فُضُولٌ مِنَ الْقَوْلِ. انظر: «توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية» للأستاذ عبد الرحمن الميداني ص (١٧-١٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «وشهادة أن لا إله إلا الله فيها الإلهيات، وهي الأصول الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأصول الثلاثة تدور عليها أديان الرسل وما أنزل إليهم، وهي الأصول الكبار التي دلت عليها وشهدت بها العقول والفطر».

وأما وجه دلالة هذه الكلمة العظيمة على أقسام التوحيد الثلاثة فظاهر تمامًا لمن تأملها، فقد دلت على إثبات العبادة لله ونفيها عن سواه، كما دلت أيضًا على توحيد الربوبية؛ فإنَّ العاجز لا يصلح أن يكون إلهًا، ودلت على توحيد الأسماء والصفات؛ فإنَّ مسلوب الأسماء والصفات ليس بشيء بل هو عدم محض، كما قال بعض العلماء: المشبَّه يعبد صنمًا، والمعطلُّ يعبد عدمًا، والموحِّد يعبد إله الأرض والسماء، وانظر: «التنبيهات السننية على العقيدة الواسطية» للشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد ص (٩).

والحاصل: أن «لا إله إلا الله» دلت على توحيد الألوهية بالمطابقة، وعلى توحيد الربوبية والصفات بالتضمن والملازمة، والله أعلم.

٢- بأن الله - عز وجل - هو وحده الإله المستحق للعبادة، لأنه هو وحده الرب المتصرف في الكائنات ابتداءً ودواماً حتى غايات آجالها في الوجود. وهذه القاعدة مبنية بناءً عقلياً منطقياً على القاعدة الأولى، فهي تمثل اللازم الفكري الأول لكون الله - جل جلاله - هو الرب الذي لا رب في الوجود سواه.

وإذ لا يوجد أحد في الوجود كله يشارك الله - تبارك وتعالى - في كل عناصر ربوبيته أو في بعضها، مهما قلت وضوئت، فإنه لا يوجد أحد سوى الله - عز وجل - يستحق أن يكون إلهاً يُعبد، لا على سبيل الانفراد، ولا على سبيل المشاركة لله سبحانه في إلهيته، لأنه هو المالك الأوحى لمخلوقاته، وهو المالك ذو الأمر والنهي والسلطان.

هذه قضية عقلية لا يخالف فيها إلا جاهل، أو ضال<sup>(١)</sup>.

وعندما نتأمل في معنى التوحيد فإننا نلمس أن هناك أموراً خاصة بالله - تعالى - لا يجوز أن يشاركه فيها غيره، وهذه الخصائص إذا اعتقد العبد أنها لله - تعالى - دون غيره حصل منه (التوحيد).

وينبغي أن يعلم أن التوحيد لا يتحقق إلا بنفي الحكم عما سوى الموحّد وإثباته له، وذلك أن النفي المحض تعطيل محض، والإثبات المحض لا يمنع مشاركة الغير في الحكم.

قال الرازي في سياق ذكر سبب تسمية «لا إله إلا الله» كلمة التوحيد: «وذلك لأنها تدل على نفي الشرك على الإطلاق. وفائدة قولنا: على الإطلاق، أنه - تعالى - لما قال: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]. أمكن أن يخطر ببال أحد أن

(١) انظر: «توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية» للأستاذ عبد الرحمن الميداني ص (١٧-٢٠).

يقول: إن إلهنا واحد، فلعل إله غيرنا مغاير لإلهنا. فالله - تعالى - أزال هذا التوهم ببيان التوحيد المطلق، فقال - بعد قوله ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ مباشرة: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾. وذلك لأن قولنا: لا رجل في الدار، يقتضي نفي الماهية، ومتى انتفت الماهية، انتفى جميع أفرادها، إذ لو حصل فرد من أفراد تلك الماهية لحصلت تلك الماهية، لأن كل فرد من أفراد الماهية يشتمل على الماهية، وإذا وجدت الماهية فذلك يناقض نفي الماهية، فثبت أن قولنا: لا رجل في الدار، يفيد النفي العام الشامل، فإذا قيل بعد ذلك: إلا زيدًا، أفاد التوحيد العام الكامل<sup>(١)</sup>.

وقد شاع في السُّنة النبوية الشريفة استعمال الفعل (وَحَّدَ) بمعنى أتى بشهادة أن لا إله إلا الله، فقد روى مسلم بسنده عن أبي مالك عن أبيه؛ أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «من وَحَّدَ الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمَهُ، وحسابُهُ على الله»<sup>(٢)</sup> الحديث.

وفي رواية: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله»<sup>(٣)</sup> الحديث. وروى مسلم بسنده عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «بني الإسلام على خمسة: على أن يُوحَّدَ الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج»<sup>(٤)</sup>.

وفي حديث عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - أنه سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الله أرسلك؟»، قال: «نعم»، قلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: «بأن يُوحَّدَ الله، ولا يُشْرَكَ به شيء، وكسر الأوثان، وصلة الرحم» الحديث<sup>(٥)</sup>.

(١) «عجائب القرآن» ص (٦٩).

(٢) رواه مسلم [٣٨، ٣٩].

(٣) رواه مسلم [٣٧].

(٤) رواه مسلم [١٩].

(٥) رواه الإمام أحمد رقم [١٧٠١٩]، وقال محققوه: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

وفي حديث خُفاف بن إيماء بن رَحْصَةَ الغِفاري - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - «نصب أصبعه السبابة يُوحِّد بها ربه - عزَّ وجلَّ -»، وفيه أيضًا: «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا صلى يصنع ذلك - أي نصب أصبعه السبابة في الصلاة - فكان المشركون يقولون: إنما يصنع هذا محمد بأصبعه يسحرها، وكذبوا إنما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصنع ذلك، يوحد بها ربه - عزَّ وجلَّ -»<sup>(١)</sup>.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة، وإن هشام بن العاص نحر حصته خمسين بدنة، وإن عمراً سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك، فقال: «أما أبوك فلو كان أقرَّ بالتوحيد، فَصُمَّتْ، وتصدَّقت عنه، نفعه ذلك»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي رافع - رضي الله عنه - قال: ضحَّى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بكبشين أملحين مَوْجِيَّين خَصِيَّين، فقال: «أحدهما عن شهد بالتوحيد، وله بالبلاغ، والآخر عنه وعن أهل بيته»، قال: فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد كفانا<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: «يذبح أحدهما عن أمته ممن أقر بالتوحيد، وشهد له بالبلاغ، ويذبح الآخر عن محمد وآل محمد»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) رواه الإمام أحمد رقم [١٦٥٧٢]، وضعفه محققوه لإبهام الراوي عن خُفاف بن إيماء.

(٢) رواه الإمام أحمد رقم [٦٧٠٤]، وقال محققوه: «إسناده حسن».

(٣) رواه الإمام أحمد رقم [٢٣٨٦٠]، وقال محققوه: «إسناده ضعيف».

(٤) رواه الإمام أحمد رقم [٢٥٨٤٣]، وقال محققوه: «صحيح لغيره».

# الْإِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

## (٦) الدِّينُ الْخَالِصُ

قال - تعالى - : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ

﴿ ٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢، ٣] <sup>(١)</sup>.

وروى الطبري عن قتادة: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ قال: «شهادة أن

لا إله إلا الله» <sup>(٢)</sup>.

---

(١) وقد ورد إخلاص الدين لله - عزَّ وجلَّ - في عدة مواضع من سورة الزمر كهذه الآية، وكقوله

- عز وجل -: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر: ١١]، وقوله - تبارك وتعالى -: ﴿ قُلْ

اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ، دِينِي ﴾ [الزمر: ١٤]، حتى سماها بعضهم اجتهادًا: سورة الإخلاص الكبرى.

(٢) «جامع البيان» (١٥٦/٢٠).

# الإسلامُ اللهُ

## (٧) كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ

عن عبد الرحمن بن أبيزى قال: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أصبح قال: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، وملة أبينا إبراهيم، حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين»، وإذا أمسى قال: «أمسينا على فطرة الإسلام» الحديث<sup>(١)</sup>. وفي لفظ: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلمنا إذا أصبحنا: أصبحنا على فطرة الإسلام..» الحديث وفي آخره «وإذا أمسينا مثل ذلك»<sup>(٢)</sup>.

وكان - صلى الله عليه وسلم - يقول في دُبر الصلاة: «لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»<sup>(٣)</sup>.

إن أول ما أمر الله - تعالى - به الناس في القرآن الكريم هو ما تضمنه قوله - تعالى - في سورة البقرة: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وهو أمر بإخلاص العبادة لله وحده، إذ الإخلاص هو الدين الذي بعث الله به رسله أجمعين، فكان محور دعوتهم ولببها، قال - عز وجل - : ﴿وَمَا

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤٠٦/٣، ٤٠٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١، ٢، ٣، ٣٤٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» [٣٣]، والدارمي (٢/٢٩٢)، وحسنه الحافظ ابن حجر، والسيوطي، وصححه الهيثمي، والنووي، والعراقي، والألباني.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائده» (١٢٣/٥)، بسند ضعيف جداً.

(٣) رواه مسلم [٥٩٤]، [١٣٩].





والخِلاص في لغة العرب: ما أخلصته النار من الذهب والفضة.

وكل شيء يُتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه، وخلص لله، سُمِّي خالصًا، وسُمِّي الفعل إخلصًا.

ويقولون: خالصه في العشرة: صافاه.

وقال - تعالى - : ﴿سُقِّيْكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا﴾ [النحل: ٦٦]. أي لا يخالطه دم ولا روث.

وقال - عزَّ وجلَّ - في إخوة يوسف: ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠]. أي: انفردوا، وتميزوا عن سواهم.

وقال - تعالى - فيما حكاه عن المشركين: ﴿خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩]. أي: لا يشركهم الإناث.

وقال - سبحانه -: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢]. أي: لا يشركهم فيها الكفار.

فالإخلاص يهدف إلى تخلص القصد المتوجه إلى الله - تعالى - من الأوشاب والأخلاق والفساد الذي يزاحمه ويخالطه؛ بحيث يتصفي القصد لله - عزَّ وجلَّ - دون سواه في جميع العبادات<sup>(١)</sup>.

وحقيقة الإخلاص: التبري عن كل ما دون الله - تعالى -<sup>(٢)</sup>.

(١) «مقاصد المكلفين» ص (٣٥٩، ٣٦٠).

(٢) «المفردات» (٢٩٣).

ويُقصد به أن يتوجه المكلف بأعماله كلها القلبية والظاهرة لله وحده دون سواه.

قال أبو القاسم القشيري: «الإخلاص: إفراد الحق - سبحانه وتعالى - في الطاعات بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله - تعالى - دون شيء آخر من تصنع لمخلوق، واكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله - سبحانه وتعالى -»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال الحارث المحاسبي: «الإخلاص إخراج الخلق عن معاملة الرب»<sup>(٢)</sup>.

وقال سهل بن عبد الله: «الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله - تعالى - خاصة»<sup>(٣)</sup>.

والإخلاص في تحقيق كلمة التوحيد أن تصفو العبادة لله وحده، وأن تخلص من كل شوائب الإشراف مع الله - تعالى -، قال - عز وجل - : ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٩]، فإخلاص المسلمين أنهم قد تبرؤوا مما يدعيه اليهود من التشبيه، والنصارى من التثليث<sup>(٤)</sup>.

(١) «الرسالة القشيرية» ص (٩٥).

(٢) «الإحياء» للغزالي (٤/٣٨١).

(٣) «الإحياء» للغزالي (٤/٣٨١).

(٤) «المفردات» ص (٢٩٢).

وقال - تعالى - في المنافقين: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٤٦﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦].

عن عثمان - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبدٌ حقاً من قلبه إلا حُرِّمَ على النار»، فقال له عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنا أحدثك ما هي؟ هي كلمة الإخلاص التي أَلزَمها الله - تبارك وتعالى - محمداً وأصحابه، وهي كلمة التقوى التي أَلَصَّ عليها نبي الله - صلى الله عليه وسلم - عمّه أبا طالب عند الموت: شهادة أن «لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو من نفسه»<sup>(٢)</sup>.

وعن عِبان بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - قال: «إن الله حَرَّمَ على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله - عزَّ وجلَّ»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله مخلصاً إلا فُتِحَتْ لها أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر تخريجه ص (٤١٩).

(٢) رواه البخاري (١٩٣/١)، (٤١٨/١١).

(٣) انظر تخريجه ص (٣٣٢).

(٤) تقدم تخريجه ص (٨٠).

ولأجل هذا كان الإخلاص شرطاً لانتفاع قائل «لا إله إلا الله» بها في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

وقال الفخر الرازي: «كلمة لا إله إلا الله، مسماة بكلمة الإخلاص، وذلك أن الأصل في هذه الكلمة عمل القلب، وهو كون الإنسان عارفاً بقلبه وحدانية الله - تعالى -، وهذه المعرفة الحاصلة بالقلب مستحيل أن يؤتى بها لغرض آخر سوى طاعة الله وحبه وعبوديته، فهذه المعرفة إن طلبت ظلت لوجه الله - تعالى -، لا لغرضٍ آخر البتة، بخلاف سائر الطاعات البدنية، فإنها كما يؤتى بها لتعظيم الله، قد يؤتى بها لسائر الأغراض العاجلة من الدنيا، وطلب المدح والثناء، فلهذا السبب سميت هذه الكلمة بكلمة الإخلاص»<sup>(٢)</sup>.

ننقح نيد عهففيه وفقهه يعويهغه وبع فيه هعهكي  
نفالوغ قغيد ظه فيقه وقيهغيد يوهه عههلع في جعفة عطفهكي

(١) انظر: «معارج القبول» (٢/٤٢٣).

(٢) «عجائب القرآن» ص (٧٣).

# الإسلام بالله

## (٨) كلمة الشهادة

الشهادة: قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر<sup>(١)</sup>.

ومن معاني الشهادة في اللغة:

١ - الإخبار بالخبر القاطع، ومنه قوله - تعالى - : ﴿ وَمَا شَهِدْنَا ﴾ أي ما أخبرنا ﴿ إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا ﴾ [يوسف: ٨١].

٢ - الإقرار، ومنه قوله - تعالى - : ﴿ شَهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكَفْرِ ﴾ [التوبة: ١٧]، أي: مُقَرِّين، فإن الشهادة على النفس هي الإقرار، قال - تعالى - : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهِدُوا أَحَدِهِمْ أَزْوَاجَ شَهِدَاتِهِمْ ﴾ الآية [النور: ٦]، وقال - تعالى - : ﴿ لِمَ شَهِدْتُم عَلَيْنَا ﴾ [فصلت: ٢١].

وتطلق «الشهادة» على كلمة التوحيد، وهي قولنا: «لا إله إلا الله» وتسمى عبارة: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» بالشهادتين.

ومعناها هنا متفرع عن مجموع المعنيين (الإخبار والإقرار)، فإن معنى الشهادة هنا هو الإعلام والبيان لأمر قد علم، والإقرار: الاعتراف به، وقد نص ابن الأنباري على أن المعنى هو: «أعلم أن لا إله إلا الله». وأبين أن لا إله إلا الله، وأعلم وأبين أن محمداً مُبَلَّغٌ للأخبار عن الله - عزَّ وجلَّ -.

وسُمِّيَ النطق بالشهادتين بالتشهد، وهو صيغة (تفعل) من الشهادة.

(١) «بصائر ذوي التمييز» (٣/ ٣٥٠)، وانظر: «المفردات» للراغب ص (٤٦٥-٤٦٨)، و«النهاية» لابن الأثير (٢/ ٥١٢-٥١٥).

وقد يُطلق (التشهد) على (التحيّات) التي تُقرأ في آخر الصلاة.

جاء في حديث ابن مسعود- رضي الله عنه -: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يعلمهم التشهد كما يعلمهم القرآن»<sup>(١)</sup>.

قوله - تعالى - : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨، ١٩].

قوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾ : الشهادة قد تكون بالقول، وقد تكون بالفعل. وشهادة الله - سبحانه وتعالى - لنفسه انفراده بالألوهية هنا، كشهادته لرسوله - صلى الله عليه وسلم - بأنه أنزل عليه الكتاب بقوله : ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ [النساء: ١٦٦]؛ فقد شهد - عزَّ وجلَّ - هو وملائكته لنفسه بالوحدانية، ولنبيه - صلى الله عليه وسلم - بالرسالة، والشهادة في الموضوعين قولية.

وأما الشهادة الفعلية ففيما يُظهره الله - سبحانه وتعالى - من آياته؛ فكل الكائنات تشهد لله - عزَّ وجلَّ - بالوحدانية بلسان الحال، وكذلك تأييده لنبيه - صلى الله عليه وسلم - بالنصر، وجعل العاقبة له، هو شهادة له بأنه رسول الله حقًا.

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله - في تفسير هذه الآية الكريمة: «تضمنت هذه الآية الكريمة: إثبات حقيقة التوحيد، والرد على جميع هذه الطوائف - التي فصل عقائدها الباطلة قبل هذا - والشهادة ببطلان أقوالهم

(١) رواه البخاري (٥٦/١١).

ومذاهبهم، وهذا إنما يتبين بعد فهم الآية، ببيان ما تضمنته من المعارف الإلهية،  
والحقائق الإيمانية.

فتضمنت هذه الآية: أجلَّ شهادةٍ وأعظَمَها، وأعدَلَهَا وأصدقَهَا، من أجلِّ  
شاهدٍ، بأجلِّ مشهود.

وعبارات السلف في «شهد» تدور على: الحكم والقضاء، والإعلام والبيان  
والإخبار.

قال مجاهد: حَكَمَ وقضى. وقال الزجاج: بيَّن. وقالت طائفة: أعلم وأخبر.  
وهذه الأقوال كلها حق، لا تنافي بينها، فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد،  
وخبيره وقوله، وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه. فلها أربع مراتب:

**فأول مراتبها - علم ومعرفة، واعتقاد لصحة المشهود به وثبوته.**

**وثانيها - تكلمه بذلك ونطقه به. وإن لم يُعَلِّمَ به غيره، بل يتكلم هو به مع  
نفسه، ويذكرها وينطق بها، أو يكتبها.**

**وثالثها - أن يُعَلِّمَ غيره بما شهد به، ويخبره به، ويبينه له.**

**ورابعها - أن يلزمه بمضمونها، ويأمره به.**

فشهادة الله - سبحانه - لنفسه بالوحدانية، والقيام بالقسط: تضمنت هذه  
المراتب الأربعة: علم الله - سبحانه - بذلك، وتكلمه به، وإعلامه وإخباره خلقه  
به، وأمرهم وإلزامهم به.

**١- أما مرتبة العلم: فإن الشهادة بالحق تتضمنها ضرورة، وإلا كان  
الشاهد شاهداً بما لا علم له به. قال الله - تعالى - : ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ**

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ [الزخرف: ٨٦]. وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «على مثلها فاشهد»<sup>(١)</sup> وأشار إلى الشمس.

٢- وأما مرتبة التكلم والخبر: فمن تكلم بشيء وأخبر به فقد شهد به، وإن لم يتلفظ بالشهادة، قال - تعالى -: ﴿ قُلْ هَلَمْ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥٠]، وقال - تعالى -: ﴿ وَجَعَلُوا أُمَّلَكَيْكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِ تَوَلَّوْا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنُّبُ شَهَدَاتِهِمْ وَيُسْتَأْذَنُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩]. فجعل ذلك منهم شهادة، وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة، ولم يؤدوها عند غيرهم. قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ». وشهادة الزور: هي قول الزور، كما قال - تعالى -: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١]، وعند هذه الآية قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ»<sup>(٢)</sup>. فسمي قول الزور شهادة.

وسمي الله - تعالى - إقرار العبد على نفسه شهادة، قال - تعالى -: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ﴾ [النساء: ١٣٥]. فشهادة المرء على نفسه: هي إقرار المرء على نفسه. وفي الحديث الصحيح في قصة ماعز: «فلما شهد على نفسه أربع مرات رجمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -». وقال - تعالى -: ﴿ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَعَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

(١) انظر: «كشف الخفاء» للعجلوني (٢/ ٧١) [١٧٨١].

(٢) رواه الترمذي [٢٣٠٠]، [٢٣٠١]، وأبو داود [٣٥٩٩]، وابن ماجه [٢٣٧٢]، وضعفه الألباني.



وهذا وأضعافه يدل على أن الشاهد عند الحاكم وغيره، لا يشترط في قبول شهادته أن يتلفظ بلفظ الشهادة، كما هو مذهب مالك وأهل المدينة، وظاهر كلام أحمد، ولا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين اشتراط ذلك. وقد قال ابن عباس: «شهد عندي رجال مَرَضِيُونَ - وأرضاهم عندي عمر - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن الصلاة بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس»<sup>(١)</sup>؛ ومعلوم أنهم لم يتلفظوا بلفظ الشهادة، والعشرة الذين شهد لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجنة: لم يتلفظ في شهادته لهم بلفظ الشهادة، بل قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة»<sup>(٢)</sup> الحديث.

وأجمع المسلمون على أن الكافر إذا قال: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فقد دخل في الإسلام، وشهد شهادة الحق، ولم يتوقف إسلامه على لفظ الشهادة. وقد دخل في قوله - صلى الله عليه وسلم -: «حتى يشهدوا: أن لا إله إلا الله»، وفي اللفظ الآخر: «حتى يقولوا: لا إله إلا الله» فدل على أن قولهم: «لا إله إلا الله» شهادة منهم، وهذا أكثر من أن تذكر شواهد في الكتاب والسنة، فليس مع من اشترط لفظ الشهادة دليل يعتمد عليه، والله أعلم.

**٣- وأما مرتبة الإعلام والإخبار: فنوعان: إعلام بالقول، وإعلام بالفعل، وهذا شأن كل مسلم معلّم لغيره بأمر؛ تارة يعلمه بقوله، وتارة بفعله، ولهذا كان من جعل دارًا مسجدًا وفتح بابها لكل من دخل إليها، وأذن بالصلاة فيها؛ معلّمًا أنها**

(١) رواه البخاري [٥٨١]، ومسلم [٨٢٦].

(٢) رواه الإمام أحمد [١٦٧٥]، والترمذي [٣٧٤٧]، والنسائي في «الكبرى» [٨١٩٤]، وابن حبان [٧٠٠٢]، وقال محققو «المسند»: «إسناده قوي على شرط مسلم».

وقف، وإن لم يتلفظ به. وكذلك من وُجد متقرباً إلى غيره بأنواع المسارِّ مُعلِّماً له  
ولغيره: أنه يحبه، وإن لم يتلفظ بقوله، وكذلك بالعكس.

وكذلك شهادة الرب - جل جلاله - وبيانه وإعلامه: يكون بقوله تارة، وبفعله  
تارة أخرى.

**فالقول:** هو ما أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، مما قد عَلِمَ بالاضطرار: أن  
جميع الرسل أخبروا عن الله أنه شهد لنفسه بأنه لا إله إلا هو، وأخبر بذلك، وأمر  
عباده أن يشهدوا به.

وشهادته - سبحانه -: ﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ معلومة من جهة كلِّ مَنْ بَلَّغَ عنه  
كلامه.

وأما بيانه وإعلامه بفعله: فهو ما تضمنه خبره - تعالى - عن الأدلة الدالة  
على وحدانيته التي تُعلم دلائلها بالعقل والفترة.

وهذا أيضاً يُستعمل فيه لفظ الشهادة، كما يستعمل فيه لفظ الدلالة والإرشاد  
والبيان، فإن الدليل يبين المدلول عليه ويظهره، كما يبينه الشاهد والمخبر، بل قد  
يكون البيان بالفعل أظهر وأبلغ، وقد يسمى شاهد الحال نطقاً وقولاً له وكلاماً،  
لقيامه مقامه، وأدائه مؤداه. كما قيل:

ونعهم عهليه على قهليع وكعلف  
وفيفقغ غع هفقي ههع يعنغ

ويسمى هذا شهادة أيضاً، كما في قوله - تعالى -: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ  
يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكَفْرِ ﴾ [التوبة: ١٧]. فهذه شهادة  
منهم على أنفسهم بما يفعلون من أعمال الكفر وأقواله، فهي شهادة بكفرهم،  
وهم شاهدون على أنفسهم بما شهدت به عليهم.

**والمقصود:** أنه - سبحانه - يشهد بما جعل آياته المخلوقة دالة عليه. فإن دلالتها إنما هي بخلقه وجعله، ويشهد بآياته القولية الكلامية المطابقة لما شهدت به آياته الخلقية، فتطابقت شهادة القول وشهادة الفعل، كما قال - تعالى -: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]. أي: أن القرآن هو الحق، فأخبر أنه يدل بآياته الأفقية والنفسية على صدق آياته القولية الكلامية.

وهذه الشهادة الفعلية: قد ذكرها غير واحد من أئمة العربية والتفسير.

قال ابن كيسان: شهد الله بتدبيره العجيب، وأموره المحكمة عند خلقه: أنه لا إله إلا هو.

**٤- وأما المرتبة الرابعة:** وهي الأمر بذلك والإلزام به، وإن كان مجرد الشهادة لا يستلزمه، لكن الشهادة في هذا الموضوع تدل عليه، وتتضمنه، فإنه - سبحانه - شهد به شهادة من حكم به، وقضى وأمر، وألزم عباده به كما قال - تعالى -: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣]. وقال - تعالى -: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ [النحل: ٥١]، وقال - تعالى -: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]، والقرآن كله شاهد بذلك.

ووجه استلزام شهادته - سبحانه - لذلك: أنه إذا شهد: «أنه لا إله إلا هو»، فقد أخبر وبيّن وأعلم وحكم وقضى: أن ما سواه ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم. فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره. وذلك يستلزم الأمر باتخاذ وحده إلهًا، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهًا، وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات، كما إذا رأيت رجلاً يستفتي، أو يستشهد، أو يستطب من ليس أهلاً لذلك، ويدع من هو أهل، فتقول له: هذا ليس

بمفت، ولا شاهد، ولا طيب، المفتي فلان، والشاهد فلان، والطيب فلان، فإن هذا أمر منك ونهي.

وأيضًا: فإن الآية دلت أنه وحده هو المستحق للعبادة، فإذا أخبر أنه وحده المستحق للعبادة تضمن هذا الإخبار أمر العباد، وإلزامهم بأداء ما يستحقه الرب - تعالى - عليهم، وأن القيام بذلك هو خالص حقه عليهم، فإذا شهد - سبحانه - أنه لا إله إلا هو تضمنت شهادته الأمر والإلزام بتوحيده.

وأيضًا: فلفظ الحكم والقضاء يستعمل في الجمل الخبرية، ويقال للجمل الخبرية: قضية وحكم، وقد حكم فيها بكيت وكيت. قال - تعالى -: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الصفافات: ١٥١-١٥٤]، لكن هذا حكم لا إلزام معه، والحكم والقضاء بأنه لا إله إلا هو: متضمن للإلزام، والله - سبحانه - أعلم.

\*\*\*

وقوله - تعالى -: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

«القسط» هو: العدل. فشهد - سبحانه - أنه قائم بالعدل في توحيده، وبالوحدانية في عدله، والتوحيد والعدل: هما جماع صفات الكمال. فإن التوحيد يتضمن تفرده - سبحانه - بالكمال والجلال، والمجد والتعظيم الذي لا ينبغي لأحد سواه. والعدل يتضمن وقوع أفعاله كلها على السداد والصواب، وموافقة الحكمة.

فهذا توحيد الرسل وعدلهم: إثبات حقائق الأسماء والصفات على ما يليق بالرب - سبحانه -، والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وإثبات القدر، والحكم

والغايات المحمودة بفعله وأمره، لا توحيد الجهمية والمعتزلة والقدرية، الذي هو إنكار الصفات، وحقائق الأسماء الحسنی، وعدلهم، الذي هو التكذيب بالقدر، أو نفي الحكم والغايات، والعواقب الحميدة التي يفعل الرب لأجلها ويأمر.

**وقيامه - سبحانه - بالقسط في شهادته يتضمن أمورًا:**

**أحدها -** أنه قائم بالقسط في هذه الشهادة التي هي أعدل شهادة على الإطلاق، وإنكارها وجحودها أظلم الظلم على الإطلاق، فلا أعدل من توحيد الرسل، ولا أظلم من الشرك. فهو - سبحانه - قائم بالعدل في هذه الشهادة قولاً وفعلاً، حيث شهد بها وأخبر، وأعلم عباده وبيّن لهم تحقيقها وصحتها، وألزمهم بمقتضاها، وحكم به، وجعل الثواب والعقاب عليها، وجعل الأمر والنهي من حقوقها وواجباتها.

فالدين كله من حقوقها، والثواب كله عليها، والعقاب كله على تركها. وهذا هو العدل الذي قام به الرب - تعالى - في هذه الشهادة.

فأوامره كلها تكميل لها، وأمر بأداء حقوقها، ونواهيها كلها صيانة لها عما يهدمها ويضادها، وثوابه كله عليها، وعقابه كله على تركها، وترك حقوقها، وخلق السماوات والأرض وما بينهما كان بها ولأجلها.

وهي الحق الذي خلقت به المخلوقات، وضدها هو الباطل والعبث الذي نزه الله نفسه عنه، وأخبر أنه لم يخلق به السماوات والأرض.

قال - تعالى - ردًّا على المشركين المنكرين لهذه الشهادة: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ۚ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

وقال - تعالى - : ﴿ حَمَّ ١ ﴾ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿ ٢ ﴾ مَا خَلَقْنَا  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا  
مُعْرِضُونَ ﴿ [الأحقاف: ١-٣]. وقال - تعالى - : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً  
وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا  
بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥]، وهذا كثير في القرآن.

والحق الذي خلقت به السماوات والأرض، ولأجله: هو التوحيد وحقوقه؛  
من الأمر والنهي، والثواب والعقاب، والشرع والقدر، والخلق. والثواب  
والعقاب: قائم بالعدل، والتوحيد صادر عنهما، وهذا هو الصراط المستقيم الذي  
عليه الرب - سبحانه وتعالى -: قال - تعالى - حكاية عن نبيه هود أنه قال: ﴿ إِنِّي  
تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ  
مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٦]. فهو - سبحانه - على صراط مستقيم في قوله وفعله. فهو  
يقول الحق ويفعل العدل: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ  
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥]. ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾  
[الأحزاب: ٤].

فالصراط المستقيم الذي عليه ربنا - تبارك وتعالى -: هو مقتضى التوحيد  
والعدل.

**والمقصود:** أن قوله - تعالى - : ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨]، هو كقوله:  
﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٦].

\*\*\*

قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ٦].

ذكر محمد بن جرير الطبري أنه قال: الأولى<sup>(١)</sup> وصف وتوحيد. والثانية: رسم وتعليم، أي قولوا: لا إله إلا هو.

ومعنى هذا: أن الأولى تضمنت أن الله - سبحانه - شهد بها وأخبر بها. والثاني للقرآن إنما يُخبر عن شهادة الله، لا عن شهادته هو؛ وليس في ذلك شهادة من التالي نفسه، فأعاد - سبحانه - ذكرها مجردة ليقولها التالي؛ فيكون شاهداً هو بها أيضاً.

وأيضاً: فالأولى خبر عن الشهادة بالتوحيد، والثانية خبر عن نفس التوحيد. وختم بقوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦]، فتضمنت الآيات توحيده وعدله، وعزته وحكمته.

فالتوحيد يتضمن ثبوت صفات كماله، ونعوت جلاله، وعدم المماثل له فيها، وعبادته وحده لا شريك له.

والعدل يتضمن وضعه الأشياء موضعها، وتنزيلها منازلها، وأنه لم يخص شيئاً منها إلا بمخصّصٍ اقتضى ذلك، وأنه لا يعاقب من لا يستحق العقوبة، ولا يمنع من يستحق العطاء، وإن كان هو الذي جعله مستحقاً.

والعزة تتضمن كمال قدرته، وقوته وقهره.

والحكمة تتضمن كمال علمه وخبرته، وأنه أمر ونهى، وخلق وقدر، لما له في ذلك من الحكم والغايات الحميدة التي يستحق عليها كمال الحمد.

---

(١) أي قوله - تعالى - : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ الآية [آل عمران: ١٨].

فاسمه (العزیز) یتضمن الملك، واسمه (الحکیم) یتضمن الحمد، وأول الآیة یتضمن التوحید، وذلك حقیقة «لا إله إلا الله» وحده لا شریک له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شیء قدير».

وذلك أفضل ما قاله رسول الله - صلى الله علیه وسلم - والنبیون من قبله<sup>(١)</sup>.  
و(الحکیم) الذي إذا أمر كان المأمور به حسنًا في نفسه، وإذا نهى عن شیء كان المنهي عنه قبيحًا في نفسه، وإذا أخبر بخبر كان صدقًا، وإذا فعل فعلاً كان صوابًا؛ وإذا أراد شيئًا كان أولى بالإرادة من غيره.  
وهذا الوصف على الكمال: لا يكون إلا لله وحده.

فتضمنت هذه الآیة وهذه الشهادة: وحدانيته المنافية للشرك، وعدله المنافي للظلم، وعزته المنافية للعجز، وحكمته المنافية للجهل والعیب.  
ففيها: الشهادة له بالتوحید والعدل والقوة، والعلم والحكمة، ولهذا كانت أعظم شهادة.

ولا يقوم بهذه الشهادة على وجهها من جميع الطوائف؛ إلا أهل السنة، وسائر طوائف أهل البدع لا يقومون بها.

قد فسرت شهادة أولي العلم: بالإقرار، وفسرت بالتبيين والإظهار. والصحيح أنها تتضمن الأمرين. فشهادتهم إقرار وإظهار وإعلام، وهم شهداء لله على الناس يوم القيامة. قال الله - تعالى - : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) انظر تحقيقه ص (٦٩).



استشهد - سبحانه - بأولي العلم على أجل مشهود عليه، وهو توحيده فقال:  
﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨]،  
وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه:

**أحدها -** استشهدهم دون غيرهم من البشر

**والثاني -** اقتران شهادتهم بشهادته.

**والثالث -** اقترانها بشهادة ملائكته.

**والرابع -** أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلتهم، فإن الله لا يستشهد من خلقه  
إلا العدول، ومنه الأثر المعروف عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: (يحمل  
هذا العلم من كل خَلْفٍ عُدُوهُ ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل  
الجاهلين) (١) (٢).

---

(١) حديث صحيح أخرجه جمع من الحفاظ، وصححه الإمام أحمد - رضي الله عنه -، كما ذكر  
الخطيب البغدادي - رحمه الله - في «شرف أصحاب الحديث». حديث رقم [٢٨].

(٢) «مفتاح دار السعادة» (٥٢، ٥٣).

(تنبية): قد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - القول في تفسير هذه الآية الكريمة كما  
في «تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية» جمع الأستاذ/ إيباد القيسي (٢/ ٣٩-٥٤)، فراجع، فإنه  
نفيس.

## الْإِسْمَاءُ

(٩) كَلِمَةُ الرَّسُولِ الْعَلِيَّاءِ

قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿إِلَّا نُنصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

قال شيخ المفسرين الطبري - رحمه الله -:

«يقول - تعالى - ذكره: فَأَنْزَلَ اللَّهُ طَمَأْنِينَتَهُ وَسُكُونَهُ عَلَى رَسُولِهِ. وقد قيل: على أبي بكر. ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾. يقول: وقواه بجنودٍ من عنده من الملائكة لم تروها أنتم، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وهي كلمة الشرك، ﴿السُّفْلَىٰ﴾: لأنها فهّرت وأذلت، وأبطلها الله - تعالى -، ومحق أهلها، وكلُّ مَقْهُورٍ وَمَغْلُوبٍ فهو أسفلٌ من الغالب، والغالب هو الأعلى، ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ﴾. يقول: ودينُ الله وتوحيده وقول لا إله إلا الله، وهي كلمته، ﴿هي العُلْيَا﴾: على الشرك وأهله، الغالبة.

كما حدّثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ﴾: وهي الشرك بالله، ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ هي العُلْيَا﴾: وهي لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾. خبرٌ مبتدأ، غيرُ مردودٍ على قوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾؛ لأن ذلك لو كان معطوفاً على الكلمة الأولى لكان نَصْباً<sup>(١)</sup>.

وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فإنه يعني: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في انتقامه من أهل الكفر به، لا يَقْهَرُهُ قَاهِرٌ، ولا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، ولا يَنْصُرُ مَنْ عَاقَبَهُ نَاصِرٌ، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ، وَتَصْرِيْفِهِ إِيَاهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ<sup>(٢)</sup> اهـ.

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: جاء رجلٌ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: الرجلُ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قال: «مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) فالرفع في «وكلمة الله» يعطي معنى التقرير، لأن كلمة الله هي العليا طبيعة وأصلاً، بدون تصيير متعلق بحادثة معينة.

(٢) «جامع البيان» (١١/٤٦٧).

(٣) رواه البخاري (١٢٣، ٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨)، ومسلم [١٩٠٤]، وأبو داود [٢٥١٧]، [٢٥١٨]، والترمذي [١٦٤٦]، والنسائي [٣١٣٦].

# الْإِسْمَاءُ لِلَّهِ

(١٠) **الكلمة الطيبة**

قال الله - تعالى -: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

«أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن ابن عباس في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾: شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾، وهو المؤمن، ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾. يقول: لا إله إلا الله ثابت في قلب المؤمن، ﴿ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ يقول: يرفع بها عمل المؤمنين إلى السماء»<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم - رحمه الله -: «فشبهه - سبحانه وتعالى - الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة؛ لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع، وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين: الكلمة الطيبة: هي شهادة أن لا إله إلا الله، فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة، الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مُرضٍ لله فهو ثمرة هذه الكلمة.

وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾: شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾: وهو المؤمن. ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾

(١) «الدر المنثور» (٨/٥٠٩، ٥١٠).

قول: لا إله إلا الله في قلب المؤمن ﴿وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ . يقول: يُرْفَعُ بِهَا عَمَلُ  
المؤمن إلى السماء.

وقال الربيع بن أنس: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: هذا مثل الإيمان، فالإيمان: الشجرة  
الطيبة، وأصلها الثابت الذي لا يزول: الإخلاص فيه، ﴿وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾:  
خشية الله.

والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن، فإنه - سبحانه - شبه شجرة  
التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل، الباسقة الفرع في السماء علواً،  
التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين.

وإذا تأملت هذا التشبيه رأيت مطابقتاً لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في  
القلب، التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء.

ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت، بحسب ثباتها في  
القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها،  
ومراعاتها حق رعايتها، فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي  
حقيقتها، واتصف قلبه بها، وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها،  
فعرف حقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لله، ويشهد بها لسانه، وتصدقها جوارحه،  
ونفى تلك الحقيقة ولو ازماها عن كل ما سوى الله، وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي  
والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائفة سالكة سبيل ربه ذللاً،  
غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلاً، كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق  
بدلاً، فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها

من العمل الصالح الصاعد إلى الرب - تعالى -، وهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب - تعالى -.

وهذه الكلمة الطيبة تثمر كَلِمًا كَثِيرًا طَيِّبًا، يقارنه عمل صالح، فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب، كما قال - تعالى -: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. فأخبر - سبحانه - أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملاً صالحاً كل وقت.

**والمقصود:** أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفاً بمعناها وحققتها نفيًا وإثباتًا، متصفًا بموجبها، قائمًا قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد، أصلها ثابت راسخ في قلبه، وفروعها متصلة بالسماء، وهي مُخْرِجَةٌ ثمرتها كلَّ وقت<sup>(١)</sup> اهـ.

قال صاحب الظلال - رحمه الله تعالى -: «إن الكلمة الطيبة - كلمة الحق - كالشجرة الطيبة، ثابتة سامقة مثمرة.. ثابتة لا تززعها الأعاصير، ولا تعصف بها رياح الباطل، ولا تقوى عليها معاول الطغيان - وإن خُيِّلَ للبعض أنها معرضة للخطر الماحق في بعض الأحيان - سامقة متعالية، تطل على الشرِّ والظلم والطغيان من علٍ - وإن خيل إلى البعض أحياناً أن الشر يزحمها في الفضاء - مثمرة لا ينقطع ثمرها، لأن بذورها تنبت في النفوس المتكاثرة آنأ بعد آن.

وإن الكلمة الخبيثة - كلمة الباطل - كالشجرة الخبيثة، قد تهيج وتتعالى وتتشابك، ويخيل إلى بعض الناس أنها أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى. ولكنها

(١) «أعلام الموقعين» (١/١٧٢، ١٧٣).

تظل نافثة هشة، وتظل جذورها في التربة قريبة حتى لكأنها على وجه الأرض.. وما هي إلا فترة ثم تُجتث من فوق الأرض، فلا قرار لها ولا بقاء.

ليس هذا وذاك مجردَ مَثَلٍ يُضْرَبُ، ولا مجرد عزاء للطيبين وتشجيع. إنما هو الواقع في الحياة، ولو أبطأ تحققه في بعض الأحيان»<sup>(١)</sup>.

صح في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الشجرة الطيبة هي النخلة: فقد روى الشيخان في (صحيحيهما) عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدّثوني ما هي؟» فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدّثنا ما هي يا رسول الله؟ فقال: «هي النخلة» الحديث<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية للبخاري: فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إن من الشجر لَمَا بركنه كبركة المسلم»<sup>(٣)</sup>.

وروى الترمذي وغيره عن شعيب بن الحبحاب قال: كنا عند أنس، فأتينا بطبق عليه رطب، فقال أنس - رضي الله عنه - لأبي العالية: «كل يا أبا العالية، فإن هذا من الشجرة التي ذكر الله في كتابه ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ قال: هكذا قرأها يومئذ أنس»<sup>(٤)</sup>.

(١) «في ظلال القرآن» (٤/٢٠٩٨، ٢٠٩٩).

(٢) رواه البخاري [٣٨/١]، ومسلم (٤/٢١٦٤).

(٣) رواه البخاري (٣/٤٤٤).

(٤) رواه الترمذي رقم [٣٣٣٨]، والطبري في تفسيره رقم [١٨٨٣٥]، واللفظ له، وصححه الألباني موقوفاً في «صحيح سنن الترمذي» رقم [٢٤٩٤].

وروى الطبراني في (الكبير) عن ابن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعاً: «مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شيء نفعك»<sup>(١)</sup>.

**تنبيه:** قد فصل جمع من العلماء في مصنفاتهم وشروحهم أوجه الشبه بين المؤمن والنخلة، ومن أجمع ما كُتب في ذلك كتاب «تأملات في مماثلة المؤمن للنخلة»<sup>(٢)</sup> للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر - حفظهما الله تعالى -، فراجع فإنه نفيس.

---

(١) «المعجم الكبير» (١٢/رقم ١٣٥١٤)، وصححه الحافظ في «الفتح» (١/١٤٧).  
(٢) طبعته دار ابن عفان - الخبر - السعودية - (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).



# الاستقامة

(١١) كلمة الاستقامة

قال - تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَزَلُّ عَلَيْهِمُ  
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾  
نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ  
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ تَزَلَّ مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿فصلت: ٣٠-٣٢﴾.

ذهب فريق من المفسرين إلى أن المقصود: الذين أقرؤا بربوبية الله وتوحيده  
وما يقتضيه من عمل الصالحات، ثم ثبتوا على ذلك حتى الممات، ولم يلبسوا  
هذا التوحيد والإيمان بشرك ينقضه ويقدم فيه.

فقد أخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّ  
الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾: «قال: على شهادة أن لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>.

«وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس، أنه سُئِلَ: أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ  
أَرْجَى؟ قَالَ: قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾: عَلَى شَهَادَةِ أَنْ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قِيلَ لَهُ: فَأَيْنَ قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾  
[الزمر: ٥٣]. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: زِدْ، أَقْرَأُ: ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٤]. فِيهَا،  
عَلَّقَهُ، أَي: اَعْمَلُوا.

وأخرج عبد بن حميد عن إبراهيم، ومجاهد في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾.  
قالا: قالوا: لا إله إلا الله، لم يُشْرِكُوا بَعْدَهَا بِاللَّهِ شَيْئًا حَتَّى يَلْقَوْهُ.

(١) «الأسماء والصفات» ص (٢٠٥).

وأخرج ابن المبارك، وعبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، ومُسَدَّد، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، من طريق سعيد بن نمران، عن أبي بكر الصديق في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾. قال: الاستقامة أن لا تُشركوا بالله شيئاً.

وأخرج ابن راهويه، وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي في «نوادِر الأُصول»، وابن جرير، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية» من طريق الأُسود بن هلال، عن أبي بكر الصديق، أنه قال: ما تقولون في هاتين الآيتين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾، و﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]. قالوا: الذين قالوا ربنا الله، ثم عملوا بها واستقاموا على أمره فلم يُذنبوا، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾: لم يُذنبوا. قال: لقد حملتموها على أمرٍ شديد؛ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾. يقول: بشرك، و﴿الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾: فلم يرجعوا إلى عبادة الأوثان»<sup>(١)</sup>.

---

(١) «الدر المنثور» (١٣/١٠٣-١٠٥).

# الاستِئذانُ باللهِ

## (١٢) كلمةُ النجاةِ

سبق أن بيّنا أن «لا إله إلا الله» تُنجي قائلها من سوء الخاتمة والعياذ بالله، ومن وحشة القبور، وأهوال يوم النشور، كما أنها تنجيه من دخول النار، فإن عوقب بمعاصيه التي مات دون أن يتوب منها وأُدخل النار، فإن «لا إله إلا الله» تنجيه من الخلود في النار.

وقد قص الله - تعالى - في كتابه المجيد قول مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۗ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ ۗ مَا لِيَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ۗ﴾ [غافر: ٤١-٤٢].

ولاشك أن النجاة في الإتيان بالركن الأعظم من الإسلام وهو شهادة أن لا إله إلا الله، إذ بها ينجو المؤمن من عذاب الله وعقوبته، عن مجاهد قال: ﴿مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ ۗ﴾ الإيمان بالله<sup>(١)</sup>.

فكان يدعوهم إلى النجاة من النار، وهم يدعونه إلى النار.

وقال - تعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۗ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ﴾ [النساء: ٤٨]. وهذا يدل على أن النجاة لا تحصل بدون الإيمان بـ «لا إله إلا الله»، وتحصل مع الإيمان بها.

ولأنها «كلمة النجاة» فزع إليها الكفار حين رأوا بأس الله قد نزل بهم، قال الله - تعالى - : ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ۚ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ ۚ﴾

(١) «جامع البيان» (٢٠/٣٣١).

مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ  
وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰفِرُونَ ﴿﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

وتشبت بها فرعون كما قصَّ الله عنه: ﴿ وَجَنَوْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَنْبَعَهُمْ  
فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَقًّا إِذْآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي  
ءَامَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ  
الْمُفْسِدِينَ ﴿﴾ [يونس: ٩٠، ٩١].

فأمن حيث لا ينفعه الإيمان، لأن الإيمان وقت الغرغرة وحلول العذاب  
إيمان اضطراري لا عبرة به، كالذين قال الله في حقهم: ﴿ وَكَلَّوْا تَرِيًّا إِذِ  
الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوْا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ  
صٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿﴾ [السجدة: ١٢]، فهذا يقين اضطراري في دار الجزاء، والعبرة  
باليقين الإرادي الاختياري في دار العمل والابتلاء.

قال الرازي: «اعلم أن هذا الذكر لما كان من أفضل الأذكار فالعدو لما جاءته  
المحنة فزع إليه، والولي لما جاءته المحنة فزع إليه.

أما العدو فإن فرعون لما قرب من الغرق قال: ﴿ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي  
ءَامَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴿﴾ [يونس: ٩٠]. والمعنى: أنه لا إله يقدر أن يجعل النار راحة  
كما في حق إبراهيم، ولا الماء عذاباً كما في حق فرعون، إلا الذي آمنت به  
بنو إسرائيل.

وأما الولي فكما في حق يونس: قال الله - تعالى -: ﴿ فَكَادَى فِي الظُّلْمَتِ أَنْ  
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحٰنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿﴾ [الأنبياء: ٨٧]. والمعنى:

لا إله إلا أنت، فإنك أنت الذي تقدر على حفظ الإنسان حياً في بطن الحوت، ولا قدرة لغيرك على هذا الحال.

فإن قيل: كل واحد منهما نادى، فلماذا قبل نداء أحدهما ولم يقبل نداء الآخر؟

**قلنا: الفرق من وجوه:**

**الأول-** أن يونس - عليه السلام - كان قد سبقت له المعرفة مع هذه الكلمة، فسبقت المعرفة إعانة على قبولها منه. وأما فرعون فقد تقدم له سبق الكفر، وذلك لأن الذي تقدم له (هو) النداء إلى نفسه كما قال - تعالى - : ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ [النازعات: ٢٣، ٢٤]. وأما يونس - عليه السلام - فقد كان ينادي الله. قال - تعالى - : ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ [القمم: ٤٨]. وأيضاً قال: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]. وهذا ينبهك على أن من حفظ الله في الخلوات يحفظه في الفلوات.

**الثاني-** أن يونس - عليه السلام - إنما ذكر هذه الكلمة مع الحضور فقال: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ﴿٩٠﴾ فَكَانَ فِي الْحَضُورِ وَالشَّهُودِ. وأما فرعون فإنه قالها في الغيبة، فقال: ﴿ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴿٩٠﴾ [يونس: ٩٠]. فأحال العلم بحقيقة هذه الكلمة على الغير.

**الثالث-** أن فرعون ذكر هذه الكلمة على سبيل التقليد لبني إسرائيل، فقال: ﴿ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴿٩٠﴾ [يونس: ٩٠]. وأما يونس - عليه السلام - فإنه إنما ذكرها على سبيل الاستدلال مع العجز والانكسار بسبب تلك الكلمات. ثم قال بعده: ﴿ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧].

فحصل له العجز والانكسار بسبب الذلة، فلما كانت هذه مسبقة بالعجز والانكسار ملحوقه بهما لا جرم صارت مقبولة، لقوله - تعالى - : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل: ٦٢].

**الرابع-** أن فرعون إنما ذكر هذه الكلمة لا للعبودية، بل لطلب الخلاص من الغرق، بدليل قوله: ﴿ حَقَّ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ ﴾ [يونس: ٩٠]. وأما يونس - عليه السلام - فهو إنما قالها لما حصل له من الانكسار بسبب التقصير في الطاعة والعبودية، بدليل قوله بعده: ﴿ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup> اهـ.

---

(١) «عجائب القرآن» ص (٥٣ - ٥٥).

## الاستدلال

### (١٣) كلمة الفلاح

من معاني «الفلاح» لغة<sup>(١)</sup>: الظفر، والفوز بالبغية. وذلك ضربان: دنيوي، وأخروي.

فالديني: نيل الأسباب التي بها تطيب الحياة. وهي البقاء، والغنى، والعز، وإياه قصد الشاعر بقوله:

ظنهم غمهم، ننف يفتقن غمهم، نذبتن ونف يفتقن عاقبتهم

والأخروي: أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل، لذلك قال - صلى الله عليه وسلم -: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة».

وقال - تعالى -: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقوله: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى﴾ [طه: ٦٤] يحتمل الأخروي والديني وهو أقرب.

وقول المؤذن: «حيّ على الفلاح»: أي هلموا إلى سبب البقاء في الجنة، والفوز بها، وهو الصلاة في الجماعة، لأن الفلاح: البقاء والفوز والظفر، من أفلح، كالنجاح من أنجح.

ومنه حديث الخيل: «من ربطها عُدَّةً في سبيل الله فإن شبعها وجوعها ورَبَّها وضمأها وأرواثها وأبوالها فَلَاحٌ في موازينه يوم القيامة» أي: ظفر وفوز.

(١) انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب ص (٦٤٤)، و«النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤٦٩/٣)، و«بصائر ذوي التمييز» للفيروز أبادي (١٨٠/٢)، (٢١٣/٤).

ومنه حديث السَّحُور: «حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح» سُمِّيَ بذلك لأن بقاء الصوم به».

وفي حديث أبي الدحداح:

\* بَشَّرَكَ اللهُ بِخَيْرٍ وَفَلَحَ \*

أي: بقاء وفوز، وهو مقصور من الفلاح.

وفي حديث ابن مسعود- رضي الله عنه -: «إذا قال الرجل لامرأته: (استفليحي بأمرِكِ)، فقبلته، فواحدة بائنة» أي: فُوزِي بِأَمْرِكِ واستبديَّ به.

\*\*\*

وقد قال الله - تعالى -: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، وركن الإيمان الأعظم هو شهادة أن لا إله إلا الله.

وقال - عزَّ وجلَّ - في المؤمنين ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال - سبحانه -: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤]. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩] وتزكية النفس بلا إله إلا الله أعظم التزكية كما تقدم بيان ذلك (١).

وقال - تبارك وتعالى -: ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢].

ونفى الله - عزَّ وجلَّ - الفلاح عن من استكبروا عن شهادة التوحيد، فقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقال حكاية عن أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠].

---

(١) راجع ص (٥٠)، وما بعدها.



وعن ربيعة بن عباد الديلي وكان جاهلياً أسلم، فقال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: «يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا» ويدخل في فجاجها، والناس متقصّفون<sup>(١)</sup> عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً، وهو لا يسكت يقول: «أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا» إلا أن وراءه رجلاً أحول وضيء الوجه ذا غدирتين يقول: إنه صابئ كاذب. فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله وهو يذكر النبوة، قلت: من هذا الذي يكذبه؟ قالوا عمه أبو لهب. قلت: إنك كنت يومئذ صغيراً! قال: لا والله إنني يومئذ لأعقل<sup>(٢)</sup>.

وعن شيخ من بني مالك بن كنانة، قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: «يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا». قال: وأبو جهل يحثي عليه التراب، ويقول: يا أيها الناس، لا يعرّنكم هذا عن دينكم، فإنما يريد لتركوا ألّهتكم، وتتركوا اللات والعزى، قال: وما يلتفت إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: قلنا: انعت لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: بين بردين أحمرين، مربع كثير اللحم، حسن الوجه، شديد سواد الشعر، أبيض شديد البياض، سابغ الشعر<sup>(٣)</sup>.

وعن عمران بن حصين، قال: كانت العضاء لرجل من بني عقيّل، وكانت من سوابق الحاج، فأسر الرجل، وأخذت العضاء معه، قال: فمرّ به رسول الله

(١) متقصّفون عليه: أي مجتمعون عليه تعجباً مما يقول.

(٢) «المسند» (٢٥ / ٤٠٤، ٤٠٥) رقم [١٦٠٢٣]، وقال محققوه: «صحيح لغيره».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» رقم [١٦٦٠٣]، وقال محققوه: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين» (٢٧ / ١٤٨).

- صلى الله عليه وسلم - وهو في وثاقٍ ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -  
على حِمَارٍ عليه قَطِيفَةٌ، فقال: يا مُحَمَّدُ، تأخذونني وتأخذونَ سابقَةَ الحَاجِّ؟ قال:  
فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: «نَأْخُذُكَ بِجَرِيرَةٍ حُلْفَائِكَ ثَقِيفٍ» قال:  
وقد كانت ثَقِيفٌ قد أَسْرُوا رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم -،  
وقال فيما قال: وإني مُسْلِمٌ. فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: «لَوْ قُتِلَتْهَا  
وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ»<sup>(١)</sup> قال: وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -  
وسلم -، قال: فقال: يا مُحَمَّدُ، إني جائعٌ فأطعمني، وإني ظمآنٌ فاسقني. قال:  
فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: «هَذِهِ حَاجَتُكَ!» ثُمَّ فُدِيَ بِالرَّجُلَيْنِ،  
وحبس رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - العُضْبَاءَ لِرَحْلِهِ<sup>(٢)</sup>.

وفي قصة هرقل التي رواها البخاري في أول صحيحه في كتاب بدء الوحي:  
«ثُمَّ كَتَبَ هِرْقَلٌ إِلَى صَاحِبِهِ لَهُ بَرُومِيَّةً، وَكَانَ نَظِيرُهُ فِي الْعِلْمِ، وَسَارَ هِرْقَلٌ إِلَى  
حَمَصَ، فَلَمْ يَرَمْ حَمَصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرْقَلٍ عَلَى خُرُوجِ  
النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وَأَنَّهُ نَبِيٌّ. فَأَذَنَ هِرْقَلٌ لِعِظْمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةِ  
لَهُ بِحَمَصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَعُلِّقَتْ، ثُمَّ أَطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي  
الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَثْبَتَ مُلْكُكُمْ فُتُبَايَعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ  
الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ عُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرْقَلٌ نَفَرَتَهُمْ وَأَيَسَ مِنْ  
(١) يعني لو قلت كلمة الإسلام قبل الأسر حين كنت مالك أمرك أفلحت كل الفلاح؛ لأنه لا يجوز  
أسرك لو أسلمت قبل الأسر، فكنت قد أفلحت بالإسلام وبالسلامة من الأسر ومن اغتنام مالك،  
واما إذا أسلمت بعد الأسر فيسقط الخيار في قتلك، ويبقى الخيار بين الاسترقاق والمن والفداء.  
(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» رقم [١٩٨٦٣]، وقال محققوه: «إسناده صحيح على شرط  
مسلم».

الإيمان قال: رُدُّوهم عليَّ، وقال: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي أَنِفًا اخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ. فَسَجِدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «قد أفلح من آمن، ورُزق كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وعنه - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قد أفلح من أسلم، ورُزق كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) رواه البخاري (١ / ٧١، ٧٢) ط. طيبة - الرياض.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» رقم [٦٦٠٩]، وقال محققوه: «صحيح».

(٣) رواه الإمام أحمد [٦٥٧٢]، ومسلم [١٠٥٤]، والترمذي [٢٣٤٨]، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والكفاف: ما لا فضل فيه.

# الإسلام بالله

## (١٤) الكلمة الباقية

قال - تعالى -: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

قال ابن جرير - رحمه الله -: «وقوله: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ﴾. يقول جل ثناؤه: وجعل قوله ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾. - وهو قول: لا إله إلا الله - كلمة باقية في عقبه، وهم ذريته، فلم يزل في ذريته من يقول ذلك من بعده.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الكلمة التي جعلها خليل الرحمن باقية في عقبه؛ فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك.

### قنقه نعه قهن

حدَّثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ليث عن مجاهد: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ﴾. قال: لا إله إلا الله.

حدَّثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ﴾. قال: شهادة أن لا إله إلا الله، والتوحيد، لم يزل في ذريته من يقولها من بعده.

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: ثنا ابنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قتادة في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾. قال التوحيد والإخلاص، ولا يزال في ذريته من يُوحِّدُ اللهَ ويعبده.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، قَالَ: ثنا أحمدٌ، قال: ثنا أسباطٌ، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾. قال: لا إله إلا الله.

وقال آخرون: الكلمة التي جعلها باقية في عقبه اسم الإسلام.

### قِنْ قَهْ نَعَهْ قَهْن

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قال ابنُ زيدٍ في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾. قال: الإسلامُ، وقرأ: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]. قال: جعل هذه كلمة باقية في عقبه، وقال: الإسلامُ، وقرأ: ﴿هُوَ سَمَكُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]. وقرأ: ﴿وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] (١).

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: «يقول - تعالى - مخبراً عن عبده ورسوله وخليته إمام الحنفاء، ووالد من بعث بعده من الأنبياء الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها: أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان، فقال: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٣٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي (٣٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ»، أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله - تعالى - وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي «لا إله إلا الله»، أي: جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم - عليه السلام -، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، أي: إليها. وقال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغيرهم في قوله - تعالى -: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾، يعني: لا إله إلا الله، لا يزال في ذريته

(١) انظر: «جامع البيان» (٢٠/٥٧٦، ٥٧٧).

من يقولها. وروى نحوه عن ابن عباس. وقال ابن زيد: كلمة الإسلام. وهو يرجع إلى ما قاله الجماعة<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله -: «أي: جعل هذه الموالاتة لله والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض وهي كلمة: **لا إله إلا الله**، وهي التي ورثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

وقال الرازي - رحمه الله -: «روى عن كثير من المفسرين أنهم قالوا في تفسير قوله - تعالى - : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ : إنها قول: **لا إله إلا الله**، ويدل عليه وجوه:

**الأول -** مقدمة هذه الآية، وهي قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴾ وكان معنى قوله: ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ ﴾. نفي الإلهية عن الأشياء التي كانوا يعبدونها، ثم قال: ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾. فكان فيه إثبات الإلهية للذي فطره، فإذا حصل هذان المعنيان كان مجموعهما هو قول: **لا إله إلا الله**. ثم قال: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ فثبت أن المراد من الكلمة الباقية قول: **لا إله إلا الله**.

**الثاني -** أنه - تعالى - قال في سورة القصص: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨]. فبين أن كل شيء هالك إلا هو، فإنه واجب الدوام، والبقاء، والسرمدية. وقد عرفت أن القول تبع المقول،

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٧/٢٢٦).

(٢) «بدائع التفسير» (٢/٤٣٧).

والاعتقاد تبع المعتقد، فكان صدق **لا إله إلا الله**، وحقيقة **لا إله إلا الله** واجِبِي الثبوت والبقاء والدوام، وذلك هو المراد بكونها باقية.

**الثالث-** أنا بينا أن التوحيد لا يزول بسبب المعصية، والمعصية تزول بسبب التوحيد<sup>(١)</sup>، وأيضًا التوحيد يبقى مع أهل الجنة، وسائر الطاعات لا تبقى...»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) لعله يشير إلى ما تقدم ص (٣٤٣) من كون **«لا إله إلا الله»** مغفرة للذنوب، وكفارة للخطايا.  
(٢) «عجائب القرآن» ص (٨٧).

# الْإِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

## (١٥) كَلِمَةُ النُّقْوَى

قال الله - تعالى - : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦].

قال السيوطي - رحمه الله - : «قوله - تعالى - : ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ . أَخْرَجَ الترمذي، وعبدُ الله بنُ أحمدَ في زوائد (المسند)، وابنُ جرير، والدارقطني في (الأفراد)، وابنُ مردويه، والبيهقي في (الأسماء والصفات)، عن أبي بن كعب، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ . قال: «لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابنُ مردويه عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في قولِ الله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ . قال: «لا إله إلا الله».

وأخرج ابنُ مردويه عن سلمة بن الأكوع، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في قولِ الله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ . قال: «لا إله إلا الله».

(١) رواه الترمذي رقم [٣٢٦٥]، وهو في «صحيح سنن الترمذي» رقم [٢٦٠٣].



وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وصححه، والبيهقي في (الأسماء والصفات)، عن علي بن أبي طالب: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾. قال: لا إله إلا الله.

وأخرج ابن جرير، وأبو الحسين بن بشران في «فوائده»، عن علي: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾. قال: لا إله إلا الله، والله أكبر.

وأخرج أحمد، وابن حبان، والحاكم عن حمران، أن عثمان قال: سمعتُ النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إني لأعلمُ كلمةً لا يقولها عبدٌ حقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار». فقال عمر بن الخطاب: أنا أحدثكم ما هي، كلمة الإخلاص التي ألزمها الله محمداً وأصحابه، وهي كلمة التقوى التي ألصق<sup>(١)</sup> عليها نبي الله عمه أبا طالب عند الموت؛ شهادة أن لا إله إلا الله<sup>(٢)</sup>.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن ابن عباس: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وهي رأس كل تقوى.

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه والبيهقي، عن علي الأزدي قال: كنت مع ابن عمر بين مكة ومنى، فسمع الناس يقولون: «لا إله إلا الله، والله أكبر». فقال: هي هي. فقلت: ما هي هي؟ قال: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾.

(١) الأوصاف: أي أداره عليها، وراوده فيها. «النهاية» (٤/٢٧٦).

(٢) رواه الإمام أحمد (١/٤٩٩) [٤٤٧]، وابن حبان [٢٠٤]، والحاكم (١/٣٥)، وقال محققو المسند: «إسناده قوي».

وأخرج ابن أبي حاتم، والدارقطني، في «الأفراد»، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قالوا: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له.

وأخرج ابن جرير، من طريق ابن جريج، عن مجاهدٍ وعطاءٍ في قوله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾. قال أحدهما: الإخلاص. وقال الآخر: كلمة التقوى: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وأخرج ابن جرير عن مجاهدٍ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قال: كلمة الإخلاص.

وأخرج ابن جرير عن عمرو بن ميمونٍ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾. قال: لا إله إلا الله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن عكرمة: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قال: لا إله إلا الله.

وأخرج عبد بن حميد، عن مجاهدٍ، والحسن، وقتادة، وإبراهيم التيمي، وسعيد بن جبيرة، مثله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن عطاء الخراساني: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾. قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

...وأخرج ابن جرير عن قتادة: ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾: وكان المسلمون أحقَّ بها، وكانوا أهلها<sup>(١)</sup>.

(١) «الدر المنثور» (١٣/٥٠٨ - ٥١١).

وروى أبو إسحاق السبيعي، عن عمرو بن ميمون قال: ما تكلمَّ الناس بشيء أفضل من **لا إله إلا الله**، فقال سعد بن عياض: «أتدري ما هي يا أبا عبد الله؟ هي والله كلمة التقوى ألزمها الله أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم -، وكانوا أحقَّ بها وأهلها، رضي الله عنهم»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث، حدثني عبد الرحمن بن خالد، عن ابن شهاب، عن سعيد ابن المسيب، أن أبا هريرة - رضي الله عنه - أخبره، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: **لا إله إلا الله**، فمن قال: **لا إله إلا الله**، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله»، وأنزل الله - عزَّ وجلَّ - في كتابه، وذكر قومًا فقال - تعالى -: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصفات: ٣٥]، وقال الله جل ثناؤه: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ وهي: «**لا إله إلا الله**، محمد رسول الله»، فاستكبروا عنها، واستكبر عنها المشركون يوم الحديبية، وكاتبهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قضية المدة<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله -: «لما كانت حمية الجاهلية توجب من الأقوال والأعمال ما يناسبها، جعل الله في قلوب أوليائه السكينة تقابل حمية الجاهلية، وفي ألسنتهم كلمة التقوى مقابلة لما توجه حمية الجاهلية من كلمة الفجور؛ فكان حظ المؤمنين السكينة في قلوبهم، وكلمة التقوى على ألسنتهم، وحظ أعدائهم حمية الجاهلية في قلوبهم، وكلمة

(١) رواه الطبراني في «الدعاء» (٣/١٥٣٣).

(٢) قال الحافظ ابن كثير: «وكذا رواه بهذه الزيادات ابن جرير من حديث الزهري، والظاهر أنها مدرجة من كلام الزهري، والله أعلم» اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٧/٣٤٨).

الفجور والعدوان على ألسنتهم، فكانت هذه السكينة وهذه الكلمة جنداً من جند الله أيدَ بها رسوله والمؤمنين في مقابلة جند الشيطان الذي في قلوب أوليائه وألسنتهم»<sup>(١)</sup>.

قوله - تعالى - : ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ وكلمة التقوى هي الكلمة التي يتقى الله بها، وأعلى أنواع هذه الكلمة هي قول: **لا إله إلا الله**، ثم كل كلمة يتقى الله بها بعدها فهي من كلمة التقوى، وقد أخبر - سبحانه - أنه ألزمها عباده المؤمنين فجعلها لازمة لهم لا ينفكون عنها، فبإلزامه التزامها، ولولا إلزامه لهم إياها لما التزموها، والتزامها فعل اختياري تابع لإرادتهم واختيارهم فهو المُلْزَم وهم الملتزمون»<sup>(٢)</sup>.

وقال العلامة العثيمين - رحمه الله - : «﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ وهي **«لا إله إلا الله»** وحقوقها، ألزمهم القيام بها فالتزموها، وقاموا بها ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾ من غيرهم ﴿وَ﴾ كانوا ﴿أَهْلَهَا﴾ الذين استأهلوها لما يعلم الله عندهم وفي قلوبهم من الخير، ولهذا قال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾»<sup>(٣)</sup>.

وقال الرازي - غفر الله له - : «قال الله - تعالى - : ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾. وفي سبب هذه التسمية وجوه:

**الأول** - أنه لما اتقى صاحب هذه الكلمة أن يصف ربه بما وصفه به المشركون وُصِفَتْ هذه الكلمة بأنها كلمة التقوى، ورأس التقوى اتقاءً لكلمة الكفر.

ثم في هذه الآية إشارة وبشارة.

(١) «إعلام الموقعين» (٤/ ٢٥٤، ٢٥٥).

(٢) «شفاء العليل» ص (٦٠).

(٣) «تفسير القرآن الكريم» (٩/ ٨٣٧).

**أما الإشارة:** فهي أنه - تعالى - سمى نفسه ﴿أَهْلَ النَّقْوَى﴾ فقال: ﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدر: ٥٦]، وَسَمَّى الْمُوحِدِينَ أَهْلَ كَلِمَةِ النَّقْوَى، فقال: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ النَّقْوَى﴾ الآية، وكأنه - تعالى - يقول: أنا أهل أن أكون مذكورًا بهذه الكلمة، وأنت أهل لذكر هذه الكلمة، فما أعظم هذا الشرف!

**وأما البشارة:** فهي أنه - تعالى - قال: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ النَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ فأثبت أن الموحدين أحق الخلق بهذه الكلمة، وهم أهل هذه الكلمة، وأنه كريم لا ينزع الحق عن مستحقه، فهذا يدل على أنه لا ينزع الإيمان من قلب المؤمن.

**الثاني -** في بيان أنه: لم سُمِّيَتْ هذه الكلمة بكلمة التقوى؟ هو أن هذه الكلمة واقية لبدنك من السيف، ولِمَالِكَ من الاستغنام، ولذمتك من الجزية، ولأولادك من السبي، فإن انضاف القلب إلى اللسان صارت واقية لقلبك عن الكفر، وإن انضم التوفيق إليه صارت واقية لجوارحك عن المعاصي، ثم قال: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ النَّقْوَى﴾ . أي: نحن الزمناهم بهذه الكلمة التي هي المفتاح لباب الجنة، فنحن أردناهم أولاً، وهم ما أرادونا<sup>(١)</sup>. فلنا المنة عليهم في فتح هذا الباب، وتقريره بقوله - تعالى - : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧]»<sup>(٢)</sup>.

(١) وذلك لأن توبة الله على العباد تسبق توبتهم إليه، كما قال - تعالى - : ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨].

(٢) «عجائب القرآن» ص (٨٥، ٨٦).

# إِلَّا إِلَهُ اللَّهُ

## (١٦) كَلِمَةُ الصِّدْقِ

قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [الزمر: ٣٣، ٣٤].

ذكر الطبري أن من المفسرين من قال: «الذي جاء بالصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم-. قالوا: والصدق الذي جاء به: لا إله إلا الله، والذي صدَّق به أيضًا، هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم-.

### قِنَقَهْ نَعَهْ قَهْن

حدَّثني عليٌّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاويةٌ، عن عليٍّ، عن ابنِ عباسٍ قوله: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾. يقول: مَنْ جاء بـ «لا إله إلا الله»، ﴿ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾. يعني رسوله»<sup>(١)</sup>.

وبعد أن ذكر اختلاف المفسرين في ذلك، قال - رحمه الله -: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله - تعالى - ذكره عنى بقوله: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾. كلٌّ من دعا إلى توحيد الله، وتصديق رسوله، والعمل بما ابتعث به رسوله - صلى الله عليه وسلم -؛ من بين رسول الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال: الصدق هو القرآن، وشهادة أن لا إله إلا الله، والمُصدِّق به المؤمنون بالقرآن، من جميع خلق الله كائنًا من كان من نبيِّ الله وأتباعه.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن قوله - تعالى - ذكره: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ عَقِيبَ قوله: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ

(١) «جامع البيان» (٢٠٠/٢٠٤).

بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُمْ ﴿ [الزمر: ٣٢]، وذلك ذمٌ من الله المُفْتَرِينَ عليه، المُكذِّبِينَ  
 بتنزيله ووَحيه، الجاحدين وحدانيته، فالواجب أن يكون عقيب ذلك مدحٌ من  
 كان بخلافِ صفةِ هؤلاء المذمومين، وهم الذين دَعَوْهم إلى توحيدِ الله، ووصفه  
 بالصفةِ التي هو بها، وتصديقهم بتنزيلِ الله ووَحيه، والذين هم كانوا كذلك يومَ  
 نزلت هذه الآيةُ؛ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ومن بعدهم،  
 القائمون في كلِّ عصرٍ وزمانٍ بالدعاءِ إلى توحيدِ الله، وحكمِ كتابه؛ لأنَّ الله  
 - تعالى - ذكره، لم يَخْصَّ وصفَه بهذه الصفةِ التي في هذه الآية، على أشخاصٍ  
 بعينهم، ولا على أهلِ زمانٍ دونَ غيرهم، وإنما وصفهم بصفةٍ، ثم مدحهم بها،  
 وهي المجيئُ بالصدقِ والتصديق به، فكلُّ من كان ذلك وصفَه، فهو داخلٌ في  
 جملة هذه الآية، إذا كان من بني آدم»<sup>(١)</sup>.

إلى أن قال: «وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ . يقولُ جَلَّ ثناؤه: هؤلاء  
 الذين هذه صفتهم، هم الذين اتَّقوا الله، بتوحيده والبراءة من الأوثان والأنداد، وأداء  
 فرائضه، واجتنابِ معاصيه، فخافوا عقابه.

كما حدَّثني عليٌّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن عليٍّ، عن ابن  
 عباسٍ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ . يقولُ: اتَّقوا الشرك»<sup>(٢)</sup>.

إن ما يعبدُه المشركون من دون الله مجرد أسماء سمَّوها هم وأباؤهم ما  
 أنزل الله بها من سلطان، فهم آلهة في نفوس المشركين بهم وليسوا آلهة في نفس  
 الأمر، ولهذا قال إبراهيم - عليه السلام - لقومه: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَيْفَكَاءِ الْهَةِ  
 دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: ٨٥، ٨٦].

(١) «جامع البيان» (٢٠/٢٠٤-٢٠٧).

(٢) «نفسه» (٢٠/٢٠٨).

وقال أيضاً: ﴿إِنَّمَا عَبَدُوكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقال أصحاب الكهف: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥].  
وقال هود لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠].

وذكر - عز وجل - صفة أهل الشرك الذي هو كذب عليه في قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ ثم ثنى بمدح أهل التوحيد الذي هو الصدق فقال بعده: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، والموحد صادق في شهادته أن لا إله إلا الله، وكلما كرر ذلك تحقق قلبه بالتوحيد والإخلاص (١).

ولأن قول «لا إله إلا الله» كلمة الصدق، يُصدِّق الله - سبحانه - عبده المؤمن إذا قالها:

عن أبي سعيد الخُدري وأبي هريرة - رضي الله عنهما - قالوا: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ. قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي. وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِي الْمُلْكُ وَلِي

(١) انظر: «قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات» لشيخ الإسلام ابن تيمية ص (٣٤).



الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، وَقَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي»<sup>(١)</sup>.

---

(١) أخرجه الترمذي [٣٤٣٠]، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» [٣٠]، [٣١]، [٣٤٨]، وابن ماجة [٣٧٩٤]، وابن حبان [٨٥١]، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «إسناده قوي».

# الْإِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

(١٧) كَلِمَةُ السُّوَاءِ

قال الله - عز وجل - : ﴿ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِنَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

قال إمام المفسرين الطبري - رحمه الله - : «يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لأهل الكتاب، وهم أهل التوراة والإنجيل: ﴿ تَعَالَوْا ﴾: هَلُمُّوا ﴿ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾ يعني: إلى كلمة عدل بيننا وبينكم. والكلمة العدل هي أن نُوحِدَ الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه، فلا نُشْرِكَ به شيئًا.

وقوله: ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا ﴾ يقول: ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله، ويُعَظِّمُهُ بالسجود له، كما يسجدُ لربه، ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾. يقول: فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من الكلمة السواء التي أمرتكم بدعائهم إليها، فلم يجيبوك إليها، ﴿ فَقُولُوا ﴾ أيها المؤمنون للمتوكلين عن ذلك ﴿ اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

إلى أن قال - رحمه الله - : وقال آخرون: هو قول لا إله إلا الله.

قنقه نعه قهن

حدَّثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قال: قال أبو العالية: كلمة السواء لا إله إلا الله.

(١) «جامع البيان» (٥/ ٤٧٣).

وأما قوله: ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ﴾ . فإن «أن» في موضع خفضٍ، على معنى: تعالوا إلى ألا نعبد إلا الله»<sup>(١)</sup>.

وقال السيوطي في «الدر»: «وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن مجاهد: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ . قال: لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>.

وقال الطبري: «وأما قوله: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ . فإن اتخاذا بعضهم بعضا ما كان بطاعة الأتباع الرؤساء فيما أمرهم به من معاصي الله، وتركهم ما نهوهم عنه من طاعة الله، كما قال جل ثناؤه: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة: ٣١].

كما حدَّثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، قال: قال ابن جريج: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾، يقول: لا يطع بعضنا بعضا في معصية الله، ويقال: إن تلك الربوبية أن يطيع الناس ساداتهم وقادتهم في غير عبادة، وإن لم يصلوا لهم.

..وأما قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ . فإنه يعني: فإن تولَّى الذين تدعونهم إلى الكلمة السواء عنها وكفروا، فقولوا أنتم أيها المؤمنون لهم: اشهدوا علينا بأننا بما توليتم عنه؛ من توحيد الله، وإخلاص العبودية له، وأنه الإله الذي لا شريك له، ﴿مُسْلِمُونَ﴾، يعني: خاضعون لله به، متذللون له بالإقرار بذلك، بقلوبنا وألسنتنا»<sup>(٣)</sup>.

(١) «نفسه» (٥/٤٧٩).

(٢) «الدر المثور» (٣/٦١٥).

(٣) «جامع البيان» (٥/٤٨٠).

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: «هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن جرى مجراهم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾، والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ها هنا، ثم وصفها بقوله: ﴿سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، أي: عدل ونصف، نستوي نحن وأنتم فيها، ثم فسرها بقوله: ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾؛ لا وثناً، ولا صنماً، ولا صليباً، ولا طاغوتاً، ولا ناراً، ولا شيئاً. بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له. وهذه دعوة جميع الرسل؛ قال الله - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. ثم قال - تعالى -: ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ قال ابن جريج: يعني يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله، وقال عكرمة: يعني يسجد بعضنا لبعض. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، أي: فإن تولوا عن هذا النصف وهذه الدعوة فأشهدوهم أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم. وقد ذكرنا في شرح البخاري، عند روايته من طريق الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، عن أبي سفيان، في قصته حين دخل على قيصر، فسألهم عن نسب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعن صفته ونعته وما يدعو إليه، فأخبره بجميع ذلك على الجلية. مع أن أبا سفيان كان إذ ذاك مشركاً لم يسلم بعد، وكان ذلك بعد صلح الحديبية وقبل الفتح، كما هو مصرح به في الحديث، ولأنه لما قال: هل يغدر؟ قال: فقلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها. قال: ولم يُمكنني كلمة أزيد فيها شيئاً سوى هذه. والغرض

أنه قال: ثم جيء بكتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقرأه، فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فأسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾»<sup>(١)</sup>.

وقال الرازي - غفر الله له -: «قال الله - تعالى - : ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ قال أبو العالية الرياحي: هي كلمة «لا إله إلا الله». والدليل عليه أنه - تعالى - قال بعده: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾. ولا معنى لهذه الآية إلا ما هو المراد من قول: «لا إله إلا الله». فثبت أن المراد من كلمة السواء هو كلمة «لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>.

**تنبيه خطير:** تستر كثير من العصرانيين في موقفهم المنحرف في قضية ما يُسمى «الحوار بين الأديان» وراء هذه الآية الكريمة، حيث حَرَّفُوا معنى الدعوة إلى ﴿كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ فيها عن مدلولها الإسلامي العقدي القاطع إلى مضامين أخرى، قال الدكتور أحمد بن عبد الرحمن القاضي في كشف زيف هذا التأويل الفاسد: «إن الأصل في باب مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، هو آية آل عمران: ﴿قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٦٠، ٦١).

(٢) «عجائب القرآن» ص (٨٩).

أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤]. قال ابن جرير - رحمه الله - في تفسيرها: «قل يا محمد لأهل الكتاب، وهم أهل التوراة والإنجيل: تعالوا: هلموا إلى كلمة سواء، يعني إلى كلمة عدلٍ بيننا وبينكم، والكلمة العدل: هي أن نوحده الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبودٍ سواه، فلا نشرك به شيئاً... ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله، ويعظمه بالسجود له كما يسجد لربه»<sup>(١)</sup>.

وهو معنى واضح بيّن بحمد الله، بل هو تفسير القرآن بالقرآن، حيث فسر الكلمة السواء بما بعدها. ولكن الذين في قلوبهم زيغ يحرفون الكلم عن مواضعه، ويخرجون النص عن مقاصده، ويزعمون معاني مُدَّعاة ليست مراد الله في هذه الآية، فقد عطلوا النص أولاً عن دلالة الصحيحة، وحرفوه ثانياً إلى دلالات مزعومة.

وأولى صور التحريف لمعنى الآية المحكمة: الإيهام أن الكلمة السواء هي القدر الجامع المشترك، المتحقق وجوده فعلاً، لا أنه يُطلب الالتقاء عليه، كما هو صريح النداء والدعوة في قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾، فيفسرون ﴿سَوَاءٍ﴾ أي: نحن وإياكم متساوون في هذه القضايا، لا فرق بيننا وبينكم!

### ومن شواهد ذلك:

- موقف محمد حسين فضل الله:

الذي قال: «وقد نلاحظ أن هناك أكثر من قضية مشتركة يلتقي فيها المسلمون والمسيحيون في كل الساحات، وهي الكلمة السواء في التوحيد ورفض الشرك، ووحدة الإنسانية، ورفض الاستكبار والاستعباد الإنساني، وهو

(١) «جامع البيان» (٥/٤٧٣، ٤٧٤).

الذي طرحه القرآن الكريم على أهل الكتاب في قوله - تعالى - : ﴿ قُلْ يَتَّأَهَّلُ  
الْكَذِبُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا  
يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾  
[آل عمران: ٦٤]، فيتحرك الجميع لمواجهة المادية الملحدة، والشرك العبادي،  
والاستكبار العالمي، لينطلق الإيمان بالدين بشكلٍ عام قوياً في ساحة الفكر،  
ويتحرك المستضعفون في مواقع القوة في مواجهة المستكبرين؛ الأمر الذي قد  
يتيح للشعوب المستضعفة أن تكتشف في الدين الحركي معنى الحرية والعدالة،  
فتلتقي بالإيمان به من خلال جهاده السياسي في خط المواجهة للظلم العالمي  
كله، ليقف المسلم ضد المستكبر حتى لو كان مسلماً، ويقف المسيحي ضده  
حتى لو كان مسيحياً»<sup>(١)</sup>.

وفي موضع آخر يقول: «... إن القرآن الكريم عندما أطلق الجو الحوارية  
مع أهل الكتاب، تمسك بالكلمة السواء التي تفتح على خطين لا يتعدان عن  
حركة الواقع:

**الخط الأول-** ﴿ قُلْ يَتَّأَهَّلُ الْكَذِبُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ  
إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾ [آل عمران: ٦٤]، أن نوحده الله - تعالى - ، ولا نعبد كل  
القوى الظالمة والمستكبرة والطاغية، لتكون في موقع الشريك لله - تعالى - .

---

(١) «في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي» - المقدمة.

**الخط الثاني -** ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَعُقُوْا أَشْهُدُوا بِآنَانَا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، الرفض القاطع لأن يكون الإنسان مستعليًا ومستكبرًا على أخيه الإنسان، فيكون في موضع الرب لهذا الإنسان<sup>(١)</sup>. إن من يقارن هذا التفسير الحادث لمعنى الكلمة السواء، بالتفسير القرآني الأثري الذي ذكره الطبري، يدرك بُعد الشُّقَّة، وطول النقلة التي يتجشمها هؤلاء العصرانيون في تعطيل آي الكتاب عما نزلت فيه، وحملها على محامل متعسفة مستكرهة، فإذا بالنداء التوحيدي الصريح الذي يدعو القوم إلى نبذ عقيدة التثليث، ودعوى ربوبية المسيح، واتخاذ أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، يتحول إلى خطابٍ ثوري مسكونٍ بشعارات سياسية خاصة، ويُفرَّغ من محتواه العقدي الأصيل، لِيُضَمَّن دعواتٍ إنسانية عامة يتشدد بها كل أحد، ولا يتميز بها أحدٌ عن أحد.

**ومنه أيضًا:**

**- موقف د. يوسف الحسن:**

حيث قال: «وهدف الحوار مع المسيحية هو الوصول إلى (كلمة سواء) لعمل الصالحات والنافعات للبشرية، ولمواجهة الطغيان، وتحقيق معرفة كل طرفٍ بالآخر، وإزالة سوء الفهم، والتعاون على البر والتقوى. وتنادي الرؤية الإسلامية، بضرورة الجهر بالحق في المسائل التي تهم الناس، والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة... وتحرص على ألا ينشغل الحوار بمسائل الاعتقاد، بل ينطلق من احترام كل طرفٍ لعقيدة الآخر، والتسليم بمبدأ الاختلاف، ومبدأ حرية الاختيار، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) «نفسه» (٤٦، ٤٧).

(٢) «الحوار الإسلامي المسيحي الفرص والتحديات» ص (٤٣، ٤٤).



إن المرء ليعجب أشد العجب من تخوُّص هؤلاء الكُتَّاب في آيات الله دون رادع... عن أن يقولوا على الله ما لا يعلمون، بل ما يعلم من له أدنى معرفة باللغة أنه خلاف مراد الله، فمضمون الكلمة السواء مضمون عقدي خالص؛ عبادة الله وحده، ونبذ الشرك، وعدم اتخاذ الأرباب من دون الله، ثم يزعم الكاتب أن الرؤية الإسلامية تحرص على ألا ينشغل الحوار بمسائل الاعتقاد!! ليس هذا فقط، بل ينطلق من احترام كل طرفٍ لعقيدة الآخر والتسليم بمبدأ الاختيار، وكأن ذلك معنى: ﴿فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، أو معنى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

إن في هذا الطرح استهتارًا بعقول القراء، وتغيبًا للأمة عن الحقيقة الجلية واستدراجها إلى سبيل غير سبيل المؤمنين.

... إن العقيدة الإسلامية، والشريعة الإسلامية، تملكان من فرص التواصل مع البشرية، وآفاق التعاون ما لا تملكه أيديولوجية أخرى، ولكن وفق معاييرهما لا معايير الآخرين. إن الإسلام انفتاح واتصال وحركة دؤوب، وهو أبعد ما يكون عن الانغلاق والانكفاء والعنصرية، قال - تعالى - : ﴿كُتِّمَ خَيْرٌ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولكن لنأت البيوت من أبوابها، ولنفتح القلوب بمفاتيحها»<sup>(٣)</sup> اهـ.

---

(٣) انظر: «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٧٢٥-٧٣٦).

## الْبَيْتُ لِلَّهِ

(١٨) كَلِمَةُ الْبَيْتِ

قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

قال الإمام الطبري - رحمه الله -: «يقول - تعالى - ذكره - إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد ﴿بِالْعَدْلِ﴾، وهو الإنصاف، ومن الإنصاف الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته، والشكر له على أفضاله، وتولي الحمد أهله، وإذا كان ذلك هو العدل، ولم يكن للأوثان والأصنام عندنا يد تستحق الحمد عليها؛ كان جهلاً بنا حمدها وعبادتها، وهي لا تنعم فتشكر، ولا تنفع فتعبد، فلزمنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولذلك قال من قال: العدل في هذا الموضوع: شهادة أن لا إله إلا الله».

قِنْ قَهْ مَهْ بِنْ عَهْ قَهْن

حدَّثني المثنى وعليُّ بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾. قال: شهادة أن لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾. فإن الإحسان الذي أمر به - تعالى - ذكره - مع العدل الذي وصفنا صفتَه - الصبر لله على طاعته فيما أمر ونهى، في الشدة والرخاء، والمكره والمنشط، وذلك هو أداء فرائضه.

كما حدثني المثنى وعليُّ بنُ داودَ، قالَا: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليِّ عن ابنِ عباسٍ: ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾. يقولُ: أداءُ الفرائضِ»<sup>(١)</sup> اهـ.

وجاء تفسير كلمة السواء في قوله - تعالى - : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ٦٤]؛ بأنها العدل.

قال السيوطي في «الدر»: «أخرج ابنُ جرير، وابنُ المنذر، عن قتادة: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ قال: عدلٌ»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الطُّسْتِي في «مسائله» عن ابنِ عباس - رضي الله عنهما - أن نافع ابن الأزرق سأله عن قوله: ﴿سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾. قال: عدلٌ. قال: وهل تعرفُ العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قولَ الشاعر:

غَنِّيهِ عَنِّي نَعْتَنَجِهِ قَوْعِي وَهَنِي فِقِي لَهُ فَعِي غَضَعِي

وأخرج ابنُ جرير، وابنُ أبي حاتم، عن أبي العالِيَةِ قال: كلمةُ السَّوَاءِ: لا إله إلا الله<sup>(٣)</sup>.

(١) «جامع البيان» (١٤/ ٣٣٤، ٣٣٥)، وانظر: «عجائب القرآن» للرازي ص (٧٨، ٧٩).

(٢) «الدر المشثور» (٣/ ٦١٤).

(٣) «الدر المشثور» (٣/ ٦١٥).

# الاستِئْذَانُ

(١٩) البُرُوقُ الرَّبِّيُّ

قال الله - تعالى - : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قال شيخ المفسرين الطبري - رحمه الله - : «الصواب من القولِ عندي في الطاغوتِ أنه كلُّ ذي طُغيانٍ طغى على الله فعُبد من دونه، إمَّا بقَهْرٍ منه لمن عبده، وإمَّا بطاعةٍ ممن عبده له؛ إنسانًا كان ذلك المعبودُ، أو شيطانًا، أو وثنًا، أو صنمًا، أو كائنًا ما كان من شيءٍ».

وأرى أن أصل الطاغوتِ: الطَّغْوُوتُ، من قولِ القائلِ: طَغَا فلانٌ يَطْغُو. إذا عَدَا قُدْرَه، فتجاوزَ حدَّه، كالجَبْرُوتِ من التَّجْبِيرِ، والخَلْبُوتِ من الخَلْبِ<sup>(١)</sup>، ونحو ذلك من الأسماءِ التي تأتي على تقديرِ (فَعَلُوت) بزيادةِ الواوِ والتاءِ، ثم نُقِلَتْ لأمِّه - أعني لامِ الطَّغْوُوتِ - فجُعِلَتْ له عينًا، وحُوِّلَتْ عَيْنُه، فجُعِلَتْ مكانَ لامِه، كما قيل: جَبَدَ وجَذَبَ، وجابِذٌ وجاذِبٌ، وصاعِقَةٌ وصاقِعَةٌ، وما أشبه ذلك من الأسماءِ التي تأتي على هذا المثلِ.

فتأويلُ الكلامِ إذن: فمن يَجْحَدُ رُبوبيَّةَ كلِّ معبودٍ من دونِ الله، فيكْفُرُ به ﴿ويُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ يقول: ويُصدِّقُ باللهِ أنه إلهُه وربُّه ومعبودُه دونِ غيره، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ يقول: فقد تمسَّك بأوثقِ ما يَتَمَسَّكُ به مَنْ طَلَبَ الخلاصَ لنفسِه من عذابِ الله وعقابه.

(١) خلبه يخلبه خَلْبًا: خدعه، وهو خَلْبُوت أي: خداع، كما في «القاموس المحيط» (خ ل ب).

كما حدثني أحمد بن سعيد بن يعقوب الكندي، قال: ثنا بَقِيَّةُ بنُ الوليد، قال: ثنا ابنُ أبي مريم، عن حميد بن عَقبَةَ، عن أبي الدَّرْدَاءِ، أنه عاد مريضاً من جِيرَتِهِ، فوجده في السَّوْقِ وهو يُعْرِغُ، لا يَفْقَهُونَ ما يريدُ، فسألهم: يريدُ أن يَنطِقَ؟ قالوا: نعم، يريدُ أن يقولَ: آمَنْتُ باللهِ، وكَفَرْتُ بالطاغوتِ. قال أبو الدَّرْدَاءِ: وما عَلِمُكم بذلك؟ قالوا: لم يَزَلْ يُرَدِّدُها حتى انكسرَ لسانُه، فنحن نعلمُ أنه إنَّما يريدُ أن يَنطِقَ بها. فقال أبو الدَّرْدَاءِ: أفلح صاحبُكم، إن الله يقولُ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾

والعُرْوَةُ في هذا المكانِ مَثَلٌ للإيمانِ الذي اعْتَصَمَ به المؤمنُ، فَشَبَّهَهُ في تَعَلُّقِهِ به وَتَمَسُّكِهِ، بِالْمُتَمَسِّكِ بِعُرْوَةِ الشَّيْءِ الذي له عُرْوَةٌ يَتَمَسَّكُ بِهَا<sup>(١)</sup>، إذ كان كُلُّ ذِي عُرْوَةٍ فَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ مَنْ أَرَادَهُ بِعُرْوَتِهِ.

وجعلَ جل ثناؤه الإيمانَ الذي تَمَسَّكَ به الكافرُ بالطاغوتِ المؤمنُ باللهِ، من أوثقِ عُرَى الأشياءِ بقوله: ﴿الْوُثْقَىٰ﴾.

و(الْوُثْقَى) فُعْلَى، مِنَ الْوَثَاقَةِ، يُقَالُ فِي الذِّكْرِ: هُوَ الْأَوْثَقُ. وفي الأُنثَى: هِيَ الْوُثْقَى. كما يُقَالُ: فُلَانٌ الْأَفْضَلُ، وَفُلَانَةُ الْفُضْلَى.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل في قوله: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾.

(١) «العروة: طرف الجبل إذا رُبط على هيئة الحلقة، يمسك بها من ينزل في بئرٍ أو يصعد منها، والمراد بها هنا: وسيلة النجاة، والوثقى: شديدة الربط، لا أوثق منها. ﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ أي: لا انحلال لها، فلا يَهْلِكُ المتعلِّقُ بها، بل يصل بتمسكه بها إلى الجنة، ولا ينقطع عن الجنة إلا من لم يتمسكُ بها». اهـ. من «زبدة التفسير من فتح القدير» للأشقر - رحمه الله - ص (٥٣).

## قِنْطَرَةٌ مِنْ عَهْدِ قَهْنٍ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ عَيْسَى، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ،  
عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾. قَالَ: الْإِيمَانُ.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حذيفة، قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَلُ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ،  
عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ.

حَدَّثَنِي مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرٌو، قَالَ: ثنا أسباطُ، عَنْ السَّيِّ، قَالَ: الْعُرْوَةُ  
الْوُثْقَى هُوَ الْإِسْلَامُ.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: ثنا أبو أحمد، قَالَ: ثنا سفيانُ، عَنْ أَبِي  
السُّودَاءِ، عَنْ جَعْفَرٍ - يَعْنِي ابْنَ أَبِي الْمُغِيرَةِ - عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَوْلَهُ: ﴿فَقَدْ  
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: ثنا عبدُ الرحمن، قَالَ: ثنا سفيانُ، عَنْ أَبِي السُّودَاءِ  
النَّهْدِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ مِثْلَهُ.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا إِسْحَاقُ، قَالَ: ثنا أبو زهيرٍ، عَنْ جُوَيْرِ، عَنْ الضَّحَّاكِ:  
﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلُّ ثَنَاؤُهُ: ﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾

يَعْنِي جَلُّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾: لَا انكسارَ لَهَا، وَالْهَاءُ وَالْأَلْفُ فِي  
قَوْلِهِ: ﴿لَهَا﴾ عَائِدَةٌ عَلَى (الْعُرْوَةِ).

ومعنى الكلام: «فمن يكفُر بالطاغوتِ ويؤمنُ بالله، فقد اعتصمَ من طاعةِ الله بما لا يُخشى - مع اعتصامه به - خذْ لأنه إِيَّاه، وإسلامه عند حاجته إليه في أهوالِ الآخرة، كالمُستَمسِك بالوثيقِ من عُرَى الأشياءِ التي لا يُخشى انكسارُ عُراها، وأصلُ الفَصْم: الكَسْرُ...».

حدّثني موسى بنُ هارونَ، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباطُ، عن السديّ:  
﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾ قال: لا انقطاعَ لها<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

وقال - تبارك وتعالى -: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

قال الطبري - رحمه الله - في تأويل هذه الآية: «يقول - تعالى - ذكره: وَمَنْ يُعْبُدُ وَجْهَهُ مُتَدَلِّلاً بِالْعِبُودَةِ، مُقَرَّراً لَهُ بِالْأُلُوهَةِ، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾. يقول: وهو مُطِيعٌ لِلَّهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ؛ ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾. يقول: فقد تمسك بالطرفِ الأوثقِ الذي لا يخافُ انقطاعه مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وهذا مثَلٌ<sup>(٢)</sup>. وإنما يعني بذلك أنه قد تمسك من رضا الله بإسلامه وجهه إليه وهو مُحسِنٌ - ما لا يخافُ معه عذابُ الله يومَ القيامةِ».

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

(١) «جامع البيان» (٤/٥٥٨-٥٦٢).

(٢) «وهذا تمثيل لحال من أسلم وجهه إلى الله بحال من أراد أن يترقى إلى شاطئ جبل، فتمسك بأوثق عُرى جبلٍ مُتَدَلِّلاً منه» اهـ. من «فتح القدير» للشوكاني (٤/٢٤٢).

## قنقمة نعه قهن

حدَّثنا ابنُ وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أبي السَّوداء، عن جعفرِ بنِ أبي المغيرة، عن سعيدِ بنِ جبَّير، عن ابنِ عباسٍ: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾. قال: لا إله إلا الله<sup>(١)</sup>.

وقال السيوطي - رحمه الله -: «وأخرج ابنُ أبي شيبة في «المصنف»، وابنُ أبي حاتم، عن أنسِ بنِ مالكٍ في قوله: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾. قال: القرآن».

وأخرج سفيانُ بنُ عيينة، وعبدُ بنُ حميد، وابنُ جرير، وابنُ المنذر، وابنُ أبي حاتم، عن مجاهدٍ في قوله: ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾. قال: الإيمان. ولفظُ سفيانَ قال: كلمة الإخلاص.

وأخرج البخاريُّ، ومسلم<sup>(٢)</sup>، عن عبدِ الله بنِ سلام قال: رأيتُ رؤيا على عهدِ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم -: رأيتُ كأنِّي في روضةٍ خضراء، وسَطُها عمودٌ حديد، أسفلُه في الأرضِ وأعلىُه في السماء، في أعلاه عُرْوَةٌ، فقبل لي: اصعدْ عليه. فصعدتُ حتى أخذتُ بالعروة، فقال: استمسكْ بالعروة. فاستيقظتُ وهي في يدي، فقصصْتُها على رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: «أما الروضةُ؛ فروضةُ الإسلام، وأما العمودُ؛ فعمودُ الإسلام، وأما العروة؛ فهي العروة الوثقى<sup>(٣)</sup>، أنت على الإسلام حتى تموت»<sup>(٤)</sup>.

(١) «جامع البيان» (١٨/٥٦٩).

(٢) «رواه البخاري» [٣٨١٣]، [٧٠١٠]، [٧٠١٤]، ومسلم [٢٤٨٤].

(٣) وفي رواية مسلم: «وأما العروة فهي عروة الإسلام» [٢٤٨٤]، وانظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/٦٨١، ٦٨٢).

(٤) «الدر المنثور» (٣/٢٠١).



والحاصل أن المفسرين اختلفوا في تفسير ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾؛ فقيل: المراد بالعروة: الإيمان، وقيل: الإسلام، وقيل: لا إله إلا الله، ولا مانع من الحمل على الجميع، لأنه اختلاف تنوع لا تضاد.

# الْإِسْمَاءُ لِلَّهِ

(٢٠) **الْبَيْتُ لِلَّهِ عَجَلَى**

قال الله - تعالى - : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النحل: ٦٠].

قال الطبري - رحمه الله - :

«وهذا خبرٌ من الله جلَّ ثناؤه أن قوله: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ . والآية التي بعدها مثلٌ ضربَه لهؤلاء المشركين الذين جعلوا لله البنات، فبيَّن بقوله: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ : أنه مثلٌ، وعنَى بقوله جلَّ ثناؤه: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ : للذين لا يصدِّقون بالمعادِ والثوابِ والعقابِ من المشركين ﴿ مَثَلُ السَّوِّءِ ﴾ . وهو القبيحُ من المثلِ، وما يسوءُ مَنْ ضُربَ له ذلك المثلُ، ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ . يقولُ: وللهِ المثلُ الأعلى، وهو الأفضلُ والأطيبُ، والأحسنُ والأجملُ، وذلك التوحيدُ والإذعانُ له بأنه لا إلهَ غيرُه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

**قنقمة من عه قهن**

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلَى، قال: ثنا محمدُ بنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قتادة: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ . قال: شهادةُ ألا إلهَ إلا اللهُ .

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدٌ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادة قوله: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ : الإخلاصُ والتوحيدُ»<sup>(١)</sup> اهـ .

(١) «جامع البيان» (١٤/٢٥٨) .

فالمثل الأعلى هو الوصف الكامل، وأعظم وصف لله - تعالى - هو أنه لا إله إلا هو، كما جاء في صدر أعظم آية في القرآن الكريم آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الآية.

قال الرازي: «قال قتادة في قوله - تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾: معناه قول: «لا إله إلا الله»... واعلم أن معنى المثل هنا الصفة، كذا قال أهل اللغة، ونظيره قوله - تعالى -: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥]، أي: صفتها. فصار المراد من قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ عين المراد من قوله: ﴿وَكَلمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله -: «وصف الله - سبحانه - نفسه في هذه الآية بأن له المثل الأعلى، وقال - تعالى -: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]. فجعل مثل السوء المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال للمشركين وأربابهم.

وأخبر أن المثل الأعلى المتضمن لإثبات الكمالات كلها له وحده؛ ولهذا كان المثل الأعلى وهو أفعال تفضيل، أي: أعلى من غيره، فكيف يكون أعلى وهو عدم محض، ونفي صرف، وأي مثل أدنى من هذا؟! - تعالى - الله عن قول المعطلين علواً كبيراً.

---

(١) «عجائب القرآن» ص (٨٩).

فمثل السوء لعدم صفات الكمال؛ ولهذا جعله مثل الجاحدين لتوحيده، وكلامه، وحكمته؛ لأنهم فقدوا الصفات التي من اتصف بها كان كاملاً، وهي الإيمان، والعلم، والمعرفة، واليقين، والعبادة لله، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، والصبر، والرضا، والشكر، وغير ذلك من الصفات التي اتصف بها من آمن بالآخرة.

فلما سُلبت تلك الصفات عنهم، وهي صفات كمال؛ صار لهم مثل السوء. فمن سلب صفات الكمال عن الله، وعلوه على خلقه، وكلامه، وعلمه، وقدرته، ومشيتته، وحياته، وسائر ما وصف به نفسه، فقد جعل له مثل السوء ونزّهه عن المثل الأعلى، فإن مثل السوء هو العدم، وما يستلزمه، وضده المثل الأعلى وهو الكمال المطلق، المتضمن للأمر الوجودية والمعاني الثبوتية، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان أعلى من غيره، ولما كان الرب -تعالى- هو الأعلى، ووجهه الأعلى، وكلامه الأعلى، وسمعه الأعلى وبصره وسائر صفاته علياً؛ كان له المثل الأعلى، وكان أحق به من كل ما سواه.

بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان؛ لأنهما إن تكافأ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافأ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده، ويستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى، مثل، أو نظير.

وهذا برهان قاطع على إثبات صفات الكمال وعلى استحالة التمثيل والتشبيه، فتأمله فإنه في غاية الظهور، والقوة.

ونظير هذا: القهر المطلق، مع الوحدة، فإنهما متلازمان فلا يكون القهار إلا واحداً، إذ لو كان معه كفؤ له؛ فإن لم يقهره لم يكن قهاراً على الإطلاق، وإن قهره

لم يكن كفوًّا، وكان القهار واحدًا، فتأمل كيف كان قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. وقوله: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [الروم: ٢٧]، من أعظم الأدلة على ثبوت صفات كماله - سبحانه -.

فإن قلت: قد فهمت هذا وعرفته، فما حقيقة المثل الأعلى؟

قلت: قد أشكل هذا على جماعة من المفسرين، واستشكلوا قول السلف فيه، فإن ابن عباس وغيره قالوا: ﴿مَثَلُ السَّوِّءِ﴾: العذاب والنار، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾: شهادة أن لا إله إلا الله.

وقال قتادة: هو الإخلاص والتوحيد.

وقال الواحدي: هذا قول المفسرين في هذه الآية، ولا أدري لم قيل للعذاب: مثل السوء، وللإخلاص: المثل الأعلى؟ قال: وقال قوم: المثل السوء، الصفة السوء من احتياجهم إلى الولد، وكرهتهم للإنانث، خوف العيلة، والعار، والله المثل الأعلى، الصفة العليا من تنزهه وبراءته عن الولد، قال: وهذا قول صحيح، فالمثل كثيرًا يرد بمعنى: الصفة، قاله جماعة من المتقدمين.

وقال ابن كيسان: مثل السوء ما ضرب الله للأصنام وعبدتها من الأمثال، والمثل الأعلى نحو قوله: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ﴾ [النور: ٣٥]. وقال ابن جرير: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾. نحو قوله: هو الأطيب والأفضل والأحسن والأجمل، وذلك التوحيد والإذعان له بأنه لا إله غيره<sup>(١)</sup> اهـ.

(١) انظر: «الصواعق المرسله» (٣/ ١٠٣٠-١٠٣٦).

# الإسلام بالله

## (٢١) شهادة الحق

قال الله - تعالى - : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦].

عن مجاهد قال: «إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ»: كلمة الإخلاص، ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾: أن الله حق.

وقال ابن جرير: «وشهادته بالحق هو إقراره بتوحيد الله، وإنما يعني بذلك: إلا من آمن بالله، وهم يعلمون حقيقة توحيده»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال البغوي: «أراد بشهادة الحق قوله: لا إله إلا الله كلمة التوحيد»<sup>(٢)</sup> اهـ. وذلك لأن معنى (لا إله إلا الله): لا معبود بحق<sup>(٣)</sup> إلا الله.

فإن خبر (لا) النافية للجنس هنا محذوف كما هو الشائع إذا كان معلوماً لدى السامع.

قال ابن مالك في (الألفية):

والمنيقع عهغغعقن عك عهضغق  
عقع عههقعف هة قن وكه ليق

(١) «جامع البيان» (٢٠/٦٦٢).

(٢) «معالم التنزيل» (٧/٢٢٤).

(٣) وذلك خلافاً لأهل الكلام المذموم الذين قدرُوا خبر (لا) بـ(موجود) أو (في الوجود) لأنهم فسروا كلمة (الإله) بالرب.

وسبب إسقاط كلمة (حق) في قولنا: (لا إله حق إلا الله) أن المشركين لم ينازعوا في وجود إله مع الله - عزَّ وجلَّ - ، وإنما نازعوا في أحقية الله - سبحانه - بالعبادة دون غيره، وأن غيره لا يستحق العبادة.

قال - تعالى - : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ [الحج: ٦٢]، فقرن بين أحقية الله للعبادة، وبطلان عبادة ما سواه.

# الْإِسْلَامُ لِلَّهِ

## (٢٢) دَعْوَةُ الْحَقِّ

قال - تعالى -: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤].

عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ قال: «لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>  
أو قال: «شهادة أن لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>.

وعن أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه -: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ قال: «التوحيد؛ لا إله إلا الله»<sup>(٣)</sup>.

وعن قتادة قال: «لا إله إلا الله»<sup>(٤)</sup>.

وعن ابن زيد قال: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾: «لا إله إلا الله، ليست تنبغي لأحد غيره، لا ينبغي أن يقال: فلان إله بني فلان»<sup>(٥)</sup>.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

«قوله - تعالى -: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤]، إنه - تعالى - صاحب دعوة الحق لذاته وصفاته، فهو أهل أن يعبد وحده، ويُدعى وحده، ويُقصد ويُشكر

(١) «جامع البيان» (١٣/٤٨٥).

(٢) «نفسه» (١٣/٤٨٦).

(٣) «نفسه» (١٣/٤٨٦)، «الدر المنثور» (٨/٤١٢).

(٤) «جامع البيان» (١٣/٤٨٦).

(٥) «جامع البيان» (١٣/٤٨٦).



ويُحمد، ويُحب ويُرجى ويُخاف، ويتوكل عليه، ويستعان به، ويستجار به، ويُلجأ إليه، فتكون الدعوة الإلهية الحق له وحده.

ومن قام بقلبه هذا - معرفة وذوقاً وحالاً - صح له مقام التبتل والتجريد المحض.

وقد فسر السلف «دعوة الحق»؛ بالتوحيد والإخلاص فيه، والصدق، ومرادهم هذا المعنى.

فقال علي - رضي الله عنه -: «دعوة الحق: التوحيد».

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «شهادة أن لا إله إلا الله».

وقيل: الدعاء بالإخلاص، والدعاء الخالص لا يكون إلا لله، ودعوة الحق دعوة الإلهية وحقوقها وتجريدها وإخلاصها<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله -: «﴿لَهُ﴾ أي: لله وحده ﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ وهي: عبادته وحده لا شريك له، وإخلاص دعاء العبادة ودعاء المسألة له - تعالى - . أي: هو الذي ينبغي أن يصرف له الدعاء، والخوف والرغبة، والحب، والرغبة، والرغبة، والإنابة؛ لأن ألوهيته هي الحق، وألوهية غيره باطلة»<sup>(٢)</sup> اهـ.

قال الفخر الرازي: «واعلم أن قوله - تعالى - : ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ يفيد الحصر، ومعناه: له الدعوة لا لغيره، كما أن قوله - تعالى - : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، معناه: لكم دينكم لا لغيركم، ولي ديني، وتحقيق الكلام في إثبات

(١) «مدارج السالكين» (٢/٢٩، ٣٠).

(٢) «تفسير القرآن الكريم» (٥/٢٨٢، ٢٨٣).

هذا الحصر: أن الحق نقيض الباطل، فالحق هو الموجود والباطل هو المعدوم، فلما كان الحق - سبحانه وتعالى - حقاً في ذاته وبذاته وصفاته، وكان ممتنع التغير في حقيقته، كانت معرفته هي المعرفة الحققة، وذكره هو الذكر الحق، والدعوة إليه هي الدعوة الحققة.

أما كل ما سواه فهو ممكن لذاته، ولا يكون حقاً لذاته، فلا تكون معرفته واجبة التحقيق، ولا ذكره ولا الدعوة إليه. وإذا ثبت هذا ظهر تحقيق قوله - تعالى -: ﴿ له دعوة الحق ﴾.

واعلم أن دعوة الحق تارة تكون من الحق للخلق إلى الحق، وتارة تكون من الخلق للخلق إلى الحق.

أما الأول فنقول: أما أن دعوة الحق تكون من الحق فلأنه - تعالى - هو الذي دعا القلوب إلى حضرته، فلولا دعوته إلى تلك الحضرة، وتوفيقه في ذلك ما كان الوصول، وإلا فمن أين يتمكن العقل البشري من الوصول إلى حضرة الله - تعالى - . وأيضاً فلأن مبادئ الحركات، وأوائل المحدثات تنتهي إلى قدرة الله - تعالى - وقضائه وقدره، ولهذا المعنى قال الله - تعالى -: ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ [الروم: ٤]. وأما أن تلك الدعوة للخلق فلقوله - تعالى -: ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ [غافر: ١٦]، وأما الانتهاء إلى الحق فلقوله - تعالى -: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٤٢].

وأما أن دعوة الحق تارة تكون من الخلق فلقوله - تعالى -: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾ [فصلت: ٣٣]. ولقوله: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣]»<sup>(١)</sup> اهـ.

(١) «عجائب القرآن» ص (٧٦، ٧٧).

## الْإِسْمَاءُ لِلَّهِ (٢٣) الْعَهْدُ

قال الله - سبحانه -: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ۝٨٥﴾ وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ۝٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿[مريم: ٨٥-٨٧].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: «هذا استثناء منقطع، بمعنى: لكن من اتخذ عند الرحمن عهدًا، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والقيام بحقها»<sup>(١)</sup> اهـ.

عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله، وتبرأ من الحول والقوة، ولا ترجو إلا الله»<sup>(٢)</sup>، وعنه أيضًا - في تفسير هذا العهد - قال: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة»<sup>(٣)</sup>.

قال الرازي: «يدل على صحة هذا القول وجوه:

**الأول -** أن قوله: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ نكرة في طرف الثبوت، وذلك لا يفيد إلا عهدًا واحدًا، فهذه الآية تدل على أن تلك الشفاعة تحصل بسبب عهد واحد، ثم أجمعنا على أن ما سوى الإيمان فإن الواحد منه، بل مجموعه لا يفيد تلك الشفاعة ألبتة، فوجب أن يكون العهد الواحد الذي يفيد تلك الشفاعة هو الإيمان، وهو قول: «لا إله إلا الله».

**والثاني -** أن جماعة من المفسرين قالوا في تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، هو عهد الإيمان، بدليل أن لفظ العهد مجمل،

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٥/٢٧٣).

(٢) «جامع البيان» (١٥/٦٣٣).

(٣) «الدر المنثور» (١٠/١٣٩).

فلما أعقبه بقوله: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٤١]، علمنا أن المراد من ذلك العهد هو الإيمان، وهو قول: «لا إله إلا الله»، محمد رسول الله.

**والثالث -** أن أول ما وقع في العهد قوله - تعالى -: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. وذلك في الحقيقة هو قول: «لا إله إلا الله»، فكان لفظ العهد محمول عليه.

**والرابع -** أنه - تعالى - قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبِعْعِكُمْ﴾ [التوبة: ١١١]، فكان العهد من جانبك عهد الإقرار بالعبودية، ومن جانب الحق - سبحانه وتعالى - عهد الكرم والربوبية، فثبت بهذه الوجوه: أن المراد من قوله: ﴿إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ هو قول: لا إله إلا الله.

**الخامس -** قوله - تعالى -: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ [البقرة: ٨٠] أي: قلتم: لا إله إلا الله<sup>(١)</sup> اهـ.

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «لما قالت اليهود ما قالت<sup>(٢)</sup>، قال الله لمحمد - صلى الله عليه وسلم -: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ يقول: أدخرتم عند الله عهدًا. يقول: أقلتتم: لا إله إلا الله. لم تُشركوا، ولم تكفروا به، فإن كنتم قُلتموها فارجوا بها، وإن كنتم لم تقولوها فليم تقولون على الله ما لا تعلمون؟»<sup>(٣)</sup>.

(١) «عجائب القرآن» ص (٩٢، ٩٣).

(٢) أي: ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

(٣) «جامع البيان» (١٧٧/٢).

## الإسلام لله

### (٢٤) للصفات

قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].  
«خَرَجَ عَبْدُ بَن حَمِيدٍ عَنْ عَكْرَمَةَ: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾. قَالَ:  
هَلْ جَزَاءُ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَّا الْجَنَّةُ؟  
وَأَخْرَجَ عَبْدُ بَن حَمِيدٍ عَنِ الْحَسَنِ، مِثْلَهُ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَه عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾. قَالَ: «هَلْ جَزَاءُ  
مَنْ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بِالْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ».

وَأَخْرَجَ عَبْدُ بَن حَمِيدٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ مَرْدُويَه، عَنْ ابْنِ  
عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾. قَالَ: هَلْ جَزَاءُ مَنْ قَالَ:  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْجَنَّةُ فِي الْآخِرَةِ»<sup>(١)</sup>.

وقال الله - تعالى -: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦].  
رُوي عَنْ أَبِي بَن كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ قَوْلِ اللَّهِ - تَعَالَى -: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾. قَالَ: «الَّذِينَ  
أَحْسَنُوا: أَهْلُ التَّوْحِيدِ، وَالْحَسَنَى: الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ: النَّظْرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: «الدر المنثور» (١٥١/١٤).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٦٢/١٢)، وابن أبي حاتم (١٩٤٤/٦)، وابن مردويه - كما في «تخريج  
أحاديث الكشاف» (١٢٥/٢) - واللالكائي [٧٨٠]. وقال محققه: «إسناده ضعيف».

«وأخرج ابنُ مردُويه عن ابنِ عمرَ، عن رسولِ الله - صلى اللهُ عليه وسلم - في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾. قال: «أحسنوا: شهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، والحسنى: الجنةُ، وزيادةُ: النظرُ إلى اللهِ»<sup>(١)</sup>.

ورُوي أيضًا في حديثٍ أخرجه أبو الشيخ: «فالحسنى: لا إلهَ إلا اللهُ»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج ابنُ مردُويه، والبيهقيُّ في «الأسماءِ والصفات»، من طريقِ عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾. قال: قولُ: لا إلهَ إلا اللهُ، والحسنى: الجنةُ، والزيادةُ: النظرُ إلى وجهه الكريم<sup>(٣)</sup>.

وأخرج ابنُ جريرٍ، وابنُ المنذرٍ، وابنُ أبي حاتمٍ، والبيهقيُّ، من طريقِ عليٍّ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾. قال: للذين شهدوا أن لا إلهَ إلا اللهُ، ﴿الْحُسْنَى﴾: الجنة<sup>(٤)</sup>.

وأخرج أبو الشيخ عن قتادة: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾. قال: شهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، ﴿الْحُسْنَى﴾. قال: الجنةُ، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾. قال: النظرُ إلى وجهِ اللهِ<sup>(٥)</sup>.

قال الرازي: «ويدل على صحة هذه التسمية القرآن والخبر والمعقول.

(١) «الدر المنثور» (٦٥٤ / ٧).

(٢) «نفسه» (٦٥٥ / ٧).

(٣) «نفسه» (٦٥٦ / ٧).

(٤) «نفسه» (٦٥٧ / ٧).

(٥) «نفسه».

## أما القرآن آيات:

**إحداها-** قوله - تعالى -: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ . قال المفسرون: المراد من قوله: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ ﴾ : هل جزاء الإيمان . والتحقيق فيه: أن عليك عهدَ العبودية، وعلى كرمه عهدَ الربوبية، كما قال - تعالى -: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠]، وعهد عبوديتك: أن تكون عبدًا له لا لغيره . ثم كمال هذه الدرجة: أن تعرف أن كل ما سوى الله فهو عبد لله، كما قال: ﴿ إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣] . ومن أتى بالفعل على أحسن الوجوه كان محسنًا فيه . وقوله: **لا إله إلا الله**، يدل على اعترافه بأن كل ما سواه فهو عبده ومربوبه . فثبت أن قول: **لا إله إلا الله**، إحسان من العبد، فقوله: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ أي: هل جزاء من أتى بقول: **لا إله إلا الله** إلا أن أجعله في حماية **لا إله إلا الله** .

**والثانية-** قوله - تعالى -: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] . والمراد من قوله: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ هو: قول **لا إله إلا الله** باتفاق أهل التفسير، وبدليل أنه لو قال ذلك ومات، ولم يتفرغ لعمل آخر دخل الجنة<sup>(١)</sup> .

---

(١) كما روى البراء قال: جاء رجل من بني النبيت - قبيل من الأنصار - فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت عبده ورسوله، ثم تقدم فقاتل حتى قُتل، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «عمل هذا سيرًا وأجر كثيرًا» مسلم [١٩٠٠] .  
وفي قصة عمرو بن أقيش: «لما لحق بالمسلمين في أحد، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو، قال: إني قد أمنت، فقاتل حتى جرح فحوّل إلى أهله جريحًا، فجاءه سعد بن معاذ فقال لأخته: سليه: حمية لقومك أو غضبًا لهم أم غضبًا لله؟ قال: بل غضبًا لله ولرسوله، فمات، فدخل الجنة، وما صلى لله صلاة» أخرجه أبو داود [٢٥٣٧]، والحاكم (٢/ ١٢٤)، وحسنه الحافظ في «الإصابة» (٤/ ٦٠٩)، والألباني في «صحيح سنن أبي داود» [٢٢١٢] .

**وثالثها -** قوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [فصلت: ٣٣]، واتفقوا على أن هذه الآية نزلت في فضيلة الأذان، وما ذاك إلا لاشتغال الأذان على كلمة **لا إله إلا الله**، وأيضاً فإنه - تعالى - قال في صفة الكافرين: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [العنكبوت: ٦٨]، فكما أنه لا قبيح أقبح من كلمة الكفر، لا حسن أحسن من كلمة التوحيد، ولهذا قال - تعالى - في أول سورة المؤمنين: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون: ١]. وقال في آخر السورة: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

ثم إنه لما كان قول الموحِّد حسناً كان مقيلاً حسناً، كما قال - تعالى - : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٤]، ولما كان قول الكافر قبيحاً كان مقيلاً أيضاً مظلماً، قال - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ أَطْلُغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

**ورابعها -** قوله - تعالى - : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ [الزمر: ١٨]. ولا شك أن أحسن القول: **لا إله إلا الله**.

**وخامسها -** قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل: ٩٠]. قيل: العدل: الإعراض عما سوى الله - تعالى -، والإحسان: الإقبال على الله - تعالى - .

**وسادسها -** قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ [الإسراء: ٧]. ولا شك أن الإحسان قول: **لا إله إلا الله**.



وأما الخبر فما روى أبو موسى الأشعري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة»: للذين قالوا: لا إله إلا الله الحسنى، وهي الجنة، والزيادة هي: النظر إلى وجهه الكريم<sup>(١)</sup>.  
وأما المعقول فهو: أنه كلما كان الفعل حسنًا كان فاعله أكثر إحسانًا، ولا شك أن أحسن الأذكار ذكر لا إله إلا الله<sup>(٢)</sup>، وأحسن المعارف معرفة لا إله إلا الله، وإذا كان كذلك كانت هذه المعرفة وهذا الذكر إحسانًا<sup>(٣)</sup> اهـ.

---

(١) قال السيوطي - رحمه الله -: أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والدارقطني في «الرؤية»، وابن مردويه عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله يبعث يوم القيامة مناديًا ينادي: يا أهل الجنة - بصوت يسمعه أولهم وآخرهم - إن الله وعدكم الحسنى وزيادة، فالحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن» اهـ. من «الدر المنثور» (٦٥٣/٧)، ونحوه أيضًا (٦٥٦/٧).

وانظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٣/٤٥٨، ٤٥٩)، وتفسير «الزيادة» بالنظر إلى الله - تبارك وتعالى - قد استفاض واشتهر فيما بين الصحابة والتابعين، كما ذكر ذلك البيهقي في كتاب «الرؤية»، وانظر: «دلالة القرآن والأثر على رؤية الله - تعالى - بالبصر» للدكتور/ عبد العزيز بن زيد الرومي ص (٧٤).

(٢) راجع ص (٦٨).

(٣) «عجائب القرآن» ص (٧٣-٧٥).

# الْحَسَنَةُ

(٢٥) الْحَسَنَةُ

قال الله - تعالى -: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَأَمِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٩].

قال الطبري - رحمه الله -: « يقول - تعالى - ذكره: من جاء الله بتوحيده والإيمان به، وقول: لا إله إلا الله موقناً بها قلبه، فله من هذه الحسنه عند الله خير<sup>(١)</sup> يوم القيامة، وذلك الخير أن يُشبهه الله منها الجنة، ويؤمّنه من فزع الصيحة الكبرى، وهي النفخ في الصور، ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ﴾ يقول: ومن جاء بالشرك به يوم يلقاه، وجحود وحدانيته: ﴿ فَكُتِبَتْ لَهُمْ جُوهُهُمْ ﴾ في نار جهنم<sup>(٢)</sup> .

(١) ذهب عامة المفسّرين إلى أن (أل) في «الحسنه» للعهد لا للجنس، أي: الحسنه المعهودة المعينه وهي (لا إله إلا الله)، وأن (من) في قوله: (منها) سببيه، أي فله خيرٌ وثواب بسببها، فـ(خير) هنا ما يقابل الشر، لأنه لا شيء خير من (لا إله إلا الله).  
وأما من قال إنها للجنس، فقد فسّر قوله - تعالى - : ﴿ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ [الفصص: ٨٤] بقوله - عزّ وجلّ -: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ويحديث: «إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة» الحديث، وقالوا: إن قوله: ﴿ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ هو للتفضيل لأنها أفضل بالمضاعفة، ولذلك قال ابن زيد: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ [النمل: ٨٩]: «أعطاه الله بالواحدة عشرًا، فهذا خير منها» أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٨ / ١٤٤).

ويرد على هذا الأخير ما رواه الشعبي قال: «كان حذيفة جالسًا في حلقة فقال: ما تقولون في هذه الآية: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَأَمِنُونَ ﴾<sup>(٨)</sup> وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُتِبَتْ لَهُمْ فِي النَّارِ فَقَالُوا: نعم يا حذيفة، من جاء بالحسنه ضُعت له عشر أمثالها، فأخذ كفاً من حصي فضرب به الأرض، وقال: تبأ لكم - وكان حديداً - وقال: من جاء بـ: لا إله إلا الله وجبت له الجنة، ومن جاء بالشرك وجبت له النار» انظر: «الدر المنثور» (١١ / ٤١٨).

(٢) «جامع البيان» (١٨ / ١٣٩).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ هي: لا إله إلا الله.  
وكذا قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «من جاء ب: لا إله إلا الله».  
وعن مجاهد وقتادة قالوا: «كلمة الإخلاص».  
وعن عكرمة قال: «شهادة أن لا إله إلا الله».  
وعن إبراهيم أنه كان يحلف ما يستثني أن: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ قال: لا إله إلا الله،  
﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ قال: الشرك.  
أما قوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ فمعناه: له منها وبسببها ثواب.  
قال عكرمة: ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾: ليس شيء خيراً من لا إله إلا الله، ولكن: له  
منها خير».

وقال زُرعة بن إبراهيم: «لا إله إلا الله خير، ليس شيء أخير من لا إله إلا الله».  
وقال ابن جريج: «له منها خير، فأما أن يكون له خير من الإيمان فلا، ولكن  
(منها خير): يصيب منها خيراً».

وعن ابن عباس: ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾: «فمنها وصل إليه الخير»، وعنه قال:  
﴿خَيْرٌ﴾ ثواب. وعن الحسن قال: «من جاء بلا إله إلا الله، فله منها خير»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن شمر بن عطية،  
عن أشياخه عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قلت يا رسول الله، أوصني. قال:  
«إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها». قال: قلت: يا رسول الله، أمن الحسنات:  
لا إله إلا الله؟ قال: «هي أفضل الحسنات»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر هذه الآثار في «جامع البيان» (١٨ / ١٤٠ - ١٤٣)، و«الدر المنثور» (١١ / ٤١٦ - ٤١٩).  
(٢) قال محققو «المسند»: «حسن لغيره» اه. من «تحقيق المسند» (٣٥ / ٣٨٥، ٣٨٦) حديث رقم  
[٢١٤٨٧].

# الْإِسْمَاءُ لِلَّهِ

## (٢٦) السُّنَنِ

وقال - تعالى - : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَجَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنِيَرَهُ لِلْيُسْرَى ﴾

[الليل: ٥-٧].

فسر بعضهم ﴿ بِالْحُسْنَى ﴾ : بأنها الخلف أو الجنة، أو موعود الله على نفسه، وقال آخرون: بل معنى ذلك: وصدق بأن الله واحد لا شريك له.

روى الطبري بسنده إلى أبي عبد الرحمن: ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ قال:

بلا إله إلا الله<sup>(١)</sup>.

وروى بسنده عن الضحاك قال: ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ : بلا إله إلا الله<sup>(٢)</sup>.

وروى بسنده إلى ابن عباس قال: «يقول: صدق بلا إله إلا الله»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي: ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ قال: بلا إله إلا الله<sup>(٤)</sup>.

وقال - تعالى - : ﴿ وَأَمَّا مَنْ يَجْهَلُ وَأَسْتَغْنَى ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝٩ فَسَنِيَرَهُ لِلْعُسْرَى ﴾

[الليل: ٨-١٠]

روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وعن الضحاك

﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾ : وكذب بـ «لا إله إلا الله»<sup>(٥)</sup>.

(١) «جامع البيان» (٢٤/٤٦٣).

(٢) نفس المرجع، ونفس الموضوع.

(٣) «نفسه» (٢٤/٤٦٤).

(٤) «نفسه» (٢٤/٤٦٣).

(٥) «نفسه» (٢٤/٤٦٨).

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى -:

«السبب الثالث: التصديق بالحسنى وفسّرت بـ«لا إله إلا الله»، وفسرت بالجنة، وفسرت بالخلف، وهي أقوال السلف. واليسرى صفة لموصوف محذوف، أي: الحالة والخلة اليسرى، وهي فعلى من اليُسْر، والأقوال الثلاثة ترجع إلى أفضل الأعمال، وأفضل الجزاء.

فمن فسّرها بـ«لا إله إلا الله»، فقد فسّرها بمفرد يأتي بكل جمع: فإن التصديق الحقيقي بـ«لا إله إلا الله» يستلزم التصديق بشُعبها وفروعها كلّها، وجميع أصول الدين وفروعه من شُعب هذه الكلمة؛ فلا يكون العبد مُصدّقاً بها حقيقة التصديق حتى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، ولا يكون مؤمناً بأن الله إله العالمين حتى يؤمن بصفات جلاله ونعوت كماله، ولا يكون مؤمناً بأنه «لا إله إلا هو» حتى يسلب خصائص الإلهية عن كل موجودٍ سواه، ويسلبها عن اعتقاده وإرادته، كما هي منفية في الحقيقة والخارج، ولا يكون مصدّقاً بها من نفى الصفات العلى، ولا من نفى كلامه وتكليمه، ولا من نفى استواءه على عرشه، وأنه يصعد إليه الكلم الطيب والعمل الصالح، وأنه رفع المسيح إليه، وأسرى برسوله - صلى الله عليه وسلم - إليه، وأنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه، إلى سائر ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

ولا يكون مؤمناً بهذه الكلمة مصدّقاً بها على الحقيقة من نفى عموم خلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، وعلومه بكل شيء، وبعثه للأجساد من القبور ليوم النشور، ولا يكون مصدّقاً بها من زعم أنه يترك خلقه سُدى، لم يأمرهم ولم ينههم على السنة رسله.

وكذلك التصديق بها يقتضي الإذعان والإقرار بحقوقها، وهي شرائع الإسلام التي هي تفصيل هذه الكلمة.

فالتصديقُ بجميع أخباره وامتهال أو امره، واجتناب نواهيه، هو تفصيل «لا إله إلا الله»، فالمصدق بها على الحقيقة الذي يأتي بذلك كله، وكذلك لم تحصل عصمة المال والدم - على الإطلاق - إلا بها وبالقيام بحقوقها، وكذلك لا تحصل النجاة من العذاب - على الإطلاق - إلا بها وبحقوقها، فالعقوبة في الدنيا والآخرة على تركها، أو ترك حقها.

ومن فسر «الحسنى» بالجنة فسرها بأعلى أنواع الجزاء وكمالها.

ومن فسرها بالخلف ذكر نوعاً من الجزاء، فهذا جزاء دنيوي، والجنة الجزاء في الآخرة، فرجع التصديق بالحسنى إلى التصديق بالإيمان وجزائه، والتحقيق أنها تتناول الأمرين<sup>(١)</sup> اهـ.

\* \* \*

وهذا آخر ما تيسر جمعه من مادة هذا الكتاب، ونسأل الله - تعالى - كما وفقنا إلى شهادة أن «لا إله إلا الله» أن يَمُنَّ علينا بالتوفيق لأداء حقها، وإيفاء شروطها، والثبات عليها حتى الممات، وأن يرزقنا خاتمة السعادة، وأن يجعل آخر كلامنا في الدنيا الشهادة.

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(١) «التبيان في إيمان القرآن» ص (٩١-٩٣).

## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	١٠-٥
(١) ركن الإسلام الأعظم.....	١١
الشهادتان متلازمتان، وهما معاً ركن واحد.....	١١
(٢) دعاية الإسلام.....	١٣
(٣) أول واجب على المكلف.....	١٤
النطق بالشهادتين والتلفظ بهما ركن للتوحيد، وليس شرطاً فيه.....	١٤
مذاهب أهل الكلام في أول واجب على المكلف، وتفنيدها.....	١٦
التوحيد أول واجب، وآخر واجب.....	١٨
(٤) عاصمة الدم والمال.....	١٩
معنى قول النبي ﷺ: «إلا بحقها».....	٢٢
مجرد الإقرار لا يعصم على الدوام.....	٢٤
هل لازم كلمة التوحيد داخل في حكمها وحقها؟.....	٢٧
(٥) أعلى شعب الإيمان وأفضلها.....	٢٨
شعبة «لا إله إلا الله» شرط في صحة سائر شعب الإيمان.....	٢٩
(٦) شرط في العمل الصالح.....	٣٠
شروط العمل الصالح ثلاثة.....	٣٠
الدنيا جنة الكافر.....	٣٢
هل ينتفع الكافر بعمله الصالح في الدنيا؟.....	٣٢
الكفار مخاطبون بفروع الشريعة.....	٣٤
חסنات الكافر موقوفة.....	٣٦
(٧) روح الإيمان، وسر حياته.....	٤١

- ٤١..... بيان أن الإيمان حياة، والكفر موت
- ٤٧..... **(٨) مُجَدِّدَةُ الْإِيمَانِ**
- ٤٨..... المداومة على ذكر **«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»** تجدد الإيمان في القلب
- ٤٩..... **«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»** تعالج الجرح الذي يחדش جناب التوحيد
- ٥٠..... **(٩) زَكَاةُ النُّفُوسِ، وَطَهَارَةُ الْقُلُوبِ**
- ٥٠..... ذكر الدليل على نجاسة المشركين
- ٥١..... حكم غُسل الإسلام
- ٥٢..... لا يكون أحدٌ مسلمًا بالنية دون القول والنطق بالشهادتين
- ٥٤..... ترجيح قول الجمهور: إن نجاسة المشركين معنوية
- ٥٥..... المسلم لا ينجس حياً وميتاً
- ٥٦..... تأويل قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾
- ٥٨..... تزكية المؤمنين من المقاصد العظيمة لبعثة رسول الله ﷺ
- ٦٢..... **(١٠) أَعْظَمُ نِعْمَةٍ عَلَى الْمَهْدِيِّينَ إِلَيْهَا**
- ٦٢..... التوفيق إلى التوحيد أعظم ما ينعم الله به على عبده
- ٦٨..... **(١١) أَفْضَلُ الذِّكْرِ**
- ٧٣..... **(١٢) مِنَ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ**
- ٧٥..... **(١٣) لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ**
- ٧٥..... **«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»** قاسم مشترك بين الصيغ الثابتة في اسم الله الأعظم
- ٨٠..... **(١٤) لَا يَحْجِبُهَا عَنِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - شَيْءٌ**
- ٨٢..... **(١٥) مَضمونُ الوحي الشريف وقطب رحاه**
- القرآن الكريم كله في بيان التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن ذم الشرك وأهله
- ٨٤..... وجزائهم



## الموضوع

## الصفحة

- أساليب القرآن الكريم في دعوة الخلق إلى تحقيق «لا إله إلا الله»..... ٨٥
- (١٦) مفتاح دعوة الرسل - عليهم السلام - ..... ٩٦
- (١٧) القاسم المشترك الأعظم بين جميع الرسالات السماوية ..... ٩٨
- دعوة موسى - عليه السلام - إلى التوحيد ..... ١٠٠
- ذكر نصوص من (التوراة) تدعو إلى التوحيد، وتحذر من الشرك ..... ١٠٠
- دعوة يحيى - عليه السلام - إلى التوحيد ..... ١٠٣
- دعوة المسيح عيسى ابن مريم - عليهما السلام - إلى «لا إله إلا الله» ..... ١٠٥
- نصوص من الأنجيل تثبت عبودية المسيح لله تعالى، وتحث على التوحيد..... ١٠٦
- (١٨) ملّة إبراهيم الحنيفيّة ..... ١١٠
- أفضل من دعا إلى «لا إله إلا الله» بعد رسول الله ﷺ أبوه إبراهيم - عليه السلام - ..... ١١٠
- ثناء الله - تعالى - على خليفه إبراهيم - عليه السلام - ..... ١١٥
- ١ - وصفه بأنه أمة ..... ١١٥
- ٢ - وصفه بأنه خليل الله ..... ١١٨
- ٣ - وصفه بأنه أبو الأنبياء ..... ١٢٠
- ٤ - تعظيم الله - تعالى - لملة إبراهيم - عليه السلام - وأمره - عزّ وجلّ - الأنبياء  
وسائر المؤمنين باتباعها ..... ١٢٠
- ذكر إبراهيم - عليه السلام - في (الكتاب المقدس عند أهل الكتاب) ..... ١٣٣
- تعظيم إبراهيم - عليه السلام - في القرآن الكريم ..... ١٣٥
- تنزيه إبراهيم - عليه السلام - من اليهودية والنصرانية ..... ١٣٧
- التحذير من مصطلح: (الأديان الإبراهيمية الثلاثة) ..... ١٤٢
- محاولة المغرضين إخفاء انتماء المسلمين إلى إبراهيم - عليه السلام - من  
خلال نشر فكرة السامية باعتبارها الأصل المشترك بين العرب واليهود..... ١٤٤

- ١٤٥ ..... **(١٩) هي الدين المقبول عند الله**
- ١٤٦ ..... الحقيقة التي اتفق عليها المسلمون واليهود والنصارى
- ١٤٦ ..... كيف نستطيع أن نعرف اسم الدين الذي آمن به الأنبياء ومن تبعوهم؟
- ١٤٦ ..... القرآن الكريم يسمي هذا الدين (الإسلام) وأتباعه (المسلمين)
- ..... حاخام يهودي يثبت أن بني إسرائيل كانوا يُدْعَوْنَ: «مُسْلِمِي»، وأن الإسلام هو دين آدم ونوح، وأنه أقدم الأديان ..... ١٤٧
- ..... الاستسلام لله (الخضوع)، والسلامة (الإخلاص) يعبر عنهما بالإسلام ..... ١٤٧
- ..... الإسلام العام، والإسلام الخاص ..... ١٤٧
- ..... نصوص القرآن الكريم تأمر بإعلان الإسلام لله، وأنه الدين المقبول عند الله ..... ١٤٩
- ..... نصوص القرآن المجيد تثبت أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء، وأتباعهم ..... ١٤٩
- ..... ليس الدين لموسى ولا لعيسى ولا لمحمد - عليهم الصلاة والسلام - ولكن الدين لله، وهو الإسلام ..... ١٥٤
- ..... لا يجوز تسمية الإسلام بالموسوية أو المسيحية أو المحمدية ..... ١٥٥
- ..... لا يجوز استعمال عبارة (الأديان السماوية) بصيغة الجمع ..... ١٥٥
- ..... يجوز قول «الرسالات» السماوية و«الشرائع» السماوية بصيغة الجمع ..... ١٥٦
- ..... معنى قول النبي ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلات» الحديث ..... ١٥٦
- ..... بطلان الفكرة الداعية إلى (التقريب) بين الأديان ..... ١٥٦
- ..... إذا كان دين الله واحداً، فكيف يُدعى إلى التقريب بين الشيء ونفسه؟ ..... ١٥٦
- ..... الإسلام هو العقيدة الوحيدة الصحيحة على وجه الأرض، وما عداه فاسد ..... ١٥٦
- ..... العقائد الأرضية أو السماوية الأصل التي حُرِّفَتْ يجوز وصفها بالأديان ..... ١٥٧
- ..... **(٢٠) مقتضى الميثاق القديم** ..... ١٥٩

- آية الميثاق تدل على أن العلم بتوحيد الله - تعالى - ضروري، وأن الإِشهاد الذي  
 أخبرت به حجة على الناس أجمعين ..... ١٥٩
- جميع بني آدم مُقرون بربوبية الله - تعالى -، شاهدون بذلك على أنفسهم ..... ١٦٠
- آية الميثاق حجة على أن نفي التعطيل، وإثبات الصانع علم فطري ضروري .... ١٦١
- آية الميثاق حجة على دفع الشرك، تبطل اعتذار المشركين بالغفلة وتقليد الآباء.. ١٦٢
- العقل يدل على التوحيد ونفي الشرك، بغير رسول ..... ١٦٣
- من كمال رحمة الله تعالى أنه لا يعذب أحدًا حتى تقوم عليه الحجة الرسالية .... ١٦٣
- فطرية التحسين والتقيح العقليين ..... ١٦٣
- اسم الشرك ثابت لصاحبه ولو لم تقم عليه الحجة الرسالية، لكنه لا يعذب  
 إلا بعدها..... ١٦٥
- الكلام على معنى حديث: «فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صُلب آدم».. ١٦٨
- الكلام على الآثار الدالة على كيفية أخذ الله الميثاق على بني آدم ..... ١٦٩
- لا بد مع إثبات فطرية التوحيد من إثبات وقوع الإِشهاد وأخذ الميثاق  
 في الجملة..... ١٧١
- (٢١) مقتضى فطرة الله..... ١٧٣
- معرفة الرب سبحانه ضرورية، بديهية أولية مركوزة في الفطر بغير النظر  
 ولا استدلال..... ١٧٣
- مثل الفطرة مع الحق كبصر العين مع الشمس..... ١٧٣
- الحقيقة النفسية للفطرة..... ١٧٤
- الحقيقة الشرعية للفطرة ..... ١٧٤
- الأدلة على الحقيقة الشرعية ..... ١٧٥

## الدليل الأول:

- قوله تعالى: ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ ﴾ الآية ..... ١٧٥
- قول إمام المفسرين الطبري في الآية الكريمة ..... ١٧٥
- قول شيخ الإسلام ابن تيمية في الآية الكريمة ..... ١٧٥
- ما المراد من قوله - عز وجل -: ﴿ لَا بُدَّ لِي لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾؟ ..... ١٧٧
- الفرق بين تبديل الفطرة وتغييرها ..... ١٧٩
- الفطرة قد تغير، لكنها لا تُبدل ..... ١٧٩
- الفطرة مقتضية للتوحيد، وليست مجرد القابلية له أو لصدده ..... ١٨١

## الدليل الثاني:

- أن الفطرة أثر من آثار العهد والميثاق الذي أخذه الله من بني آدم وهم في عالم الذرّ .. ١٨٢
- رجح بعض المحققين أن الميثاق في آية الأعراف هو خلقهم مفطورين على التوحيد... ١٨٢

## الدليل الثالث:

- افتتاح الرسل دعوتهم بالتوحيد يتضمن أن الناس مفطورون على معرفة  
الله - عز وجل - ..... ١٨٣
- الرسل يُذكرون الناس بما فُطروا عليه من العلم بالله ..... ١٨٣
- كمال الدين التام: بالفطرة المكتملة بالشريعة المنزلة ..... ١٨٤

## الدليل الرابع:

- حديث أبي هريرة مرفوعاً: « كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه.. » الحديث .... ١٨٥
- الفطرة في الحديث يراد بها معناها الشرعي وليس اللغوي، وتأييد ذلك من ستة أوجه... ١٨٥
- ذكر الأحاديث الدالة على أن استعمال (الفطرة) بالمعنى الشرعي شائع في  
النصوص النبوية ..... ١٨٥

## الدليل الخامس:

- حديث عياض المجاشعي وفيه: «وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلهم» الحديث ..... ١٩١
- بيان معنى الحنيف في كلام العرب وفي أدلة الشرع ..... ١٩١
- موقف المتحرفين في الجاهلية يدل على أن الفطرة إذا لم تفسد تقتضي التوحيد .. ١٩٣
- تنبيهات:

**الأول -** الخلاف في المقصود بالفطرة يتعلق بسؤال: هل الخِلقَة التي يولد عليها

- المولود مقتضية للإسلام أم أنها قابلةٌ له فحسب؟ ..... ١٩٦
- الثاني -** القول بفطرية التوحيد لا يقتضي أن يكون الطفل موحِّدًا منذ ولادته
- عالمًا بذلك ..... ١٩٧

**الثالث -** المقصود بالفطرة التي يولد عليها الإنسان الإسلام العام الفطري أي

- التوحيد والإخلاص لله، وليس الإيمان الاصطلاحي، ولا الإسلام
- الخاص الكسبي الذي لا يُعلم إلا بطريق الوحي ..... ١٩٧
- (٢٢) محور الصراع في تاريخ البشرية ..... ١٩٩

- يدل القرآن الكريم على أن «لا إله إلا الله» كانت محور الصراع في التاريخ البشري .. ١٩٩
- قصة الصراع بين أهل التوحيد وأهل الإشراف وتعاد وتكرر ..... ٢٠١
- كلمة (علماني) لا علاقة لها بالعلم ..... ٢٠٢
- الوحي الإلهي أصدق مصدر يوثق تاريخ البشرية ..... ٢٠٣
- (٢٣) ميثاق المحبة ..... ٢٠٤

- كل المسلمين يقولون: «لا إله إلا الله»، والقليل منهم من يدرك فضاءاتها الجميلة ... ٢٠٤
- الأثر السلبي لتناول (العقيدة الإسلامية) بالطريقة الكلامية ..... ٢٠٥
- العلم الجدلي لا يؤتي ثمارًا قلبية ..... ٢٠٥

- ٢٠٥ .. سر عقيدة أن «لا إله إلا الله» يكمن في جمالها الذي لا يُدرك إلا بحاسة القلب ..
- ٢٠٦ ..... «لا إله إلا الله» كلمة قلبية تعبر عن الخضوع الوجداني التام لله تعالى ..
- ٢٠٧ ..... الإله: لفظ وصف يدل على معنى شعوري قلبي ..
- ٢٠٧ ..... أصل الاستعمال اللغوي لكلمة (إله) يدل على أحوال القلب ..
- ٢٠٩ ..... شهادة أن «لا إله إلا الله» لا تُدرك على حقيقتها إلا ذوقاً ..
- ٢١١ ..... «لا إله إلا الله» هي ميثاق المحبة بين الله وعباده ..
- الدكتور فريد الأنصاري - رحمه الله - يخبر عن مراحل تجربته الفريدة
- ٢١٢ ..... في فهم العقيدة ..
- ٢١٦ ..... حاجتنا ماسة إلى إعادة قراءة عقيدة السلف الصالح من مصادرها الأولى ..
- الدكتور الأنصاري ينتقد المنهج التجزيئي والإسقاطي في قراءة الأعلام الكبار
- ٢١٧ ..... كابن تيمية ..
- ٢٢١ ..... (٢٤) صرخة الحرية، وطريق التحرير ..
- ٢٢١ ..... قيمة الحرية عند البشر ..
- ٢٢١ ..... أدعياء الحرية يحتفلون بها، وهم أسرى العبودية المقيتة ..
- ٢٢٢ ..... الأمم القوية في عصرنا تستعبد الأمم الضعيفة ..
- ٢٢٢ ..... تفاوت الناس في فهمهم للحرية ..
- ٢٢٣ ..... ليس للإنسان أن يتبع هواه بغير هدى من الله ..
- ٢٢٣ ..... يجب على الإنسان أن لا يؤذي الآخرين ..
- ٢٢٣ ..... ليس من حق الإنسان أن يؤذي نفسه بدعوى الحرية ..
- ٢٢٣ ..... المعاصي سبب حصول البلاء العام، وغرق سفينة المجتمع ..
- ٢٢٥ ..... المفهوم الصحيح للحرية ..

- الحرية الحقيقية هي التحرر من عبادة غير الله - عزَّ وجلَّ - ..... ٢٢٥
- (الكلمة المقدسة) هي صرخة إعلان الحرية، والتحرر من عبادة الطاغوت ..... ٢٢٥
- العبودية لله وحده هي أرقى مراتب التحرر من قيود الشرك والوثنية ..... ٢٢٧
- أكثر الناس بعداً عن العبودية لله هم أكثر الناس عبودية لغير الله ..... ٢٢٨
- الشيوعيون أقاموا (الدولة) إلهاً يُعبد، واستعبدوا لها شعوبهم المقهورة ..... ٢٢٨
- أقسام الناس من حيث الحرية والعبودية ..... ٢٣٠
- ابن القيم يشرح قوله: «الناس ثلاثة: عبد محض، وحرٌّ محض، ومكاتبٌ...» ..... ٢٣٠
- أقصى شرف يبلغه الإنسان هو دخوله تحت رِق العبودية للرحمن اختياراً ومحبة ... ٢٣٠
- درجات الأحرار..... ٢٣٢
- التحرر بإعلان شهادة أن «لا إله إلا الله» أفرض الفروض وأوجب الواجبات
- على كل بني آدم ..... ٢٣٢
- أعظم أحرار البشر على الإطلاق رسول الله محمد ﷺ لأنه أكملهم عبودية لله - عزَّ وجلَّ - يليه إخوانه من أولي العزم من الرسل ثم سائر المرسلين والنبيين ثم أولياء الله الصالحين ..... ٢٣٢
- امتدح الله خليفه محمداً ﷺ بوصف العبودية في أشرف المقامات ..... ٢٣٢
- أسير لكنه حر ..... ٢٣٦
- قول سيد قطب - رحمه الله -: أخي أنت حر بتلك القيود..... ٢٣٦
- شيخ الإسلام يضع تعريفاً عجيباً للحبس والأسر ..... ٢٣٦
- «لا إله إلا الله» تُحرِّر الإنسان من عبودية الهوى ..... ٢٣٨
- أكثر ما يُستعمل الهوى في الحب المذموم..... ٢٣٨
- ما الحكمة من إطلاق ذم الهوى في القرآن والسُّنة؟ ..... ٢٣٩

## الموضوع

## الصفحة

- ٢٤١ ..... حاجة البشرية إلى الوحي الإلهي
- ٢٤٥ ..... العداوة بين الوحي والهوى
- ٢٤٨ ..... «لا إله إلا الله» تحرير الإنسان من عبودية المناهج والأفكار والتشريعات
- ٢٤٩ ..... الديمقراطية بمفهومها الغربي تؤله البشر، وتتخذهم أرباباً من دون الله
- ٢٥١ ..... جوهر الخلاف بين الموحّدين الأحرار وبين عبيد الأهواء
- ٢٥١ ..... ما المشكلة الحقيقية عند الليبراليين والعالميين؟
- المشكلة الحقيقية مع الليبراليين والعالميين تكمن في تعظيم (اتباع الهوى)
- ٢٥٢ ..... ورفض (اتباع الوحي الإلهي) خاصة فيما يتعلق بقيادة سفينة المجتمع
- ٢٥٣ ..... «لا إله إلا الله» تحرير الإنسان من عبادة مظاهر الطبيعة
- ٢٥٥ ..... «لا إله إلا الله» تحرير الإنسان من عبادة الأوثان والأصنام
- ٢٥٦ ..... (غاندي) زعيم الهند يدافع عن عبادة (البقر) ويفاخر بها
- ٢٥٦ ..... قصور رخامية فخمة في الهند تُعبد فيها (الفئران)
- ٢٥٧ ..... «لا إله إلا الله» تحرير الإنسان من عبودية البشر
- ٢٥٧ ..... عبد بعض الأمم ملوكهم وخضعوا لأهوائهم كفرعون وقومه
- غلا النصراري في عبد الله ورسوله عيسى - عليه السلام - حتى عبده
- ٢٥٧ ..... وادّعوا له الألوهية
- ٢٥٨ ..... عُني الإسلام بتحرير وجدان البشرية من التوجه إلى الأنبياء بشيء من العبادة ..
- ٢٦١ ..... أفعال الصلاة وأقوالها تجسّد (الحرية الحقيقية) في أصدق صورها
- ٢٦٣ ..... الإمام أحمد بن عرفان الهندي يطبق مفهوم (الحرية الحقيقية)
- ٢٦٤ ..... منصّر سابق يعلن أن «لا إله إلا الله» حررته من العبودية لغير الله
- ٢٦٥ ..... شاهد من أهلها
- الفيلسوف الإنكليزي (هكسلي) ينعي على الغرب بُعدَه عن التوحيد، وتورطه
- ٢٦٥ ..... في ألوان من الوثنية الجديدة



- ٢٦٥ ..... سببان للإلحاد في الأمم الغربية في نظر (هكسلي): الشهوات، والاستبداد
- ٢٦٧ ..... مظاهر أخرى لتحرير «لا إله إلا الله» للكائن الإنساني
- ٢٦٨ ..... (٢٥) منهج حياة
- ٢٦٨ ..... الفرد المسلم والمجتمع المسلم تتمثل فيهما الشهادتان
- ٢٦٨ ..... «لا إله إلا الله» قاعدة لمنهج كامل تقوم عليه حياة الأمة المسلمة
- ٢٧٠ ..... طبيعة المجتمع المسلم
- ٢٧٢ ..... الأمم المستهدفة بالدعوة الإسلامية
- ٢٧٦ ..... موقف الإسلام من (الواقع)
- ٢٧٨ ..... خلق المسلم مؤهلاً ليقود العالم
- ٢٨٠ ..... (٢٦) الرابطة الحقيقية بين أهل الإسلام
- ٢٨٠ ..... «لا إله إلا الله» تجعل المسلمين كالجسد الواحد
- ٢٨٠ ..... ما الذي يكتسبه المسلم إذا شهد أن «لا إله إلا الله»؟
- ٢٨٢ ..... أكثر في القرآن العظيم إطلاق (الأنفس) مراداً بها (الإخوان)
- ٢٨٢ ..... رابطة الدين أقوى من رابطة النسب والعصية
- ٢٨٥ ..... يؤالى المسلم بحسب موالاته لله، ورسوله، والمؤمنين ونصرتهم
- ٢٨٨ ..... مظاهر من موالاته المسلمين لعلمائهم من ورثة الأنبياء
- ٢٨٩ ..... علاقة الهوية الإسلامية بالوطنية
- ٢٨٩ ..... رابطة «لا إله إلا الله» لا تتعارض مع الشعور الفطري بحب الوطن
- ٢٨٩ ..... - الوطن الحقيقي في مفهوم (الهوية الإسلامية) هو الجنة
- أحب الأوطان إلى المسلم في الدنيا: مكة المكرمة، والمدينة النبوية،
- ٢٩٠ ..... وبيت المقدس

- الإسلام هو وطننا وأهلنا وعشيرتنا ..... ٢٩٠
- نبد مفهوم (الوطنية) بمعناها الضيق الذي فرضه علينا الاستعمار وأذنا به ..... ٢٩٠
- (برنارد لويس) مؤرخ يهودي يعترف بأن فرض (الوطنية) وأخواتها من المفاهيم الأوربية الأصل على المسلمين من أرسخ المظالم التي أوقعها الغرب بهم ..... ٢٩٠
- الأدلة على أن العقيدة الإسلامية هي المنظار الذي نحكم به على القيم والأفكار والمبادئ ..... ٢٩٢
- شعيرة (الولاء والبراء) هي الترجمة الفعلية لشهادة أن «لا إله إلا الله» ..... ٢٩٤
- (٢٧) شعار الإسلام الباقي بعد اندراس الشرائع ..... ٢٩٥
- «لا إله إلا الله» هي آخر ما يبقى في الأرض من الإسلام بعد رفع القرآن الكريم واندراس الشرائع ..... ٢٩٥
- (٢٨) ميلاد جديد ..... ٢٩٩
- «لا إله إلا الله» خط فاصل في حياة من يهتدي إليها، وبها يولد من جديد ..... ٢٩٧
- توبة الكافر بالإسلام يُقطع بقبولها، وذكر الحكمة من ذلك ..... ٢٩٧
- جعل الله ثواب بعض الأعمال - وعلى رأسها الشهاداتتان - أن يعود من ذنوبه كيوم ولدته أمه ..... ٢٩٩
- من مساوئ النصرانية المحرفة الاعتقاد بأن المولود يولد وقد ورث ما يُسمى بالخطيئة الأصلية ..... ٢٩٩
- لا بد من أن يولد الإنسان مرتين كي ينجو ..... ٣٠٠
- «لا إله إلا الله» شهادة ميلاد روحي ونفسي ووجداني وفكري وسلوكي ومنهجي جديد ..... ٣٠٣
- «لا إله إلا الله» تبدل مشاعر العداوة والبغض إلى حب الإسلام والولاء له والتضحية في سبيله ..... ٣٠٣

- (٢٩) وصية الأنبياء عند الموت..... ٣٠٦
- (٣٠) النطق - عند الموت - بالشهادة أعظم علامات خاتمة السعادة..... ٣٠٧
- أثر التوفيق للنطق بـ «لا إله إلا الله» عند الموت في تكفير السيئات وإحباطها.. ٣١٢
- تعظيم الإسلام لشأن خواتيم الأعمال ..... ٣١٣
- ذكر طرف من قصص الموفقين إلى النطق بالشهادة عند حضور الموت ..... ٣١٧
- ذكر بعض أخبار مَنْ خان قلبه ولسانه عند حضور الموت فحيل بينه وبين  
النطق بالشهادة - عيادًا بالله من سوء الخاتمة - ..... ٣٢٥
- (٣١) أثقل شيء في الميزان ..... ٣٢٩
- (٣٢) نجاة من النار..... ٣٣٢
- (٣٣) نجاة من الخلود في النار..... ٣٣٨
- (٣٤) مغفرة للذنوب، وكفارة للخطايا ..... ٣٤٣
- (٣٥) سبب لاستحقاق الشفاعت..... ٣٤٨
- (٣٦) سبب دخول الجنة..... ٣٥٠
- (٣٧) مفتاح الجنة..... ٣٥٤
- «لا إله إلا الله» تقتضي دخول الجنة لكن المقتضى لا يعمل عمله إلا باستجماع  
شروطه وانتفاء موانعه ..... ٣٥٥
- عبارة: «شروط لا إله إلا الله» عبارة سلفية سننية، وليست خَلْفِيَّة بدعية..... ٣٥٥
- نظّم العلماء كثيرًا في شروط «لا إله إلا الله»، وذكر نماذج من ذلك ..... ٣٥٦

أَسْمَاءُ كَلِمَةٍ  
الْإِسْمَاءِ اللَّهُ

- (١) الطيب من القول ..... ٣٦١
- (٢) القول الثابت ..... ٣٦٣
- (٣) القول الصواب ..... ٣٦٨
- (٤) القول السديد ..... ٣٦٩
- (٥) كلمة التوحيد ..... ٣٧٠
- (٦) الدين الخالص ..... ٣٧٦
- (٧) كلمة الإخلاص ..... ٣٧٧
- (٨) كلمة الشهادة ..... ٣٨٣
- (٩) كلمة الله العليا ..... ٣٩٦
- (١٠) الكلمة الطيبة ..... ٣٩٨
- (١١) كلمة الاستقامة ..... ٤٠٣
- (١٢) كلمة النجاة ..... ٤٠٥
- (١٣) كلمة الفلاح ..... ٤٠٩
- (١٤) الكلمة الباقية ..... ٤١٤
- (١٥) كلمة التقوى ..... ٤١٨
- (١٦) كلمة الصدق ..... ٤٢٤
- (١٧) كلمة السواء ..... ٤٢٨
- (١٨) كلمة العدل ..... ٤٣٦

الصفحة

الموضوع

٤٣٨.....	(١٩) العروة الوثقى.....
٤٤٤.....	(٢٠) المثل الأعلى.....
٤٤٨.....	(٢١) شهادة الحق.....
٤٥٠.....	(٢٢) دعوة الحق.....
٤٥٣.....	(٢٣) العهد.....
٤٥٥.....	(٢٤) الإحسان.....
٤٦٠.....	(٢٥) الحسنات.....
٤٦٢.....	(٢٦) الحسنى.....

